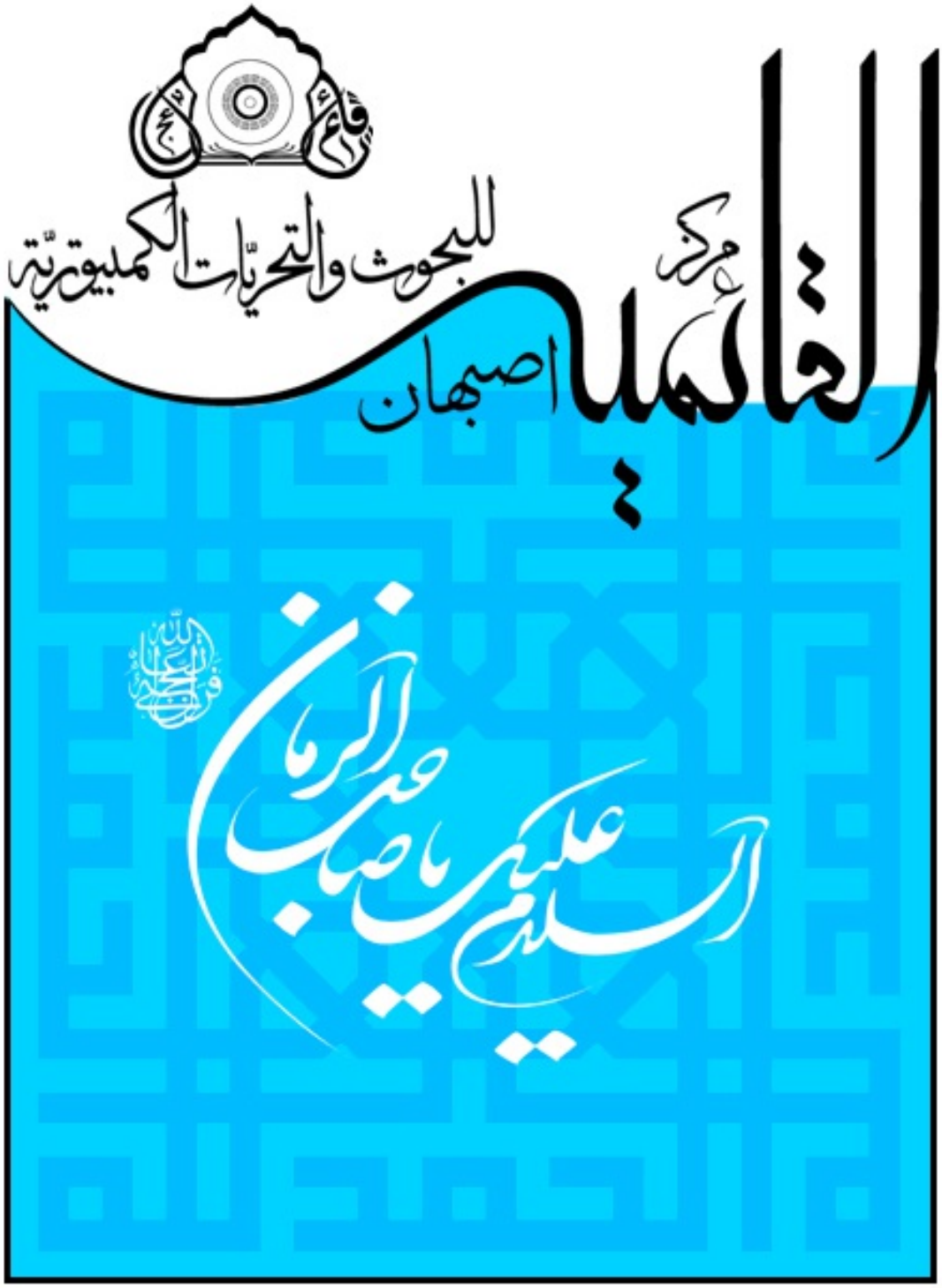

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الحكومة العالمية للإمام المهدى (عج)

آية الله العظمى مكارم شيرازى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكومه العالميه للامام‌المهدى (عج)

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب عليه السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج) ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
السؤال الذی یساور جمیع الباحثین ----- ۱۰
المستقبل المشرق ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
۱- مسیرة المجتمع البشری التکاملیة ----- ۱۳
۲- الانسجام مع نظام العام للخلیقة ----- ۱۵
ردود الأفعال الاجتماعیة ----- ۱۶
النتیجة: ----- ۱۸
الالزامات والضرورات الاجتماعیة ----- ۱۸
ملامح من الوعی الذاتی للناس: ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
۱- تشکیل المجامع الدولیة واعداد میثاق حقوق الإنسان ----- ۲۰
۲- الحوار عن خلع الأسلحة ----- ۲۲
۳- هجوم السلام! ----- ۲۲
۴- مشروع الحکومة الإسلامیة «۱» ----- ۲۲
الفطرة و «العدل والسلام العالمی» ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
۱- حبّ العدل والسلام ----- ۲۴
۲- الانتظار المطلق للمنقذ ----- ۲۴
الشعوب والمصلح العظیم ----- ۲۵
مشروع المصلح فی کتب الزرادشت: ----- ۲۵

قبسات من کتب العهد القدیم (التوراة وملحقاتها): ۲۶
العلامات فی کتب العهد الجدید (الاناجیل وملحقاتها): ۲۶
قبسات من عقائد الغرب بهذا الشأن: ۲۷
النهضة العالمیة ۲۸
نهضة أم إصلاحات تدریجیة ۲۸
الثورة المادیة أم المعنویة؟ ۲۹
مثالب الحکومة الدیمقراطیة: ۳۱
الاستعدادات الضروریة للحکومة العالمیة ۳۳
الاستعدادات العامة ۳۳
اشارة ۳۳
۱- الاستعداد الفکری والثقافی ۳۳
۲- الاستعداد الاجتماعی ۳۴
۳- الاستعدادات التقنیة ۳۴
الانتظار ۳۵
مفهوم الانتظار: ۳۵
الانتظار فی عمق الفطرة الإنسانیة: ۳۵
فلسفة الانتظار: ۳۶
الأحکام غیر المدروسة: ۳۷
آثار الانتظار البناءة: ۳۸
الانتظار یعنی التأهب التام: ۳۹
اشارة ۳۹
۱- التزکیة الفردیة ۴۰
۲- التکافل الاجتماعی ۴۱
۳- عدم الانصهار فی بوتقة الفساد ۴۱

المصلح العالمی العظیم فی المصادر الإسلامیة ---- ۴۲
صفات الزعیم العالمی ---- ۴۲
المصلح العالمی فی القرآن ---- ۴۳
الاستخلاف فی الأرض: ---- ۴۴
المصلح العالمی فی مصادر العامة ---- ۴۸
من هو المهدی؟ ---- ۵۰
نص الرسالة: ---- ۵۰
منطق مخالفی أحادیث المهدی: ---- ۵۳
ضعف منطق المخالفین: ---- ۵۳
المهدی فی مصادر الشیعة الروائیة ---- ۵۵
ملامح انطلاقة النهضة ---- ۵۷
علامات الظهور ---- ۵۷
اشارة ---- ۵۷
۱- شمولیة الظلم والفساد ---- ۵۷
۲- الدجّال ---- ۶۱
۳- ظهور السفیانی ---- ۶۳
العقیدة الشیعیة فی المهدی علیه السلام ---- ۶۵
اشارة ---- ۶۵
المهدی ثانی عشر خلفاء النبی صلی الله علیه و آله ---- ۶۵
السؤال الأوّل: ---- ۶۶
السؤال الثانی: ---- ۶۶
السؤال الثالث: ---- ۶۶
الأسئلة الثلاثة المهمة ---- ۶۸
۱- سر طول العمر ---- ۶۸

اشارة ----- ۶۸
مناقشة وتحقيق: ----- ۶۸
هل للعمر الطبيعى حدّ ثابت؟ ----- ۶۸
الاستثناء من الأفراد: ----- ۷۰
أصحاب الإشكال: ----- ۷۱
۲- فلسفة الغيبة ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
أ) استعداد القبول (الاستعداد النفسى) ----- ۷۴
ب) التكامل الثقافى والصناعى ----- ۷۴
ج) اعداد القوى الثورية ----- ۷۵
۳- فلسفة وجود الإمام حين الغيبة ----- ۷۵
اشارة ----- ۷۵
فائدة الإمام فى الغيبة: «۱» ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
۱- بث الأمل ----- ۷۷
۲- حماية الدين ----- ۷۸
۳- إعداد ثلّة ثورية واعية ----- ۷۹
۴- النفوذ الروحى والتلقائى ----- ۷۹
۵- هدف الخليقة ----- ۸۱
سبيل انتصار ذلک المصلح العظيم ----- ۸۲
هل ينهض الإمام بالسيف ----- ۸۲
وأمّا من حيث المصادر الروائية: ----- ۸۴
مفهوم السيف: ----- ۸۶
سيرة الحكومة العالمية ----- ۸۷

العصور الثلاثة ----- ۸۷
تطور العلوم فی عصر المهدی علیه السلام: ----- ۸۸
التطور الصناعی المذهل فی عصر المهدی علیه السلام ----- ۸۸
التطور الاقتصادی والعدل الاجتماعی: ----- ۸۹
التقدم القضائی: ----- ۹۲
الحکومة المدیدة: ----- ۹۴
بناء علی جمیع الأصعدة الفکریة والثقافیة: ----- ۹۴
وحدة الدین: ----- ۹۶
الأدعیاء المزیفون ----- ۹۶
ألم یظهر المهدی ----- ۹۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۹۹

الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج)

اشارة

سرشناسه: مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -

عنوان و نام پدیدآور: الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج)/مکارم‌الشیرازی.

مشخصات نشر: قم: مدرسه‌الامام علی‌بن‌ابی‌طالب (ع)، ۱۴۲۶ ق= .۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری: ۲۵۲ ص.

شابک: ۱۰۰۰۰ ریال۰۰۵-۵۳۳-۹۶۴-X:

یادداشت: عربی.

یادداشت: پشت جلد به انگلیسی:.Global governance of Mahdi

یادداشت: عنوان دیگر: الحکومت‌العالمیه للامام‌المهدی (عج).

یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس.

عنوان دیگر: الحکومت‌العالمیه للامام‌المهدی (عج).

موضوع: محمدبن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق -

موضوع: مهدویت

شناسه افزوده: مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره: BP۲۲۴/م۷ح۸ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۶۲

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۴۲۸۵۲

السؤال الذی یساور جمیع الباحثین

ذلک الیوم الذی:

تغطی فیه سحب الظلم والفساد المعتمة سماء العالم ذلک الیوم الذی:

تغرس فیه البلدان الغاشمة مخالبها القذرة فی اعناق طبقات المجتمع البشری المحرومة والمعدمة.

ذلک الیوم الذی:

تغیب فیه کافة المعاییر سوی معیار المادیة المقیتة لیکون الاساس فی تقییم الفکر.

ذلک الیوم الذی:

تعمد فیه أبواق الدعایة الاستکباریة الشرقیة والغربیة إلی اظهار الحقّ بصورة الباطل والباطل بصورت الحقّ بغیة تحقیق اطماعها ومآربها المشبوهة.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷

ذلک الیوم الذی:

تجلّی فیه ظهور المستضعفین بسیاط التمییز العنصری والتفاضل العرقی وقصر النظر وضیق الافق والظلم والجور.

اجل آنذاک:

نصوب أبصارنا الراجية نحو طلعتك البهية أيّها المصلح العالمى العظيم، إلى نهضتك وحكومتك العالمية.

فاسأل اللّه أن يوفقنا لتهذيب أنفسنا والتحلى بسعة الافق وشمولية الفكر والاستعداد لخوض غمار الجهاد والالتحاق بصفوف الأوفياء فى ممارسة العملية الاصلاحية ورفع راية العدل والأمن والسلام.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸

۱- هل سيكون مستقبل البشرية مفعماً بالعدل والسلام والأمن والأمان والتحرر من كافة أنواع الظلم والجور والإستغلال والإستعباد؟ أم ستشهد هذه البشرية- كما يتكهن البعض- مزيداً من الفوضى والاضطراب والتعقيد، وبالتالى نشوب الحرب الذرية والنووية الشاملة التى تطيح باصول المدنيات والحضارات الإنسانية، فإن كان هنالك ثمة بقاء لُاناس على سطح الكرة الأرضية فسوف لن يكون سوى لبعض الأفراد المتخلفين والمعاقين والبائسين؟

۲- إن صحّ الاحتمال الأوّل فى أنّ المستقبل سيشهد العدل والسلام فكيف سيكون ذلك؟

۳- إن كان العالم يحث الخطى نحو «العدل» و «السلام» و «التآخى»، فهل يمكن تنفيذ هذه

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹

المبادئ دون النهضة؟ وبعبارة اخرى: هل يسع الاصلاحات «التدريجية» تغيير التوجه السائد لدى العالم رغم انطوائه على كلّ هذه المطبات؟

۴- إن كانت النهضة ضرورية فهل تقتصر على القوانين المادية، أم يتعذر عليها ذلك دون الاستلهام من المبادئ المعنوية والقيم والمثل الإنسانية؟

۵- لو سلمنا بقيام مثل هذه النهضة، فما هى الصفات التى ينبغى أن يتمتع بها زعيم هذه النهضة؟

۶- هل ستقود هذه النهضة على سبيل الضرورة إلى تشكيل «الحكومة العالمية الواحدة»؟

۷- هل هناك من ضرورة لتوفر بعض الظروف المعينة لمثل هذه الحكومة؟

۸- أمتوفرة مثل هذه الاستعدادات فى عالمنا المعاصر؟ وإن لم تكن كذلك فهل ينطلق هذا العالم فى العصر الراهن باتجاه تمهيد تلك المقدمات أم بالاتجاه المعاكس؟

۹- هل ترتبط هذه الامور- على كلّ حال- بالعقيدة العالمية العامة بالنسبة لظهور المصلح السماوى المطلق؟

۱۰- ما طبيعة عقيدة المسلمين بظهور «المهدى»

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰

وما كيفية ارتباطها بهذه القضايا المصيرية؟

۱۱- هل يسوقنا الاعتقاد بهذا الظهور إلى ممارسة العملية الاصلاحية للعالم من خلال النهضة الشاملة، أم يبعدنا عنها كما يذهب البعض إلى ذلك؟

۱۲- هل تمثل هذه الفكرة والعقيدة الدينية العامة حقيقة واقعية تنطلق من أدلة منطقية، أم لا تعدو الوهم والخيال بغية الاشباع الكاذب لرغبات الإنسان المكبوتة باتجاه ضالته الكبرى فى الوصول إلى «السلام» و «العدالة...»؟

سعينا فى هذا الكتاب للرد على هذه الأسئلة والاستفسارات بعيداً عن كافة أشكال التعصب والرؤى المتطرفة واجتناب الأحكام التى لا تستند إلى العقل والمنطق؛ الردود التى تنطلق من أعماق النفس وتحاكى الفكر وتلبى تطلعات «العقل» و «العاطفة» وتشبع حاجات الروح ومتطلباتها.

لقد أوردت عدة أبحاث منذ زمان بهذا الشأن، غير أنّ كثرة المشاغل فى قم لم تسمح لى ب

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱

«شرح» و «ترتيب» و «اكمال» ذلك، كما أنّ وساوسى المتواصلة فى تدوين الكتاب حالت دون طبعه بتلك الكيفية، حقاً كان الكتاب بسيطاً وليس ناضجاً.

إلّا أنّ بعض الأحداث دفعتنى إلى موقع لم أكن أتصوره أبداً. چاه بهار ...! أى أبعد منطقة إيرانية نائية ذات أسوأ مناخ، تبعد عن العاصمة طهران حوالى ۲۳۰۰ كيلومتر، كما لا تسع إمكاناتها المحدودة أبسط صور المعيشة، حيث يعانى سكنتها الأمرّين ويفتقرون إلى أدنى المتطلبات.

وقد تزامن هذا السفر لحسن الحظّ مع فصل الشتاء، الشتاء الذى كان يفيض بعطر الربيع تارة، وتفوح منه رائحة الصيف تارة اخرى، مع ما يتمتع به من برودة قارسة. ولما كان تسعون بالمئة من أهالى تلك المنطقة من أبناء العامة، فقد اغتنمت الفرصة لألتقى بعض مثقفيهم- لاتذكر الأيّام التى قضيتها فى الحجاز- وقد عقدت الجلسات والاجتماعات التى كان هؤلاء الاخوة يمثلون أغلبيتها الساحقة؛ وكانت لهذه الجلسات ثمراتها الرائعة ونتائجها المطلوبة وللّه الحمد.

طبعاً كان المجال واسعاً فى تلك المنطقة النائية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲

المحاذية لمياه بحر عمان الزرقاء، تحت قبة السماء المفعمة لياليها بالنجوم والكواكب وفى ظلّ العزلة؛ فما كان منى إلّاأن سارعت فى استغلال تلك الفرصة الذهبية لاعكف على تلك الأبحاث (إلى جانب الاستغراق فى بعض المطالعات والدراسات الفقهية التى لم أوفق إليها كما ينبغى فى قم المقدسة)؛ بالتالى خلصت إلى هذه النتيجة وهى أنّ «النفى» كان مرحلة ضرورية من عدة نواحٍ «عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم».

آمل أن تكون أبحاث هذا الكتاب قد انطوت على الاجابة عن استفسارات الشريحة الواعية التى تحاول الوقوف عن كثب وبصورة علمية تحقيقية على قضية ظهور المصلح العالمى المطلق.

كما أرجو الاستلهام من مطالعة هذا الكتاب فى مواصلة مسيرتنا الجهادية فى مجابهة «الظلم والفساد»، حتّى تحقيق الأهداف المنشودة فى القضاء على الطواغيت والجبابرة وتطهير المجتمع من أرجاسهم. ولا يسعنا فى الختام إلّا أن نتوقع إلى حد كبير وجود بعض النقائص فى محتويات هذا الكتاب، ولا سيّما بالنظر إلى قلة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳

التحقيقات الواردة بخصوص مطالب هذا الكتاب.

وعليه فإننا نفتح صدورنا أمام الاخوة القرّاء الأعزاء ليتحفونا باقتراحاتهم وانتقاداتهم ومراسلتنا مباشرة على العنوان التالى (قم- الحوزة العلمية).

چاه بهار- ناصر مكارم الشيرازى

شهر صفر سنة ۱۳۹۸ ه

شهر شباط سنة ۱۹۷۸ م

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴

المستقبل المشرق

اشارة

لدينا عدّة أسباب

تجعلنا نرى إشراقة مستقبل العالم

۱- مسيرة المجتمع البشرى التكاملية

۲- الانسجام مع النظام العام للخليقة

۳- ردود الأفعال الاجتماعية (قانون رد الفعل)

۴- الإلزامات والضرورات الاجتماعية

۵- الفطرة و «السلام والعدل العالمى»

۱- مسيرة المجتمع البشرى التكاملية

لا شك أنّ القرائن تشير على ضوء النظرة الابتدائية أنّ «الدنيا» تمضى قدماً نحو «الفاجعة»؛ الفاجعة الوليدة: «هجران العواطف» و «تعميق الهوة بين المجتمعات الغنية والفقيرة» و «تصاعد حدة الخلافات والنزاعات ما بين الدول الكبرى والضعيفة» و «ارتفاع منحنى الجرائم والجنايات» و «الاختلال الأخلاقى والفكرى والروحى» و «النتاجات المقيتة وغير المتوقعة التى أفرزتها حياة المكننة» وما شاكل ذلك.

الفاجعة التى تتبين ملامحها من خلال مقارنة الوضع السائد مع الماضى القريب، والتى تعتبر من العناصر المؤثرة فى تنمية روح التشاؤم فى الأعماق الفكرية لأكثر الأفراد تفاؤلًا.

يقول الخبراء العالميون:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷

«إنّ حجم القنابل النووية التى تغص بها ترسانة الدول الكبرى تكفى لابادة كلّ ما على سطح الكرة الأرضية ولسبع مرات وليس لمرة واحدة! ولا يبدو من العبث صنع مثل هذه الأسلحة بتلك التكاليف الفادحة التى تحسب بالأرقام النجومية، لقد صنعت لتستخدم فى الحرب الذرية الرهيبة؛ كما لا يبدو من الصعب اختلاق بعض الذرائع لانطلاق شرارة هذه الحرب فى هذا العالم المتخم بالصدامات الحدودية واشتباك المصالح والمناطق الساخنة المشرفة على الانفجار.

وأننا لنلمس «الشعور بالسيطرة والهيمنة» و «جنون القوة» التى تساور أذهان زعماء الدول العظمى والتى تكفى لنشوب هذه الحرب.

وعليه يمكن توقع حدوث «فاجعة كبرى» فى المستقبل القريب، ولعلّ البشرية مهددة بالفناء فى خضم حرب نووية شاملة، أو إثر الفقر الاقتصادى الذى يفرزه احتكار الدول العظمى، أو بفعل نفاد مصادر الطاقة أو تلوث البيئة».

رغم كلّ هذه العناصر المدعاة للتشاؤم، إلّاأنّ الدراسات والمطالعات العميقة تشير إلى المستقبل المشرق الذى ينتظر البشرية:

ستزول كلّ هذه السحب القاتمة والزوابع المرعبة.

ستنطلق تباشير الصباح من عتمة الليل.

وسيدمغ ربيع العدل والقسط شتاء الجهل والفساد والعنف والظلم.

سينجلى هذا الغم القاتل والعواصف المميتة والسيول الهدامة، ولو أمعنا النظر فى آفاق المستقبل لاستجلينا شاطئ النجاة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸

والدليل المنطقى الأوّل على هذا الموضوع هو قانون المسيرة التكاملية الذى يحكم المجتمعات:

فالإنسان لم يعِش الحياة الرتيبة قط منذ اليوم الذى تعرف فيه على ذاته، بل اندفع بوحى من نوازعه الباطنية- ولعلّه بصورة تلقائية- للنهوض بوضعه ومجتمعه نحو الأمام. فقد استوطن من حيث المسكن الكهوف والمغارات ذات يوم، وشيد اليوم ناطحات السحاب التى تستوعب كلّ واحدة منها سكان مدينة صغيرة وبكلّ الوسائل والامكانات الضرورية لمعيشتهم!

ومن حيث الملبس، ارتدى يوماً أوراق الأشجار، أما اليوم فهو يمتلك آلاف الأنواع من الألبسة وبمختلف الموضات والفصالات، ولم يكتف بالبحث عن انتقاء الألوان والموديلات.

وأما مأكله فقد كان يتناول الأطعمة الغاية فى البساطة آنذاك، بينما تنوعت اليوم مأكولاته وتشعبت أطعمته بحيث يتطلب ذكر أسمائها كتاباً ضخماً.

كما كان مركبه يوماً رجليه؛ واليوم يستقل السفن الفضائية ويحلق فى عنان السماء ويكتشف الكواكب والمجرات.

وكما كانت صفحة واحدة تستوعب يوماً كافة علومه ومعارفه- وإن لم يتوصل حينها إلى اختراع الخطّ- لكن تعجز اليوم حتّى ملايين الكتب والمؤلفات وفى مختلف التخصصات عن بيان معلوماته ومعارفه.

كان اكتشافه للنار آنذاك واختراع «العتلة» والظفر بالحربة الحادة الرأس من قبيل «الخنجر» ممّا يعتبره ذروة الابداع والاختراع، كما شعر بالفرح

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹

المفرط والسرور التام حين اطاح بجذع نخلة ليجعله بمثابة قنطرة يعبر بواسطتها من هذه الضفة من النهر إلى الاخرى، فى حين تمكن فى العصر الراهن من استخدام الصناعات الثقيلة والاختراعات العملاقة التى تخطف أبصار الناظرين وتقفز به أنظمة العقول الالكترونية المعقدة إلى عالم من الأحلام والآمال.

والغريب فى الأمر أنّ طموحه لم يتوقف عند هذا الحد، بل واصل سعيه الحثيث ليتسلق قمم التطور والنهوض دون أدنى كلل أو تعب.

ونخلص ممّا تقدّم إلى أنّ باطن الإنسان يشده إلى عشق السمو والتكامل؛ والحقيقة هى أنّ هذا الأمر يمثل إحدى أعظم الامتيازات التى تميز الإنسان عن الحيوانات وسائر الكائنات الحية التى تعشعش ملايين السنين فى موضع معين وتعيش حياة ظاهرية رتيبة.

كما نخلص إلى نتيجة مؤداها عدم خمود تلك الجذوة المتوقدة فى أعماق الإنسان والتى لا تنفك تسوقه إلى الكمال، وتعبئ طاقاته وامكاناته بغية التغلب على المصاعب والمطبات التى تعترض طريق حياته. لتقذف به فى خاتمة المطاف فى المجتمع الذى يختزن «التكامل الأخلاقى» إلى جانب «التكامل المادى»، المجتمع الذى تغيب فيه مفردات الحرب وسفك الدماء المضاد للتكامل.

المجتمع الذى تنضوى فيه كافة مقدرات الناس لسيادة العدل والسلام، وتموت فيه روح العدوان والاستعباد التى تمثل العقبة الكؤود التى تقف حائلًا دون تكامله المادى والمعنوى.

لعلّ هنالك من يزعم أنّ مسيرة التكامل الماضية إنّما تركزت جميعاً على

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰

النواحى المادية، ولا يوجد ما يشير إلى امتدادها لتشمل الجوانب المعنوية.

إلّا أنّ الاجابة عن هذا السؤال واضحة لما يلى:

أوّلًا: يمكن الوقوف على العديد من المبادئ المعنوية والاصول الإنسانية فى مسيرة التكامل الماضية؛ فالعلوم التى بلغها الإنسان- على سبيل المثال- فى ظلّ مسيرته التكاملية وبالذات غير المادية ليست بالقليلة، فليست هناك من نسبة على سبيل المثال للمقارنة والشبه بين إيمان الإنسان باللّه آنذاك والذى كان يعبر عنه بعبادته للحجر والخشب وما ينحته من التمر، وما هو عليه الحكيم العارف اليوم من ادراك وعبادة.

ثانياً: التكامل تكامل فى كافة المواقع؛ وليس هنالك من حدود كامنة فى هذا الإنسان بالنسبة لعشقه لذلك التكامل. أضف إلى ذلك فإن الاصول المادية والمعنوية ليست منفصلة عن بعضها. فمثلًا الروح العدائية والمتسلطة المتطلعة للهيمنة تقضى على الحياة المادية للإنسان على غرار ما تفعله القنبلة الذرية، بل ليس للأخيرة من فاعلية دون الاولى.

ومن هنا نفهم أنّ هذا التكامل سيتواصل فى كافة المجالات.

وعلى هـذا الضوء تلوح أوّل بارقـة أمل بغية الانفتاح على مستقبل مشـرق زاهر وعالم مفعم بالسـلام والوئام والاخوة والمساواة فى ظلّ «قانون المسيرة التكاملية للمجتمعات».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱

۲- الانسجام مع نظام العام للخليقة

يتألف عالم الوجود من سلسلة من الأنظمة. ووجود القوانين المنظمة والشاملة فى كافة أرجاء هذا العالم دليل على وحدة هذا النظام.

وتعتبر قضـية النظم والقانون على مستوى الخليقة من القضايا الأساسية لهذا العالم. على سبيل المثال، لو رأينا مئات الأجهزة الالكترونية الضـخمة تعمـل مع بعضـها البعض لتمهـد السبيـل من خلال حساباتها الدقيقـة أمام رواد الفضاء بغيـة الانطلاق إلى الأقمار والكواكب، وكـانت هـذه الحسابـات صائبـة بحيث تهبط السـفينة الفضائيـة على الموضع المتوقع فى القمر، رغم حالـة الحركـة السـريعة التى عليها الأـرض والقمر، فـإن ذلـك يجعلنـا نلتفـت إلى أنّ هـذه العمليـة إنمـا تتم من خلاـل نظـام دقيـق يحكم المنظومـة الشمسـية وسـياراتها وأقمارها؛ ذلك لأنّها إن انحرفت عن مسارها الثابت والمنظم لاختلت أوضاع رواد الفضاء وقذفوا فى المتاهات.

ولو تجاوزنا ذلك العالم العظيم ودخلنا العالم الصـغير فالأصـغر فالنظم الحاكم هنا- سيّما فى عالم الكائنات الحية- يبدو أنصع وضوحاً وحيوية بحيث لا مكان هنالك للفوضى. على سبيل المثال فإن اختلال نظام الخلايا

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲

الدماغية للإنسان يكفى فى تحويل حياته إلى صورة مفجعة مليئة بالهموم والأحزان. نشرت إحدى الصحف خبراً مفاده أنّ طالباً جامعياً نسـى كلّ ماضـيه إثر حادثـة مروريـة أصـيب خلالها برجـة دماغيـة؛ بينما لم يكن يشـكو من سائر أعضائه؛ لم يعد يعرف أخته وأخيه، ويشـعر بـالخوف والهلع من امّه التى احتضـنته وأرضـعته وضـمته بين ذراعيها وسـهرت الليالى على راحته، فهو ينظر بريب لهـذه المرأة الأجنبية ما عساها تريد منه!

حمـل إلى مسـقط رأسه، ثم إلى الغرفـة التى ترعرع وكبر فيها، يتأمل أعماله اليدويـة واللوحات الفنيـة، لعله يعود إلى رشـده فيقول إنّه يشاهـد هـذه الغرفـة وما فيها لأوّل مرة! وربّما كان يظن أنّه قـدم من كوكب آخر ليرى كلّ الأشـياء التى تبـدو له جديـدة ولم يكن قد تعرف عليها من قبل. بالطبع إنّما توقفت بعض الخلايا الدماغيـة ذات الصـلة بالذاكرة والتى تربط الماضـى بالحاضـر، دون سائر خلاياه التى ربّما جاوز عـددها المليار! مع ذلك فإن هذا الاختلال الموضـعى البسـيط أدّى إلى تلك الآثار السـلبية الفادحة! ولو اتجهنا صوب الـذرة وجعلناهـا تحت المجهر لبـدت لنا بشـكل منظومـة شمسـية، والعكس بالعكس لو صـغرنا على سبيل الفرض المنظومـة الشمسـية لظهرت كالذرة، فهنالك نظام واحد يحكمهما؛ نظام واحد لأعظم المنظومات وأصغرها!!

فهل يسع الإنسان فى مثل هذا العالم والذى يشـكل فيه جزءاً من الكلّ أن يعيش وضعاً استثنائياً بحيث يخرج من هذا النظام ولا ينسجم معه.

وهل يستطيع المجتمع البشرى أن يسلك «اللانظام» والفوضى والظلم

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳

والجور وينأى بنفسه بعيداً عن مسيرة الخليقة وهذا العالم العظيم بما ينطوى عليه من دقة ونظام!

أفلاـ نتـدبر من خلال نظرتنا إلى الأوضاع العامـة لهـذا العالم أن تخضع البشـرية برمتها شاءت أم أبت للنظام الـذى يحكمه، فتسـتجيب لقوانينه المنظمة والعادلة، فتعود إلى مسارها الأصلى وتتأقلم مع هذا النظام!

إننا إن تأملنا البنية المعقدة لأىمن أجهزة الإنسان لرأيناها تسير على هدى قوانين وأنظمة دقيقة وغاية فى الدقة؛ فإن كان الأمر كذلك فأنى للمجتمع البشرى أن يتمرد على الضوابط والمقررات الصـحيحة والعادلة! أننا ننشد البقاء ونجهد أنفسـنا من أجل الظفر به، غير أنّ

مستوى تفكير المجتمع لم يبلغ الدرجة التى تجعله يعلم بأنّ مواصلته لهذا الطريق إنّما تنتهى إلى الفناء والزوال، لكنه يفيق إلى عقله شيئاً فشيئاً ليقف على هذه الحقيقة.

وأننا لنسعى لتحقيق مصالحنا، غير أننا نغفل عن أنّ استمرارنا فى ممارسة أوضاعنا الفعلية إنّما تهدد بالصميم جميع منافعنا ومصالحنا. ونضع نصب أعيننا بعض الأرقام والاحصاءات الحية- على سبيل المثال قضية سياق إلى التسلح- لنرى كيفية ضياع ما يشكل نصف أنشط القوى الفكرية والطاقات الجسمية لمجتمعات العالم إلى جانب نصف ثرواتها وامكاناتها فى هذا المجال، ليس الضياع فحسب، بل توظف من أجل القضاء على النصف الآخر!

إننا لندرك على ضوء تنامى مستوانا الفكرى ضرورة الالتحاق بركب

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴

قافلة النظام العام لعالم الوجود، وكما نرانا حقّاً جزءاً من هذا الكل، فإن علينا تفعيل ذلك على مستوى العمل، لنتمكن بالتالى من تحقيق أهدافنا وفى كافة المجالات.

النتيجة: هى أنّ نظام الخليقة يعد الدليل الآخر على المستقبل الزاهر للبشرية على ضوء نظام اجتماعى صائب.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۵

ردود الأفعال الاجتماعية

إنّ قانون الفعل ورد الفعل الذى ينصّ على أنّ لكلّ فعل رد فعل يساويه فى المقدار ويعاكسه فى الاتجاه، بحيث لو اصطدم جسم بجدار بقوة معينة فإنّ هنالك ما يدفعه بنفس تلك القوة إلى الخلف، لا يقتصر على الأبحاث الفيزيائية، بل يبدو أكثر وضوحاً فى القضايا الاجتماعية.

ولعلّ الدراسات التأريخية ترشد إلى أنّ النهضات والثورات العملاقة إنّما كانت على الدوام ردود أفعال مباشرة تجاه ضغوط مسبقة؛ وربّما لم تقع ثورة عارمة فى العالم، إلّاإثر ضغوط شديدة سبقتها ومهدت لها. بعبارة اخرى أنّ التغييرات والتطورات وليدة التشددات؛ مثلًا:

۱- النهضة العلمية لأوربا (عصر النهضة)- كانت ردّة فعل ازاء الف سنة من الجهل والتخلف السائد فى القرون الوسطى، ومدى حجم الضغوط التى مارسها القائمون على شؤون الكنيسة بغية الابقاء على حالة التخلف لدى الناس- التى قضت على العوامل التى تقف وراء الجهل ورفعت راية العلم والمعرفة فأخذت تخفق فى كلّ مكان.

۲- الثورة الفرنسية عام ۱۷۸۹- التى شكلت قفزة نوعية فى المجال

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۶

السياسى والاجتماعى، فوقفت بوجه الاستبداد والاستغلال الطبقى والمنطق الغاشم والمتغطرس للأنظمة الحاكمة، وجعلت المجتمع الفرنسى ومن ثمّ سائر المجتمعات الأوربية تدخل مرحلة تأريخية جديدة يسود فيها القانون- طبعاً إلى حدود معينة- بدلًا من الاستبداد والطغيان.

۳- الثورة ضد العبودية- التى انطلقت شرارتها الاولى عام ۱۸۴۸ من بريطانيا- والتى افرزتها المعاملة الفضة والغليظة للأسياد تجاه العبيد، فأججت نار الثورة لدى العبيد من جانب، واثارة عواطف المجتمع لصالح أولئك العبيد من جانب آخر، فانتهى الأمر إلى زوال نظام الاستعباد، وإن اتخذ هذا الاستعباد صيغ اخرى أكبر سعة وأعظم خطورة، حيث ظهر «الاستعمار» بذريعة «إعادة بناء البلدان المتخلفة»! على كلّ حال فكان ينبغى القضاء على نظام الاستعباد، لكن اسلوب التعامل مع العبيد عجل فى القضاء عليه.

۴- الثورة على الاستعمار، فى عصرنا الراهن كانت وما زالت ردود فعل مباشرة لأساليب المستعمرين وتصرفاتهم، والتى ألهبت مشاعر

قطاعات الناس وجعلتهم يهبون لمناهضة القوى الاستعمارية، وإن لم تتمخض هذه المواجهة عن استقلال تام اقتصادى واجتماعى وسياسى وفكرى؛ غير أنها أفرزت أوضاعاً يصعب مقارنتها بما كانت عليه سابقاً.

۵- الثورة الشيوعية- عام ۱۹۱۷ م كردّة فعل لظلم الرأسمالية وهضمها لحقوق أغلبية طبقات المجتمع الكادحة والمحرومة؛ رغم ما ذكرناه فى موضعه- من أنّ هذه الثورة لم تحرر هذه الطبقات الضعيفة وترفع من شأنها واستعاضت عن ذلك النظام الاستبدادى بنظام ظالم آخر تمثل فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۷

«ديكتاتورية البرولتاريا» والتى تمثل فى الواقع هيمنة بعض رموز الحزب.

۶- الثورة على التمييز العنصرى كردّة فعل قام بها ذوو البشرة السوداء «الزنوج» ضد ذوى البشرة البيضاء، إلى جانب حرمانهم من حقوقهم الاجتماعية.

ولو تصفحنا التاريخ وعدنا إلى الوراء فإننا سنواجه قانون ردّ الفعل فى كلّ مكان. تاريخ الأنبياء هو الآخر ينطوى على سلسلة من النهضات والحركات التى أفرزها ما سبقها من ضغوط اجتماعية قوية، وقد وجه الأنبياء تلك النهضات فى مسارها الصحيح من خلال قيادتها على ضوء التعاليم السماوية. ولعلنا لا نتلمس مظاهر هذا القانون فى التاريخ القديم والمعاصر فى القصص الواقعية لحياة الامم والشعوب فحسب، بل إننا نرى نماذج ذلك القانون فى أساطير سائر الأقوام.

فقد جاء فى اسطورة «الضحاك» و «كاوه الحداد» أنّ دماغ الإنسان كان طعام الحيتان التى يحملها على كتفه، وكان عليه أن يخرج كلّ يوم دماغاً من جمجمة ويعطيها الحيتان كى تقرّ وتهدأ! ولعلّ هذه هى حقيقة «الاستعمار» الذى يقتات على الأدمغة؛ حيث يعتبر الاستعمار الفكرى الدعامة الأساسية لكافة أنواع الاستعمار!

ثمّ يطالعنا من بين ذلك المجتمع المحروم والذى يعانى من سطوة الضحاك، حداداً ذاق طعم النار فشمر عن ساعديه وجعل صدريته راية للثورة فواجه طغيان الضحاك وأطاح به.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۸

وتضمن علم النفس المعاصر بحثاً يكشف عن هذا القانون. يفيد هذا البحث: إنّرغبات الإنسان ما لم تشبع بالصورة المناسبة فإنّ هذه الرغبات تكبت فى اللاشعور لتنتقل من مرحلة «الشعور الظاهر» إلى مرحلة «الباطن» فتثير عقدة فى الضمير الباطن لدى هذا الإنسان. بل أبعد من ذلك أنّ البعض يعتقد أنّ الضمير الباطن ليس بشىء سوى هذه الرغبات المكبوتة، وأنها لا تستقر فى ضمير الإنسان وتنطفىء جذوتها، وتسعى دائماً لأن تطفو على السطح؛ وتبدو متفاوتةً ردود فعل هذه العقد لدى الأفراد، لكن يمكن القول إنّها عادة ما تعبر عن نفسها بإحدى الصيغ الآتية:

۱- عن طريق إيجاد بعض الاختلالات النفسية وعرقلة التفكير التلقائى.

۲- عن طريق الهروب من المجتمع والتقوقع والتشاؤم.

۳- عن طريق الثأر من المجتمع الذى جعله كذلك.

۴- عن طريق الاشباع الفارغ والخيالى.

۵- عن طريق «التصعيد» والتحليق نحو المراحل الأرفع!

مثلًا، افرض أنّ فتى كانت له رغبة شديدة بفتاة، وحال والداه دون الزواج من هذه الفتاة، فالواقع أنّ هذه الرغبة الجامحة ستكبت فى عقله الباطن، وهى ليس فقط لا تزول، بل ستظهر سريعاً بصيغة ردود أفعال عنيفة.

فلربّما جعلته مجنوناً، أو تسوقه إلى التقوقع والانطواء، أو تحيله إلى إنسان يحب الثأر والانتقام وبالتالى تجعله مجرماً خطيراً، أو تشده إلى الشعر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۹

والأدب، ليعيش تلك الأجواء الرومانسية التى تسوقه إلى الأحلام بغية الوصال بالمحبوب.

لكن قد يتبدل نفس هذا العشق المادى أحياناً إلى عشق سماوى وربانى عميق، فينزع من قلبه ما سوى اللّه ليكون شخصاً عارفاً وحكيماً منطوياً على أفكار رفيعة متعالية؛ طبعاً ينشأ هذا الاختلاف من سائر الاختلافات النفسية والاستعدادات الروحية لمختلف الأفراد.

وبناءاً على ما تقدّم فإننا نلاحظ أنّ الضغوط النفسية إنّما تواجه عادة بردود فعل عنيفة وثورات ونهضات متنوعة.

النتيجة:

يشير هذا القانون إلى أنّ أوضاع العالم الراهنة حبلى بالثورة. فضغوط الحروب والمظالم والممارسات الشنعاء والتمييز العنصرى وانتهاك العدالة، إلى جانب فشل الإنسان وشعوره بالاحباط من القوانين السائدة فى القضاء على هذه الضغوط ومعالجتها، سيجعلها تبرز إلى السطح فى خاتمة المطاف بصيغة ردود فعل عنيفة. وبالتالى فإنّ هذه الرغبات الإنسانية المكبوتة ستتحول فى ظل تنامى مستوى يقظة الامم إلى عقدة اجتماعية تنطلق من العقل الباطن للمجتمع لتطيح بهذا النظام السائد لدى المجتمعات البشرية، وتقدم مشروعها الحديث؛ المشروع الذى يغيب فيه سباق التسلح المقيت من جانب، كما لا تشم فيه رائحة النزاعات البغيضة والحروب الدموية الطاحنة ومفردات الاستعمار والاستبداد والظلم والفساد من جانب آخر.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۰

وهذه بارقة أمل اخرى على إشراقة المستقبل الذى ينتظر المجتمع العالمى.

الالزامات والضرورات الاجتماعية

المراد من «الالزام الاجتماعى» أنّ وضع الحياة الاجتماعية للإنسان يبلغ مرحلة بحيث يشعر بحاجته إلى مطلب معين بصفته ضرورة.

ونعلم بالطبع أنّ الإنسان يريد بادئ الأمر أن يكون حراً من جميع النواحى دون أدنى قيود أو حدود تعكر صفو حياته، غير أنّه يدرك شيئاً فشيئاً أنّ مثل هذه الحرية تنأى به بعيداً وتحرمه من سلسلة من الاعتبارات التى تتمتع بها الحياة الجماعية، وبالتالى لا تلبى رغباته الأصيلة والأساسية، ولو لم يقر ببعض القيود والبنود التى يصطلح عليها بالقانون، فسوف لن يكون نصيب المجتمع الذى يعيش فيه سوى الفوضى والهرج والمرج والفناء.

وهنا ينصاع إلى القوانين والمقررات. كما أنّ تطور المجتمعات يسهم كلّ آن فى مضاعفة هذه القيود، وعليه أن يقر بها جميعاً كضرورة. أضرب مثلًا بسيطاً على هذا الموضوع بشأن مقررات السياقة والاشارات الضوئية، فالإنسان الذى يمتلك سيارة حديثة سريعة يرغب بأن يمارس حريته فى الذهاب إلى أى مكان، والوقوف فى الموضع الذى يحب، ويسير بالسرعة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۲

التى تعجبه، ومواصلة الحركة فى تقاطع الطرق بعيداً عن الوقوف وضياع الوقت وانتظار إشارة المرور؛ لكنه سرعان ما يفهم أنّه إن فعل ذلك فليس هنالك ما يمنع الآخرين منه، وبالتالى سوف لن يكون هناك سوى الفوضى والارباك وأنواع المخاطر.

وعليه فإنّ عدم صواب هذا العمل لا يخفى اليوم حتّى على الأطفال؛ ولابدّ من وجود بعض المقررات وإن تأخر الإنسان لساعات قبل بلوغه المكان الذى يريد، كما لابدّ أن تكون هنالك بعض الغرامات والضوابط الشديدة (العادلة والمنسجمة مع العقل) وإلّا فإنّ مئات الأفراد سيفقدون أرواحهم كلّ يوم أو تتحطم سياراتهم الشخصية.

هذا ما نقوله «عن الضرورة» أو «الإلزام الاجتماعى» إلّاأنّ المهم هو أنّ «الحاجة الواقعية» لمجتمع تبدو ملحة بحيث يقر بضرورتها على الأقل مفكرو المجتمع وقادته؛ ويتوقف هذا فى الدرجة الاولى على الوعى الاجتماعى لأفراد المجتمع، ومن ثمّ اتضاح النتائج السلبية

لأوضاع المجتمع القائمة واستحالة مواصلة الدرب. ولذلك لا نرى من جدوى للصرخات التى تطلق هنا وهناك بشأن تلوث البيئة، وليس هنالك من يكترث للمقررات المتعلقة بنظافة البيئة.

لكن حين يرى الناس- على سبيل المثال- التلوث الذى يصيب منطقة معينة كطهران بحيث يبرز فيها العديد من الأمراض التى تهدد صحة الناس، ويتعذر عليهم التنفس، وتصاب عيونهم بالحرقة، حتّى قال بعض الإحصائيين: يصاب بالعمى عشرة أشخاص يومياً؛ ويسود اللعاب لمجرد التواجد بضع ساعات فى المدينة، وانتشار الأمراض الجلدية وضيق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۳

الأجهزة التنفسية وإصابة القلب والكبد وظهور حالات التسمم، فهنا ينصاع إلى المقررات الشاقة والمعقدة بصفتها ضرورة، ويستجيب لكافة الامور من قبيل اغلاق المصانع والمعامل الضخمة، والتخلى عن آلاف الوسائط النقلية ذات الدخان، والامتناع عن ممارسة أغلب الانشطة الاقتصادية ذات الأرباح الباهضة والتى توجب تلوث الأجواء.

ونعود الآن إلى أصل الموضوع على ضوء هذا المثال؛ لعلّ الصورة التى رسمها إنسان القرن السابع عشر والثامن عشر عن القرن العشرين إثر مشاهدته للتطور الصناعى إنّما كانت جنة، فاعتقد أنّ تلك الثورة الصناعية التى انطوت على كلّ هذا التطور والازدهار ستؤدى يوماً إلى:

اكتشاف المصادر الجوفية الواحد تلو الآخر؛

السيطرة العلمية على الطاقة «الذرية» التى تعد أهم وأعظم مصادر الطاقة؛

تحقيق حلم الإنسان بالتحليق فى السماء؛

بمجرّد أنّ يضغط الإنسان على زر سينظف البيت وينضج الطعام وتغسل الثياب ويدفأ البيت فى فصل الشتاء ويبرد فى الصيف؛ وما أن يضغط على زر حتّى تحرث الأرض فيلقى فيها البذور فيجنى محاصيلها بالماكنة والحاصودة فيعلبها ويجهزها للاستهلاك و...

آنذاك يجلس الإنسان فى موضعه وينعم بالرفاه والدعة!

لكنه غفل عن أنّ إنسان الصناعة وحياة المكننة سوف لا يتمتع بهذه

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۴

الرفاهية، بل سوف لا ينتهى هذا التطور التكنولوجى سوى إلى المزيد من التعقيدات والارباكات التى تكدر صفو الحياة، وسيلقى شبح «الحروب العالمية» بظلاله المرعبة على كافة مرافق حياته بما فيها قطاع الصناعة بالشكل الذى يحيلها خراباً ودماراً! حينئذٍ يدرك مدى خطورة هذه الحياة! فإن كان الكلام فى الماضى عن الحروب التى تؤدى بحياة بضعة آلاف من الناس، فالحديث اليوم عن حرب متوقعة أدنى نتائجها حضارة العالم والمدنية والعودة القهقرى إلى العصر الحجرى! وسيفهم تدريجياً أنّ المقررات السابقة لم تعد كافية لحفظ النجاحات الباهرة التى حققها فى ميدان الصناعة والحضارة، ولابدّ من الانصياع لمقررات إضافية جديدة.

كما سيشعر شيئاً فشيئاً بأنّ «قيام الحكومة العالمية الواحدة» التى ستضع حداً لسباق التسلح المهلك والقضاء على أطماع الدول الكبرى وما تثيره من نزاعات وصدامات، سيكون «ضرورة» و «واقع لابدّ من تحققه»، آنذاك ستزول هذه الحدود المصطنعة ذات الطبيعة المعقدة لتعيش البشرية برمتها تحت راية واحدة وتمارس حياتها فى ظلّ قانون واحد جامع!

وسيأتى اليوم الذى يتكامل فيه الشعور الاجتماعى والوعى لدى العالم ليرى بوضوح ذلك التوزيع الظالم للثروات بحيث ينعم البعض بالرفاهية وطيب العيش ويفرد فيه بعض الأماكن للحيوانات (كالكلاب والقطط) من قبيل المستشفيات والأطباء والمبانى الشاهقة، بينما يأن البعض الآخر من الجوع والعطش والحرمان من أدنى متطلبات العيش ووسائل الحياة.

لا شك فى أنّ العالم لم ولن يذوق طعم الأمن والاستقرار إن ظلّ مفتقراً للنظام الذى يتكفل بالتوزيع العادل للثروات، وسوف لن يقتصر البلاء على

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۵

البلدان الفقيره دون تلك الغنية. فإن بلغت هذه الامور مرحلة الضرورة إثر اتضاح وظهور ردود الفعل المقيتة التى يفرزها الواقع الموجود وتنامى الشعور الاجتماعى العام، آنذاك ستكون الثورة والنهضة حتمية الوقوع، على غرار ما حصل فى الماضى.

وعليه فإنّ «الالزام الاجتماعى» يعد العنصر الآخر الذى سيدفع بالمجتمع البشرى شاء أم أبى نحو حياة مفعمة بالعدل والسلام، ويرسى قواعد الحكومة العالمية على أساس مشروع جديد.

ملامح من الوعى الذاتى للناس:

اشارة

كان الموضوع فى أنّ القرائن الموجودة هل تشير إلى أنّ مستقبل العالم يتمثل فى العدل والسلام أم الظلم والقضاء على الجيل الإنسانى؟

ظفرنا لحدّ الآن من خلال أربعة طرق على بعض الأدلة الواضحة التى تؤيد الاحتمال الأوّل، لكن قد يقال بالمقابل إن كان الأمر كذلك مالنا لا نرى فى ظلّ هذه الأوضاع والحياة المعاصره ما يشير إلى أنّ البشرية تتجه نحو تحقيق الأهداف المذكورة، بل بالعكس ليس هنالك- وعلى ضوء الوضع القائم- سوى اليأس والاحباط!

نحن بدورنا نقر بأن الأمر يبدو كذلك للوهلة الاولى، إلّاأنّ التأمل يفيد أنّ الإنسان المعاصر يحث الخطى باتجاه الهدف المذكور وتبدو ملامح وعيه الذاتى على مستوى الفكر والحياة، رغم كلّ هذه الانتهاكات والاعتداءات

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۶

والمظالم والدمار.

وبالرغم من أنّ هذه الخطوات ليست بالكبيرة، أو الجدية كما ينبغى، مع ذلك فهى طفرة جديرة بالاهتمام بالنسبة للاعداد الفكرى للأجواء.

وإليك بعض نماذج هذه القرائن:

۱- تشكيل المجامع الدولية واعداد ميثاق حقوق الإنسان

نعلم أنّ الحرب العالمية الاولى والثانية أشبه شىء بحالة الجنون الادوارى فى العالم البشرى، لكنها افرزت بعض العناصر التى تدعو إلى الوعى واليقظة إزاء تلك الآثار السلبية المميتة.

لقد تشكلت «عصبة الامم» عقيب الحرب العالمية الاولى، لكنها لم تلبث حتّى تعالى زئير قذائف مدافع الحرب العالمية الثانية. ورغم قصر مدة تلك التجربة إلّاأنها أدّت إلى تشكيل مرجعاً عالمياً يبدو أكثر رصانة من سابقه أصطلح عليه باسم «منظمة الامم المتحدة» التى أصدرت تلك الوثيقة الرائعة «ميثاق حقوق الإنسان».

طبعاً لا ننكر أنّ أغلب مواده وفقراته من قبيل المثل المعروف لدينا «القط والجرس» ولا يمكن أن نظفر بمن يسعه تعليق الجرس على القط فى الظروف الراهنة، مع ذلك لا يسعنا أن ننكر أيضاً كونه يشكل خطوة إيجابية رغم ما يكتنفه من نقص ومثلبة، وأنّ أغلب الناس تؤمن بصحّة هذا الاسلوب وإن تعثروا فى العمل. ولكم أن تلاحظوا الآن أليست هذه المواد التى سنوردها من الميثاق المذكور، هى تلك التى ذكرناها فى الأبحاث السابقة؟!

المادة الاولى: جميع الأفراد يردون أحراراً إلى الدنيا، وهم اخوة فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۷

الحقوق والاعتبار، لكلّ منهم عقل وضمير، وينبغى أن يعامل بعضهم البعض الآخر بروح التاخى...

المادة الثالثة: لكلّ حقّ الحرية والحياة والأمن و...

المادة الخامسة: لا يحقّ لأحد أن يعذب آخر ويعامله معاملة سيئة وظالمة خلافاً للمبادئ الإنسانية.

المادة السادسة: ينظر القانون إلى كلّ شخص بصفته إنساناً إينما كان.

المادة السابعة: الكلّ سواسية أمام القانون، ويتمتعون جميعاً بحماية القانون دون تمييز ويتساوون فى الحقوق.

المادة السادسة والعشرون: لكلّ فرد حقّ التربية والتعليم ... وأن تكون غاية هذا التعليم إيصال الإنسان إلى التنمية والازدهار، ويراعى حقوق الناس وحرياتهم...

المادة التاسعة والعشرون: كلّ فرد مكلف إزاء المجتمع بتوفير ممهدات حريته وتبلور شخصيته.

وأخيراً فإن المادة الثلاثين من الميثاق المذكور تغلق الطريق بوجه جميع المستغلين.

المادة الثلاثون: لا ينبغى تفسير أى من مواد هذا الميثاق بحيث يتضمن حقّاً لدولة أو جمعية أو فرد من شأنه القضاء على الحقوق والحريات الواردة فيه.

نُذكِّر ثانية بعدم تفاؤلنا إلى هذا الحدّ فى أنّ هذه الشعارات البراقة التى تسحر القلوب إنما تشبه إلى حدّ بعيد وفى ظلّ الظروف الراهنة حلماً جميلًا بعيداً جدّاً عن التحقق الخارجى، لكن لا يسعنا بالمقابل إنكار هذه الحقيقة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۸

فى أنّ الميثاق المذكور جعل البشرية تدخل مرحلة تاريخية جديدة.

نعلم أنّ «منظمة الامم المتحدة» هى فى الواقع بحكم «المنظمة الامّ» وقد انبثقت منها عدة شعب إحداها تتمثل فى «مجلس الأمن».

الفارق بين هذا «الابن» وتلك «الامّ» أنّه ليست لهذه الأخيرة من قدرة تنفيذية، ولا تعدو مقرراتها كونها سلسلة من الوصايا الرسمية لبلدان العالم.

ومن هنا فإنّ بعض الأفراد المتشائمين لا يرى فى هذه المنظمة الدولية سوى أنها «منبر خطابة» أو «صالة الخطاب العالمى» أو «البرلمان الحرّ» وما إلى ذلك من المسميات؛ لكن مهما يكن الأمر فهى تستبطن هذه الفائدة فى اشتراك كافة بلدان العالم فيها فى التصويت على أساس «التكافؤ والمساواة»، ولمقرراتها آثارها النفسية والمعنوية الواضحة لدى الشعوب والرأى العام العالمى. بينما يتمتع «مجلس الأمن» بقدرة إجرائية وتنفيذية كافية! ولو أراد لاستطاع تفعيل قراراته، لكن ممّا يؤسف له افتقاره للقدرة الكافية على التصويت والاقتراع؛ ذلك لتمتع الدول العظمى الخمس «أمريكا وروسيا والصين وفرنسا وبريطانيا» الدائمة العضوية بحقّ النقض «الفيتو» حيث يسعها احباط أى قرار لا يروق لها.

ولعلّ هذا الحقّ الذى خلفه الاستعمار إنما يهدد هذا المركز الدولى ويعطل جميع مشاريعه وقراراته.

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ هنالك مؤسسة تتمتع بقدرة الاجراء دون التصويت واخرى تصوت دون أن تكون لها قدرة على الاجراء والتنفيذ!

لكن رغم كلّ هذه الاشكالات فإن هذه المنظمة الدولية وانجازاتها، وهذه المؤسسة ذات الضجيج العالى والقليلة الأثر إن راعينا العدل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۹

والانصاف، استطاعت أن تقوم لحدّ الآن ببعض الأعمال المهمة- رغم صغرها- وبغض النظر عن فاعليتها فإنّ صورتها الظاهرية هذه، دليل على تبلور اسلوب حديث من التفكير فى العالم انطلق من مراحل «شبه جدية» أقرب شىء للعفوية والمزاح وتتحرك باتجاه مراحل أكثر جدية؛ بحيث تشعر جميع بلدان العالم رغم اختلافها فى المذاهب والأساليب بحاجة إلى وجود هذه المنظمة، ولاترى

صحّة تجاهلها.

۲- الحوار عن خلع الأسلحة

رغم أنّ هذا الموضوع لم يخرج لحدّ الآن من دائرة النقاش وعقد الاجتماعات واستهلاك الأوراق؛ وكلّ ما صدر لحدّ الآن من المنظمات العالمية لنزع الأسلحة إنما يدلّ على «اتساع سباق التسلح»، إلّاأن ترحيب عامة بلدان العالم بهذا الاقتراح يكشف عن ظهور اليقظة والوعى فى الضمير العالمى؛ وعلى الأقل فإن كافة الدول الكبرى والصغرى وقفت على عظم حاجتها لكلّ هذه «الثروات» و «الأدمغة» لتوظف فى «القضايا العمرانية» بدلًا من هدرها فى صنع الآلات العسكرية مع ما تتطلبه من طاقات بشرية، فالكلّ يسعى على طريقته لينقذ نفسه من هذا الفخ الخطير، ولابدّ أن تأتى الساعة التى تستغل فيها هذه الثروات الإنسانية والاقتصادية العظيمة لصالح البنى التحتية والمراكز الخيرية الضعيفة. لقد قدمت إحدى مؤسسات الاحصاء العالمية بعض الاحصاءات الخيالية بشأن الميزانية التى ترصدها كلّ دولة من الدول العظمى لجيوشها وجنودها- الجنود الذين يمثلون أعظم أعضاء المجتمع فتوة وحيوية- مع ذلك تشير الاحصائية المذكورة إلى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۰

وجود نزعة تفكيرية إلى جانب ذلك البرنامج الفاحش، والتى تصرح باستحالة استمرار هذا البرنامج ولابدّ من إعادة النظر فيه.

وهذا بدوره يشكل خطوة اخرى نحو تحقيق ذلك الهدف العظيم.

۳- هجوم السلام!

يتحدّث الجميع فى عالمنا المعاصر عن السلام؛ حتّى طلاب الحرب! ذلك لأن النفرة من الحرب أصبحت شاملة عامة، وما زالت الصور المرعبة لآثار الحروب العالمية المدمرة عالقة فى الذاكرة ولا يمكن نسيانها! رغم أنّ التحمس للصلح والسلام- كسائر معظم رغبات الإنسان- لم تتجاوز حدود الأمنية؛ وما زال يستغل هنا وهناك كشعار. مع ذلك فإن هذا الوضع- على كلّ حال- يشير إلى «عطش عام» إلى «ماء الصلح» من قبل الجميع. والواقع هو أنّ الناس تنظر إلى ذلك بصفته الركيزة الأساسية للنهوض بكافة مرافق الحياة، ولا سيّما بالنظر إلى أنّ الحروب الحديثه باهضة التكاليف ومدمرة، فقد يعانى بلد من تخلف اقتصادى وعمرانى لعشرات السنين إثر بضعة أيّام من الحرب، ناهيك عن تكبده أفدح الخسائر بالأموال والأرواح، ولربّما بلغت المليارات من الدنانير وآلاف القتلى والجرحى. حقّاً لا ينبغى الاستخفاف بهذه الرغبة العامة؛ لأن كلّ نهضة وحركة إنما تنطلق بادئ الأمر على أساس كونها «أمنية» و «رغبة دون سند» أو «شعار براق»، ومن ثمّ تتحول إلى «ضرورة» و «واقع قائم» يغير تدريجياً أركان المجتمع.

تفيد التقارير أن وقف إطلاق النار بين فيتنام وأمريكا نقض خمسمئة مرة، لكننا رأينا فى خاتمة المطاف كيف بلغ المرحلة الجدية والقطعية،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۱

والضرورة التى ينبغى تحققها إنما تحققت بانتصار فيتنام.

۴- مشروع الحكومة الإسلامية «۱»

حظىَ هذا المشروع أخيراً بالكثير من الأنصار، وورد الحديث بشأنه فى مختلف الأوساط، حتّى ذهب البعض إلى أنّ مشروع اللغة الدولية الذى أخذ يتنامى تأثيره ويتسع مؤخراً إنما يعد مقدمة لذلك المشروع الكبير. وهذا بدوره يمثل خطوة مؤثرة اخرى بغية بلوغ ذلك الهدف النهائى.

طبعاً ممّا لا شك فيه أنّ التوجه الراهن للعالم فى ظلّ هذه الظروف لا يبدو مستعداً لمثل هذه الحكومة؛ ذلك لأن قضية الاعراق السوداء والبيضاء لم تحل فى المجتمع الذى يعد مدنياً متحضراً كالولايات المتحدة، وما زال السود (الزنوج) يأنون فى هذا المجتمع من التمييز العنصرى المقيت. وما زال النظام العنصرى فى جنون أفريقيا يحظى بدعم الدول العظمى، وما زالت الهوة قائمة بين الفئات الثلاث «المتخلفة» و «السائرة نحو التنمية» و «النامية» بل تعمقت أكثر فأكثر.

لكن بالرغم من كلّ ذلك- كما قلنا- فإن سعة هذه الأفكار وانتشارها واستيعابها من قبل أغلب قطاعات العالم وإن لاح فى الافق البعيد، إلّاأنّه دليل حى على نضج الاستعداد الروحى والفكرى والاجتماعى لتحقق العدل والسلام العالمى.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۲

ناهيك عمّا أوردنا فإنّ بعض القرائن الاخرى هنا وهنالك فى المجتمعات البشرية من قبيل «السوق المشتركة» و «المحافل الدولية الكبرى» وكافة اشكال النزوع نحو الحياة الجماعية والجنوح نحو الوحدة، تشير جميعاً إلى أنّ العالم قطع مسيرة طويلة نحو الهدف المذكور؛ ويبشرنا فى خاتمة المطاف ببلوغ هذا الهدف.

الفطرة و «العدل والسلام العالمى»

اشارة

يمكن دراسة كلّ قضية من خلال طريقين؛ «العقل» و «العاطفة والفطرة» والفطرة هى الالهام والادراك الباطنى الذى لا يحتاج إلى الدليل، أى يقره الإنسان ويؤمن به دون قيام الدليل والبرهان. وربّما تكون هذه الالهامات الباطنية أعظم أصالة من أحكام العقل، حيث هذه ادراكات ذاتية، وتلك معلومات اكتسابية.

ويصطلح عادة على هذه الالهامات لدى الحيوانات ب «الغريزة»؛ ولهذه الغرائز قاعدة عريضة فى الحيوانات إلى جانب دورها المهم؛ بل يمكن القول إنّ المحور الأصلى لحياة الحيوانات إنما يستند إلى الغرائز.

وقد تكون انعكاسات هذه الغرائز على درجة من الدهشة بحيث يشعر الإنسان إزائها بالعجز رغم امتلاكه لكلّ هذه الوسائل الصناعية المتطورة والأدوات الالكترونية المعقدة. مثلًا، كثيرة هى الحيوانات والحشرات التى تتحسس وضع الجو، لعلّ ذلك أحياناً ليوم واحد وأحياناً اخرى لستة أشهر، بل قرأت فى صحيفة أنّ نوعاً من الجراد يتكهن بأوضاع الجو قبل سنة، حقّاً أنّه لمن المثير للدهشة أنّ إنسان عصر الفضاء ورغم كلّ ما

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۴

يمتلكه من أجهزة دقيقة صنعت لأجل التكهن بالأنواء الجوية، ونصبه لكلّ المراصد فى مختلف المناطق وإعداده للخرائط الجوية وما يرصد لها من ميزانية ضخمة لا يسعه التكهن بهذه الأوضاع لأكثر من ست ساعات، وبالعبارات التالية المذبذبة:

غائم جزئى.

غائم تماماً.

مع احتمال زخات مطر.

ولعلّه يكون مصحوباً بمطر شديد.

ويحتمل أن يكون صحواً ومشمساً...!

أمّا تلك الحشرة العالمة بالأنواء الجوية فهى تتكهن بالأوضاع قبل ستة أشهر ودون الاتصال بسائر الحشرات؛ أى تتنبئ بأوضاع الشتاء فى فصل الصيف وتعد نفسها للتكيف مع تلك الأوضاع.

ولعلّ سبب قلة معلومات الإنسان الفطرية مقارنة بسائر الكائنات الحية إلى الحيز العظيم من القدرة العقلية المودعة لديه والتى يمكنها معالجة نقصه فى سائر المجالات؛ لكن على كلّ حال فإن الإنسان يستلهم من هذه الفطره فى تلبية حاجاته الضرورية وشؤونه المعاشية فى حياته، ولهذا السراج دوره فى ارشادنا إلى مسيرتنا القادمة.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل لهذه الالهامات الفطرية أن تساعدنا بشأن ما نحن بصدده، أى نهاية العالم بالحرب وسفك الدماء والظلم والجور أو قيام حكومة العدل والسلام والأمن أم لا؟

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۵

الجواب بالايجاب عن هذا السؤال؛ فهنالك قرينتان مهمتان يمكنهما ارشادنا إلى هذه الحقيقة:

۱- حبّ العدل والسلام

هنالك حبّ للعدل والسلام كامن فى عمق روح كلّ إنسان؛ فالجميع يتلذذ بالعدل والسلام؛ والكلّ يسعى إلى عالم يسوده هذان الركنان؛ رغم كلّ الخلافات السائدة بين الشعوب من حيث اسلوب التفكير والسن والآداب والعادات والتقاليد والمدارس والمذاهب والنزعات والرغبات؛ فالجميع مغرم بالعدل والسلام دون استثناء، ولا أظن هناك دليلًا أعظم من كون القضية فطرية؛ فالمفروغ منه أنّ شمولية وعمومية المتطلبات دلالة على فطريتها.

فهل هذا عطش كاذب؟ أم أنّه حاجة حقيقية تهتدى إليها الفطره بمعونة العقل، ليؤكد ضرورتها الملحة؟ (ينبغى التأمل).

أفلا يدلّ عطشنا الدائمى على وجود الماء فى الطبيعة، ولو لم يكن للماء وجود خارجى فهل من وجود فى باطننا للعطش والرغبة فيه؟

إننا لنصرخ، ونتأوه، وتتعالى أصواتنا فى طلب العدل والسلام؛ وهذا دليل على تحقق هذه الرغبة فى خاتمة المطاف وتطبيقها فى العالم.

ليس هنالك أصلًا من مفهوم للفطرة الكاذبة، ذلك لأننا نعلم أنّ الخلق وعالم الطبيعة وحدة واحدة متصلة، وليست مركبة من سلسلة موجودات منفصلة عن بعضها البعض الآخر.

الجميع بمنزلة شجرة عظيمة امتدت أغصانها العملاقة لأنحاء الوجود،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۶

وربّما كانت هنالك مسافة تقدر بملايين السنين الضوئية بين غصنين من أغصانها أو حتّى بين بذورها، إلّاأنّ هذه المسافة ليست دليلًا على انفصالها وتفككها، بل تعد من خصائص سعتها وعظمتها.

إنّ كلّ جزء فى هذه الوحدة العظيمة دليل على الكلّ، وكلّ فرع مرتبط بالآخر، وردود أفعالها مرتبطة مع بعضها؛ وكلّ واحدة قرينة على وجود الاخرى، والجميع يسقى من جذر واحد. وعلى هذا الأساس فإن «كلّ عشق أصيل وفطرى يحكى عن وجود معشوق فى الخارج وأنّه جذبة واندفاع نحوه». و «العشق» الذى لا مكان لمعشوقه سوى فى عالم الرؤيا هو «عشق مزيف»؛ وليس للزيف من مكان فى عالم الطبيعة؛ والانحراف عن مسار الخلق فقط من شأنه استبدال الموجود المزيف بواقع أصيل. (ينبغى التأمل).

على أيّة حال فإن فطرة الإنسان تنادى بوضوح أنّ العدل والسلام سيعم العالم فى نهاية المطاف وينهار الظلم والجور، فهذه حاجة إنسانية مطلقة.

۲- الانتظار المطلق للمنقذ

يبدو أنّ الجميع متفق على أنّ كافة شعوب العالم تنتظر زعيماً ثورياً عظيماً اصطلحت عليه باسم معين، إلّاأنّهم يتفقون جميعاً على صفاته الكلية ومبادئ ثورته. وبناءً على ما تقدّم فإنّ قضية الإيمان بظهور المنقذ والمصلح المطلق الذى يعالج أنين البشرية ويضع حدّاً لمعاناتها لا يقتصر على المسلمين أو بعض المذاهب والمدارس الشرقية؛ بل تفيد «الوثائق والأدلة» أنّ هذه الفكرة قديمة ومتأصلة لدى

جميع شعوب الشرق والغرب، وإن تأكدت هذه القضية لدى بعض الأديان كالديانة الإسلامية. وهذا دليل آخر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۷

وشهادة حية على كون هذه المسألة فطرية.

ونشير هنا بصورة مقتضبة إلى نماذج هذا الاعتقاد لدى الامم والشعوب من أجل غايتين؛ الاولى: الالتفات إلى عمومية هذه المسألة، والاخرى:

الالتفات إلى المبادئ المشتركة بشأن مشاريع ذلك المصلح الكبير لدى جميع تلك الأقوام.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۹

الشعوب والمصلح العظيم

مشروع المصلح فى كتب الزرادشت:

۱- ورد فى كتاب «زند» بعد الصراع الأبدى بين الأخيار والأشرار:

«آنذاك يكون النصر للاخيار، ويقضون على الأشرار...

وما أن يتغلب الأخيار حتّى تتحقق السعادة فى العالم وينعم بنو آدم بالخير والرفاه».

۲- روى «جاماسب» فى رسالة سفره عن زرادشت أنّه قال:

«يخرج رجل من أرض تازيان ... رجل عظيم الرأس والبدن وطويل الساق ويتجه إلى ايران بجيشه الكبير ودين جده فيملأ الأرض عدلًا.

نماذج هذا الاعتقاد فى كتب الهند والبراهمة».

۱- جاء فى أحد الكتب الهندية «وشن جك»:

«ستعود الدنيا آخر الأمر إلى رجل يحب اللّه ومن خاصة عباده.

واسمه مبارك وميمون»!

۲- كما جاء فى كتاب آخر اسمه «ديده»:

«سيظهر آخر الزمان بعد خراب الدنيا ملك هو إمام الخلق. واسمه

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۰

منصور يستولى على جميع العالم ويلحقه بدينه».

۳- وورد فى أحد كتب البراهمة «دداتك» وهو من الكتب المقدسة...:

«سيظهر رجل الحق ويسيطر على مشرق العالم ومغربه ويهدى جميع الخلائق».

۴- وجاء فى كتب الهنود «باتيكل»:

«إن انتهى النهار وتجددت الدنيا القديمة وأصبحت حية وظهر صاحب الملك؛ أحد أبناء إمامى العالم أحدهما ناموس آخر الزمان، والآخر يدعى بشن واسم صاحب الملك «المرشد»، هو الملك حقّاً والخليفة الذى يلى الحكومة وله معجزات كثيرة».

۵- وورد فى كتاب «باسك» من كتب الهنود:

«تؤول الدنيا إلى ملك عادل فى آخر الزمان هو إمام الملائكة والجن والانس؛ والحقّ معه، ويستخرج ما فى البحار والجبال وينبئ عن السماء والأرض، ولم يرد الدنيا أعظم منه».

قبسات من كتب العهد القديم (التوراة وملحقاتها):

۱- جاء فى كتاب «مزامير داود» المزمور ۳۷:

...« لأنه سينقطع الأشرار، وسيرث المتوكلون على اللّه الأرض، سوف لن يكون هناك شريراً بعد مدة قليلة، ستتأمل مكانه وليس فيه، أما الحكماء (الصالحون) فسيرثون الأرض».

۲- كما ورد فى المزمور المذكور الجملة ۲۲:

«سيرث الأرض مباركو الرب وسينقطع ملعونوه».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۱

۳- وجاء فى الجملة ۲۹ من المزمور السابق:

«سيرث الصديقون الأرض ويسكنون فيها إلى الأبد».

۴- وورد فى الفصل السابع من كتاب النبى «حبقوق»:

...« وإن تأخر، فانتظره.

لأنه سيأتى وسيتوقف

بل سيجمع حوله جميع الامم

ويعدّهم جميعاً لنفسه».

۵- ونقرأ فى كتاب «النبى أشعياى» الفصل ۱۱ فى بحث كله تشبيه:

«وستظهر نبتة من جذع يسى «۱» وينتصب فرع من فروعها.

سيحكم الذليلون بالعدل والقسط. فالعدالة محور الحكم.

وستعيش الشاة إلى جانب الذئب...

والطفل الصغير سيكون الراعى...

وسوف لن يكون هنالك فساد وضرر فى جميع أرضى المقدسة...

لأن الأرض ستمتلئ من علم اللّه، كالمياه التى تملأ البحار».

العلامات فى كتب العهد الجديد (الاناجيل وملحقاتها):

۱- جاء فى الفصل ۲۴ من انجيل «متى»:

«حيث يأتى البرق من المشرق ويظهر فى المغرب، هكذا سيكون قدوم ابن الإنسان ... سيرون ابن الإنسان كيف سيقف بقدرته وجلال عظمته...

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۲

وسيبعث بملائكته (أصحابه) وسيجمع هؤلاء أولياءَهم».

۲- وورد فى الفصل الثانى عشر من انجيل «لوقا»:

«اعقدوا أحزمتكم وأضيئوا مصابيحكم وكونوا كمن ينتظر سيّده، حتّى تفتحوا له الباب متى جاء ودق بابكم».

عقيدة الصينيين والمصريين وأمثالهم بهذا الشأن.

۱- جاء فى ص ۴۷ من كتاب «علامات الظهور» (تدوين أحد أصدقاء صادق هدايت»:

«إنّ القسم الأعظم من المتون البهلويـة المترجمـة لدى «صادق» بشأن الظهور وعلامات الظهور، والواقع لو التفتنا إلى جميع المتون لديه لقلنا:

لكافة هذه المتون صبغة دينية.

...موضوع الظهور وعلامات الظهور موضوع يحظى بأهميـة خاصـة لدى جميع المذاهب العالمية ... حسب قول «صادق»: بغض النظر عن العقيدة والإيمان التى تعد أساس هذه الأمنية فإن كلّ فرد حريص على مصير البشرية وينشد تكاملها المعنوى، حين يصاب باليأس من كـلّ شـىء ويرى البشـرية غافلـة وتتجه نحـو الفسـاد والانحطـاط وتتمرد على اللّه ولاـ تمتثـل أوامره رغم كـلّ هـذا التطور الفكرى والعلمى المـدهش، فـإنّه يتوجه إلى اللّه بوحى من فطرته الذاتيـة ويسـأله رفع الظلم والجور والفسـاد. ومن هنا فقـد عاش العباد على مرّ العصور والـدهور انتظـار المصـلح العـالمى ولاـ تقتصـر هـذه الرغبـة على اتبـاع الـديانات الكـبرى كالزرادشتيـة واليهوديـة والمسيحية والإسـلامية؛ بل وردت فى الكتب القديمة للصـينيين وعقائد الهنود، والبلدان الاسـكندنافية، حتّى لدى قدماء المصـريين، بل حتّى أهل المكسيك وأمثال تلك الامم».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۳

جـدير ذكره أنّ كتـاب «زنـد، وهو من يسن» وسـائر الكتب الزرادشتيـة ومنهـا البابان الأخيران من رسالـة جاماسب تشـتمل على النبوءة الزرادشتيـة على لسـان جاماسب الحكيم ب «كشـتاسب» الملك آنـذاك اعتنق الزرادشتيـة المتعلق بموعود آخر الزمان، ترجم من قبل صادق هدايت من البهلوية إلى الفارسية ونشر من قبل حسن قائميان رفيق هدايت بعنوان «علامات الظهور».

قبسات من عقائد الغرب بهذا الشأن:

۱- إنّ الاعتقاد بظهور المنقـذ العظيم وفناء الظلم والجور عن الناس واقامـة حكومـة الحقّ والعـدل لا تقتصـر على الشـرقيين والمدارس الشـرقية؛ بل هو اعتقاد عام وعالمى انعكست أبعاده فى مبادئ الأقوام المختلفـة، وكلّ ذلك يفيـد هـذه الحقيقـة وهى أنّ لهذه العقيدة العريقة جذور فى الفطره البشرية وفى دعوة جميع الأنبياء.

ذكر فى كتاب «اطلالة على الزعامة» ضـمن بيان وجود انتظار ظهور منقذ عظيم لدى مختلف المجتمعات الغربية واستفادة بعض الأفراد من هذا الانتظار العام، أسماء خمسة أفراد من الأدعياء نهضوا من بريطانيا هم:

«جيمس نـايلور» و «يوحنـا سوثكـات» و «ريتشـارد برادرز» و «جون نيكولسـتام» و «هنرى جيمس برينس»، كمـا نقـل عن «برنارد باربر» عالم الاجتماع الامريكى فى رسالته «نهضة المنقذ» وجود مثل هذا الاعتقاد حتّى لدى زنوج أمريكا وقال:

«إنّ هذه العقيدة شائعة بين قبائل الزنوج الأمريكيين ... أنّه سيظهر يوماً ذلك الرجل ويدخلهم جنّة الأرض ... وقد أحصى التأريخ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۴

الأمريكىلما قبل سنة ۱۸۹۰ أكثر من عشرين نوعاً من هذه النهضات».

ذكرنا سابقاً فى بحثنا بشأن كتاب «علامات الظهور» أنّ آثار هذه العقيدة موجودة بين الشعوب الاسكندنافية والمكسيك وأمثالهم «۱».

ويتبين ممّا ذكرنا- وسائر الشواهد والقرائن التى لم نوردها رعاية للاختصار- أنّه ليس هنالك منطقة معينة لهذا الانتظار؛ فهو انتظار عام وشامل وعلى نطاق عالمى وبالتالى شاهد على فطرية هذه العقيدة.

وسـنرى سعة كبيرة لهـذه العقيـدة فى الأبحـاث القادمـة تحت عنوان ظهور «المهـدى» فى العقائـد الإسـلامية، مع كونه تشـكل عقيـدة أساسية.

وكما سـنرى كيف أسـهم الإيمان بهذه الحقيقة الفطرية المؤيدة بالعقل فى طرد غيوم اليأس وسـحب الاحباط عن سـماء روح الإنسان، وجند طاقاته وأعده لمستقبل مشرق وزاهر، لتكون

القوى أعظم استعداداً،

والأفكار أكبر يقظة،

والاستعدادات أشمل،

والنهضات أسرع،

والعشق أعمق،

وكيف مهد السبيل لمجتمع إنسانى بمعنى الكلمة؛ المجتمع الذى تذوب فيه مفردات الظلم فتنطفىء جذوة ناره، والتمييز العنصرى وما إلى ذلك من المصائب.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۵

النهضة العالمية

نهضة أم إصلاحات تدريجية

كان البحث لحدّ الآن أنّ الإنسان ينظر بعين الأمل إلى مستقبل مشرق على ضوء نداء العقل وإلهام الفطرة، المستقبل الذى يفرق كثيراً عن اليوم، والذى ستنعدم فيه كافة السحب السوداء.

ولكن يرد هنا هذا السؤال: هل سيتم هذا التغيير من خلال الاصلاحات التدريجية أم بواسطة النهضة والثورة؟

أساساً- وبصورة عامة- ليست هنالك فكرة واحدة لدى العلماء فى السبيل الذى تتم من خلاله الاصلاحات الاجتماعية، فالبعض يقول بالاصلاحات التدريجية. وبالمقابل هناك البعض الآخر وهم الثوريون الذين لا يرون امكانية حدوث أى تغيير جذرى فى أوضاع المجتمع البشرى دون النهضة.

يعتقد هؤلاء أنّ التغيير الذى يصيب الطبيعة إنما يقوم على أساس قفزة ونهضة، ولا جدوى من التغييرات التدريجية «الكمية» والتى تتخذ صيغة «كيفية» وتنقلب ضدها لأدنى نهضة. وقد أورد أصحاب هذه الفكرة وفى كافة التغييرات الاجتماعية عدة دوافع وعناصر فى كيفية النهضة وتغيير

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۸

المجتمعات، تفتقر جميعها للدليل، ولا تنطبق على القضايا التأريخية والشواهد العينية، مع ذلك لا يمكن انكار فاعلية هذه الفكرة فى عدة ميادين.

توضيح ذلك:

الذى يبدو أقرب إلى الواقع أنّ درجات الفساد فى المجتمعات متفاوتة؛ فالموضع الذى لم يستشر فيه الفساد، يمكن للإصلاحات التدريجية أن تكون أساس التغيير فيه.

بينما لا جدوى من التغيير فى المواضع التى تتسع فيها رقعة الفساد سوى من خلال النهضة الشاملة ليمكنها التغلب على الارباكات.

وكأن الأمر أشبه ببناء عظيم يراد ترميمه بالتعمير التدريجى واعادته إلى سابق جماله؛ أما حين يتحطم البناء من الأساس وتشرف اسسه على التآكل، فليس هنالك من سبيل سوى هدمه من الأساس واعادة بنائه.

ولدينا عدة شواهد على صحّة هذا الاعتقاد:

۱- توضع الاصلاحات التدريجية دائماً على تلك الاسس القديمة ويتوقف تأثيرها على سلامة الاسس، وبعبارة اخرى فإنّ النماذج والضوابط فى «الإصلاحات» هى تلك النماذج والضوابط القديمة، وهى مجدية فى المواضع التى تكون فيها النماذج سالمة، وإلّا

ليست هنالك من ثمرة، ذلك أنّ الدار خاوية من الأساس. وهنا ينبغى البحث عن نماذج جديدة والتعامل مجدداً مع القضايا الأساسية باتجاه التغيير.

۲- غالباً ما تنشأ الإصلاحات التدريجية من خلال الطرق السلمية، وتعتمد عادة على «المنطق» فى أغلب المواقع، ويتوقف تأثيرها على الاستعداد الفكرى للمجتمع، وإلّا فلابدّ من اللجوء إلى الثورة على أنّها تمثل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۹

منطق القوة، وإن كان للمنطق دوره البارز فى التحولات الثورية، إلّاأنّ الحرف الأوّل والأخير للقوة الثورية. فالاستعانة بالأساليب غير الثورية فى المجتمعات التى تجذر فيها الفساد، تؤدى إلى تحصن عناصر الفساد إزاء الإصلاحيين والتسلح بالوسائل المتاحة لمواجهة أسلحة الاصلاح. بالضبط كالمكروب القوى الذى يتحصن تجاه الاستعمال التدريجى للدواء ويواصل نشاطه، ولا يمكن القضاء عليه سوى بهجوم خاطف لذلك الدواء!

۳- تستحوذ العناصر الفاسدة المقتدرة المضادة للإصلاح فى المجتمعات التى تجذر فيها الفساد على كافة المراكز الحساسة فى المجتمع ويستطيع هذه العناصر احباط كلّ مشروع إصلاحى تدريجى بسهولة؛ إلّاأن تُباغت ويقضى عليها بحركة ثورية قبل أن يأخذ حذرها وتتجمهر وتتجهز!

۴- لا يمكن الابقاء على القوى الثورية والإصلاحية وديمومة فاعليتها وتحمسها لمدة طويلة، وما لم تستثمر طاقاتها فى الموقع المناسب فلربما تضيع جهودها على مرور الزمان وتفقد حيويتها؛ فتتاح الفرصة للعناصر المضادة باختراق صفوفها بالتدريج، وعليه فلابدّ من الاستفادة القصوى حين ممارسة الإصلاحات الشاملة من هذه العناصر وبالسرعة الممكنة.

۵- يشير التاريخ أيضاً إلى أنّ هذه الطائفة من المجتمعات لم تنتظم من خلال الإصلاحات التدريجية، بل تمّ إصلاحها عن طريق الثورة والنهضة.

وقد اعتمد الأنبياء العظام وقادة الاصلاح الاسلوب الثورى فى مواجهتهم لمثل هذه المجتمعات، وقد استماتوا فى ميادين الجهاد بعد أن جندوا كلّ قواهم وطاقاتهم فى هذا المجال.

وخير مثال على هؤلاء الثوريين الأبطال أنبياء اللّه نوح وموسى وعيسى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۰

وإبراهيم وفى مقدمتهم نبى الإسلام سلام اللّه عليهم جميعاً.

كما عرف بالثورية سائر العظام من الرجال والنساء الذين مارسوا مهمة الاصلاح وغيروا مسيرة مجتمعاتهم. وهذا بحدّ ذاته دليل حى على أنّ إصلاح مثل هذه المجتمعات لا يتم سوى من خلال الثورة.

ويبدو الأمر أكثر وضوحاً بالنسبة لممارسة الاصلاح العام لأوضاع العالم والاطاحة بالنظام المعاصر القائم على أساس الظلم والجور وارساء قواعد نظام عادل خالٍ من كلّ هذه المفاسد. فإذا كان الأمر كذلك فأنّى للإصلاحات التدريجية أن تقوم بهذه المهمة فى ممارسة التغييرات الشاملة؟!

هنا لابدّ من القول:

إذا أريد لعالمنا المعاصر المليىء بالظلم والجور والفساد أن ينقذ من هاوية الفناء والعدم فليس هنالك من سبيل سوى قيام الثورة الشاملة. الثورة على جميع المستويات:

الثورة على المستوى الفكرى والثقافى والأخلاقى والاقتصادى والسياسى، وفى مجال القوانين والمشاريع، وإلّا فليس هنالك سوى السقوط فى النيران المحرقة لحرب عالمية شاملة.

الثورة المادية أم المعنوية؟

البحث الآخر الذى يتمم البحث السابق: بالاستناد إلى الأدلة العديدة التى تبين مسيرة الحياة البشرية فى خاتمة المطاف إلى العدل وانقشاع سحب الظلمة من سماء الحضارة البشرية، فانه يرد هذا السؤال: أنّ هذه

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۱

الثورة الشاملة التى ستنفذ هذا المشروع تحصل من خلال تكامل القوانين المادية أم ينبغى أن تحقق ذلك الهدف بالاستعانة بالمصادر المعنوية؟

بعبارة اخرى، هل يسع هذه الحياة أحادية الجانب وتكاملها تحقيق الهدف المذكور، أم لابدّ من التكامل الشامل والتام بحيث يتم:

إحياء القيم والمثل الإنسانية.

تفعيل المسائل الأخلاقية بشكل واسع.

إنعاش الإيمان والعاطفة.

والسيطرة من خلال ذلك على طغيان الحياة المادية؟

يشير التمعن فى الجذور الرئيسية للبؤس والشقاء والارباك الراهن إلى أن تكامل هذا الوضع هو فى الواقع تكامل التعاسة، ومواصلة هذا الطريق ستكون مواصله الازمات.

وذلك لما يلى:

إن أعدل أساليب الحكم فى عالمنا المعاصر هو اسلوب الحكومة الديمقراطية (حكومة الشعب لنفسه بنفسه) والذى لا يطالعنا منها فى أغلب مناطق العالم سوى اسمها.

ولو افترضنا أنّ هذا النظام طبق بمفهومه الواقعى فى كافة أنحاء العالم، فانه سيخلف العديد من المعضلات.

توضيح ذلك:

تفيد الدراسة الإجمالية أنّ فى العالم أربعة أنواع من الحكومات هى:

۱- الحكومة الاستبدادية (فى صورتها الحقيقية) المراد حكومة استبداد فرد يعلم وضعه فى الماضى والحاضر، ويمكن القول باختصار: إنّ كلّ بؤس

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۲

وشقاء وعبودية وتخلف أصاب الإنسان إنما أفرزته هذه الحكومة المقيتة.

۲- الحكومة الاستبدادية (بلباس الديمقراطية) أى تلك الحكومة الفردية المستبدة والجبارة الطاغية التى تتمشدق بالديمقراطية وتحاول محاكاتها فى انشاء الحزب والمجلس المزيف؛ الحزب والمجلس الذى تعد قائمة أعضائه سلفاً وهكذا سائر العناصر الذين يؤهلون للقيام بوظائفهم من خلال ظهورهم على مسرح الأحداث. طبعاً يجلسون معاً خلف الكواليس يشربون ويأكلون ويمرحون ويمزحون، وحين يظهرون يتخذ أحدهم موقف المعارض والآخر الموافق، هذا من التيار المحافظ وذلك من التيار المعتدل ويفتعلون بعض الأزمات فيما بينهم بغية خداع العوام الذين لم تعد تنطلى عليهم هذه الألاعيب، بل يلجأون أحياناً إلى بعض الحركات العنيفة لإكمال الخطة.

لم يكن لهذه الحكومة من وجود فى التاريخ الماضى وذلك لبساطة ووضوح الناس والحكّام وربّما لم يكن يسع عقولهم عرض الاستبداد فى إطار الديمقراطية.

فقد ظهرت هذه الحكومة فى عصرنا؛ عصر النفاق وتغيير المواقف والثمرة المرة التى ترتدى حلة اليوم بينما تعود نواتها إلى الماضى، ولا هم لهذه الحكومة سوى تأخير عملية انقاذ الشعوب ممّا هى عليه وتحريرها من قيودها.

۳- الحكومة الاستبدادية الجماعية (دكتاتورية البرولتاريا) لم تكن هذه الحكومة بهذا المضمون فى الماضى وهى وليدة عصر اتساع حياة المكننة وتقتصر على البلدان الشيوعية التى تتزعم فيها البرولتاريا (طبقة العمال)

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۳

دفة الحكم، وتحقق تطلعاتها فى كافة المجالات تحت راية الماركسية.

ورغم أنّ الماركسيين هم الذين اختاروا عنوان دكتاتورية البرولتاريا كشعار لحكومتهم، لكن وبغض النظر عن المفاهيم الكامنة فى هذا العنوان لابدّ من الوقوف على هذه القضية وهى:

هل طبقة البرولتاريا تحكم هذه المجتمعات أم أعضاء اللجنة المركزية للحزب والأمين العام لهذا الحزب؛ الحزب الذى يفتقر إلى الشمولية وتغيب فيه الانتخابات الحرة وليس فيه سمة من ديمقراطية، أما استبداد قادة الحكومة واللجوء إلى العنف ومصادرة حرية الآخرين، فليست بالامور الخافية على الآخرين.

ولو تأملنا التاريخ وما حفل به من حكّام مستبدين وطغاة، وحقب عانى فيها الناس من صنوف العذاب لتقدم كلّ من إستالين وخروشوف وماو قافلة أولئك الحكّام. صحيح أنّ زعماء هذه المجتمعات خطوا خطوات مؤثرة باتجاه توزيع الثروات، وصحيح أنّهم وضعوا حدّاً لعصور الأثرياء الخرافية، ولكن هل يمكن غض الطرف عن هذه الحقيقة الناصعة وهى أنّهم ينفقون المليارات من ثروات بلدانهم لترسيخ دعائم حكومتهم، ويفعلون دون وازع كلّ ما يروق لهم، ويسلبون شعوبهم حقّ ابداء الرأى والنقد والتظاهر والاحتجاج وكافة أنواع الاستجواب.

۴- الحكومة الديمقراطية (فى صورتها الحقيقية) يمكن ايجاز مفهوم هذه الحكومة التى تمثل أرقى أنواع الحكومات المعاصرة والتى يتباهى بها أغلب القادة والزعماء، فى عبارة قصيرة وهى: يبدو أنّ الشعب بجميع طبقاته يستطيع ظاهراً فى ظلّ هذه الحكومة أن يتقدم بكلّ حرية إلى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۴

صناديق الاقتراع ويصوت لصالح ممثليه، فيفوض مصيره ومستقبله لعدة سنوات- وفق ضوابط معينة- لهؤلاء الأفراد. ولهؤلاء الأفراد من خلال تبادل وجهات النظر والمشورة أن يسنوا بعض القوانين التى يعتقدون أنها تتكفل بحفظ مصالح الآخرين.

وقد ينتخب رئيس السلطة التنفيذية من قبل هؤلاء الممثلين أحياناً، وأحياناً اخرى ينتخب مباشرة من قبل الشعب ليكون رئيساً للوزراء أو رئيساً للجمهورية.

مثالب الحكومة الديمقراطية:

رغم الامتيازات التى تطبع هذه الحكومة، إلّاأنّ التعمق فيها والتأمل يجعلنا نقف على صورتها المرعبة والتى تناقض صورتها الظاهرية الجميلة، لما يلى:

۱- الاستغلال الطبقى- الحصيله الاولى لهذه الحكومة، أى حكومة «الأكثرية» - بالنظر إلى أنّ الإقلية ليست عدداً قليلًا من الأفراد على الدوام وزهيدة بحيث يمكن اهمالها فى الحسابات الفئوية- أنها تسمح بالاستغلال الجماعى ويجيز لواحد وخمسين بالمئة من شعوب العالم فرض أفكارهم وتطلعاتهم على تسعة وأربعين بالمئة من سائر الناس؛ حيث تغيب مصالح وحقوق شريحة واسعة من الشعب بغية حفظ منافع شريحة اخرى تمثل الأكثرية وقد لا تزيد سوى بنسبة اثنين أو واحد بالمئة على الأقلية.

وهذه فى الواقع ضربة مهلكة إلى العدالة والحرية فى عالم البشرية والتى تتم فى ظلّ أرقى أشكال الحكومة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۵

۲- الأقلية فى صيغة الأكثرية- الأسوأ من ذلك ما فى هذه الحكومة التى تلبس فيها «الأقليات» ثوب «الأكثرية» وتفرض عليها آراءَها؛

فأصحاب «الثراء» و «الاقتدار» إنّما يغسلون أدمغة الأكثرية ويمهدون الأجواء أمام تحقيق أطماعهم ومآربهم ليأتوا بحكومة لا تغطى سوى متطلبات ومصالح الأقلية المستكثرة من خلال سيطرتهم على وسائل الارتباطات وإعدادهم لبعض الفئات وتغذيتهم بأهدافهم ومشاريعهم وخططهم واستحواذهم على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والصحافية.

ومن هنا فليس هنالك ما يدعو إلى الدهشة أن نرى فى البلدان التى تدار من قبل هكذا حكومة، أن تكون الحكومات «عادة» ممثلة وراعية لمصالح البورجوازيين وكبار الرأسماليين (رغم وجود الانتخابات الحرة ظاهراً والمشاركة العامة للناس فى التصويت). طبعاً إن استطاعت الأكثرية أن تُنحّى هذه الفئة بادئ الأمر عن السلطة ومن ثمّ تجرى الانتخابات، فربّما تتمكن الأكثرية الحقيقية من زعامة الشعب، إلّاأنّ هذا العمل يبدو محالًا ينبثق من الدور والتسلسل كما يصطلح على ذلك فى الدين.

ولو استطعنا توجيه حكومة الأكثرية الواقعية للأقلية بنحو معين، فمن المسلم أنّه ليس هنالك من توجيه لحكومة الأقلية المستغلة للأكثرية المستغلة.

۳- عدم التساوى فى ظروف المساواة- لكلّ فرد فى أية ظروف رأى فى ظلّ هذا النظام الحكومى، أى:

هناك مساواة تامة بين العالم الفاضل والفرد الامّى الجاهل وكذلك بين السياسى الحاذق والرصين والوطنى والفرد الساذج والخام، والإنسان

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۶

العفيف الطاهر مع السارق الجانى...

وهذا ظلم فاحش، ذلك لأن أحدهما يعدل نظيره ألف مرة فى صنع المستقبل وتقرير المصير. صحيح إننا إن أردنا أن نميز الأفراد نصطدم بفقدان المعيار والضابطة الواضحة، ولكن مهما كان الأمر فهذا نوع من العجز تختزنه طبيعة الحكومة الديمقراطية المادية الغربية.

۴- المتابعة بدل الزعامة- يرى الحكّام ووكلاء المجلس فى هذا النظام أنفسهم ملزمين برعاية متطلبات الأكثرية (دون أى قيد أو شرط)، ذلك لحاجتهم إليهم فى الحاضر والمستقبل، وإلّا تعرضت مواقعهم للخطر. وعليه فالزعامة فى هذا النوع من الحكومة تتخلى عن موقعها للمتابعة، فلا يقتصر الأمر على المتابعة للفساد والظلم والانحراف والانحطاط الاجتماعى بكافة اشكاله والذى يحظى برغبة الأكثرية، بل تتشدد وتستفحل كلّ هذه الأمراض.

وعلى هذا الضوء فلا غرابة أن نسمع على سبيل المثال بمصادقة المجلس البريطانى على «زواج المثل» ويشرعها كقانون، ذلك لأنّ لهؤلاء الأفراد ممثل أو عدة ممثلين فى البرلمان! ولكن أن تتصور على هذا الأساس مدى بعد هذه الحكومة المثالية المادية عن روح المثالية، وذلك لأنه:

أوّلًا: أنّ القوانين المادية على فرض أنّها مفيدة للضعفاء ومدعاة للعدالة تفتقر لأية ضمانة للتنفيذ، ذلك لأنه ليس هنالك من معنى وأهمية للعدالة فى الوسط الذى تتعين فيه كافة القيم على ضوء المعايير المادية بالنسبة للأقوياء الذين يرونها تستلزم إغماضهم عن الكثير من منافعهم وامكاناتهم المادية، وعليه فالضعفاء وحدهم هم الذين يتحدّثون فى هذه الأوساط عن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۷

العدالة والمساواة، لا الأقوياء، أما إن كان الكلام عن القيم المعنوية فالعدالة ستكون مهمة للجميع، ذلك أنّهم ينالون بعض المثل المعنوية والفضائل وإن تعرضت بعض مصالحهم للخطر بفعل تطبيق العدالة.

والنموذج الواضح على ذلك، المنظمات الدولية الواسعة التى ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية، فهذه المنظمات التى تعتبر من أهم المراكز الساعية لضمان السلام العالمى وينشط فيها ساسة العالم ومفكروه، ما زالت لحدّ الآن أُلعوبة بيد الدول الكبرى، أو لم تعد أكثر من صالة لعقد المؤتمرات والاجتماعات والتى يسمح فيها للبلدان الصغيرة بالتحدّث لمدة وجيزة.

ثانياً: تفيد الدراسات التاريخية والتجارب أنّ شعور الإنسان بالحاجة إلى المزيد لا يلبى أبداً من خلال الطريق المادى؛ أى أنّ الإنسان لم يبلغ لحدّ الآن مرحلة ليقول أكتفى بهذا المقدار. فطلبات الإنسان ورغباته مفتوحة، بينما تمتاز الامكانات المادية مهما ازدادت بالمحدودية، وليس من شأن هذه الامكانات المحدودة تلبية تلك المتطلبات غير المحدودة، وهذا «التضاد بين المتطلبات والامكانات» هو الذى أفرز الحرب كونها من اللوازم الدائمية للحياة المادية.

لكن إن استعادت المعنويات والإيمان باللّه والالتفات إلى القيم الإنسانية والأخلاقية والشعور بالمسؤولية إزاء ذلك المبدأ العظيم الذى يفوق الماديات وعالم المادة حيويته وفعاليته، فله أن يهذب هذه الغريزة ويحد من جموحها ويضعها فى مسارها الصحيح، ويجلب الأمن والسلام بدلًا من الفوضى والحرب. وبعبارة اخرى فإنّه يمكن اشباع غريزة طلب المزيد عن طريق الامور المعنوية التى لا تعرف أية محدودية، آنذاك سيزول ذلك

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۸

التضاد الذى يعد العنصر الرئيسى للحرب والظلم.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۹

الاستعدادات الضرورية للحكومة العالمية

الاستعدادات العامة

اشارة

لابدّ أن نذعن بأنّ بلوغ تلك المرحلة التأريخية التى:

يجتمع فيها كافة الناس تحت راية واحدة، وتزول فيها الاسلحة الفتاكة، وتنعدم فيها الطبقات المستعمرة (بالفتح) والمستعمرة (بالكسر)، وتنتهى فيها النزاعات والألاعيب السياسية والعسكرية للدول العظمى ويتخلص العالم من اسم «العظمى» وكابوس قدرتها الجهنمية، وتتحول فيها المنافسة الاقتصاديه البغيضة والهدامة إلى تعاون وتكاتف بشرى من أجل حياة أجمل ومعيشة أرغد...،

كلّ هذه الامور تبدو مبكرة وتتطلب استعداداً عاماً، مهما كنا متفائلين ونشعر بالأمل.

لكن بالنظر إلى التطورات والتغيرات التى تحدث بسرعة فى العصر الأخير فلا ينبغى أن نراها بعيدة أيضاً لتصبح رؤيا خيالية.

على أيّة حال هنالك أربعة استعدادات ينبغى توفرها لقيام هذه الحكومة.

۱- الاستعداد الفكرى والثقافى

أى، ينبغى أن يبلغ المستوى الفكرى للناس درجة تجعلهم يدركون بأن قضية «العرق» أو «المناطق الجغرافية المختلفة» ليست بالامور الجديرة بالاهتمام فى حياتهم، وليس للخلافات على أساس اللون واللغة والأرض أن تفرق بين أبناء البشر، ويجب أن تموت وإلى الأبد العصبيات القبلية والفئوية، ولابدّ من طرح الفكرة المقيتة القائلة بالجنس الأفضل، وليس لهذه الحدود المصطنعة والأسلاك الشائكة والجدران الأثرية كجدار الصين أن تبعد الناس بعضهم عن البعض الآخر،

بل ينبغى النظر إليها كضياء الشمس والنسيم المنعش وسحب السماء وسائر النعم التى لا تعرف من معنى لهذه الحدود والأعراق وتغذى الجميع، وأن يعتبروا العالم بأسره دولة صغيرة.

ولو أمعنا النظر لرأينا أنّ هذا التفكير قد تبلور وتكامل لدى مفكرى العالم ومثقفيه، بل أبعد من ذلك فقد جرى الحديث عن اللغة العالمية الواحدة، وقد اقترح لذلك لغة معينة توحد الجميع وقد طبعت عدة كتب بهذه اللغة.

۲- الاستعداد الاجتماعى

لابـدّ أن يمتعـظ الناس من الظلم والجور والأنظمـة السائـدة، ويشـعروا بمرارة هـذه الحياة الماديـة، واليأس التام من أنّ مثل هـذه الحياة الاحادية النزعة يمكنها فى المستقبل حل المشاكل القائمة.

ينبغى أن يدرك العالم أنّ البشارة فى القرن ۱۸ و ۱۹ م بشأن المستقبل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۳

الزاهر للحضارة البشرية فى ظلّ التطور الآلى، لم تكن فى الواقع سوى حلم أو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

فقد اتسعت رقعة الارباكات الماديه وعدم الأمن والاستقرار، إلى جانب غياب حالة الرفاه والرخاء.

وليس فقـط لم تزُل القوانين التى تبـدو رصـينة والظلم والاسـتعمار والاسـتغلال والتفاوت الطبقى الفاحش فحسب، بل اسـتفحل الفساد السابق ليتخذ أشكالًا وانماطاً مرعبة.

إنّ الوقوف على عمق خطورة الوضع الموجود إنمـا تسـتلزم بـادئ الأمـر حالـة التفكير، ثمّ الترديـد، وبالتـالى اليأس من الوضع العالمى القائم والاستعداد للنهضة الشاملة على كافة الأصعدة وعلى ضوء القيم الجديدة.

فليس هنالك من سبيل لبلوغ تلك المرحلة دون هذا الأمر.

۳- الاستعدادات التقنية

خلافـاً لما يراه البعض من أن بلوغ مرحلـة التكامل الاجتماعى وعالم مفعم بالأمن والعـدل والسـلام يقترن ضـرورة بالقضاء على التقنية المعاصرة، بل الواقع أنّ هذه التكنولوجيا المتطورة ليس فقط لا تحول دون قيام حكومة العدل العالمية فحسب، بل ربّما يستحيل بدونها تحقيق تلك الحكومـة. فلابـدّ من وجود سلسـلة من الأمكانات والوسائل الغاية فى التطور بغية إيجاد مثل ذلك النظام العالمى ومن ثمّ السيطرة عليه، والتمكن من الطوف فى أرجائه خلال فترة زمنية قياسية وايصال المعلومات إلى مختلف مناطقه البعيدة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۴

فلو عادت الحياة الصناعية لوضعها القديم لتطلب ايصال رسالة من منطقة معينة فى هذا العالم إلى اخرى مدّة سنة، فكيف يمكن إرساء قواعـد الحكومـة العالميـة وبسط العـدل والقسط فى كافة أرجائها؟ أم كيف يمكن تحقيق هذا الهدف أن تطلب القضاء على حفنة من الاشـرار- الـذين يفترض وجودهم حتّى فى مثل هـذه الحكومـة- مـدة زمانية طويلة لكى تقف الحكومة على أوضاعهم والمبادرة إلى القضاء عليهم؟

وزبـدة الكلام فإنّ مثل هـذه الحكومـة وبغية اشاعة الأمن وبسط العدل فى ربوع العالم تحتاج إلى العلم بكافة المناطق والسـيطرة التامة لتتمكن من تربيـة المجتمع المتـأهب للاصـلاح، إلى جـانب الإبقـاء على وعيه وحيويته، والتجهز لكـلّ فرد يحاول المساس بنظام تلك الحكومة. ولعلّ من يفكر عكس ذلك كأنه لا يفكر فى مفهوم الحكومة العالمية ويقارنها بالحكومات المتداولة المحدودة.

ويبدو أنّ العالم الذى يريد أن يبلغ هذه المرحلة ينبغى أن تتسع فيها رقعة وسائل التربية والتعليم وتتصف بالشـمولية بحيث تستند أغلب مشاريعها إلى التثقيف الـذاتى، وهـذا بـدوره يتطلب مراكز ثقافيـة فاعلـة ووسائل ارتباط عامة وصـحافة وكتب ضـخمة والتى لا تتيسـر جميعاً دون وفرة الآلات الصناعية المتطورة.

أجل، يمكن قيام مثل هـذا النظام دون الوسائل الصـناعية المتطورة إن كانت هناك معجزة فى هذه العملية، ولكن هل تتم إدارة شؤون المجتمع البشرى على ضوء المعجزة؟

إنّ المعجزة عبارة عن استثناء منطقى فى النظام الجارى للطبيعة بغية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۵

إثبات حقانية دين سماوى، وليست لإدارة امور الامّة، وعليه فلابدّ أن تتم هذه الادارة وفق القوانين الطبيعية.

سنتحدث فى المباحث القادمة أيضاً عن هذا الأمر.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۷

الانتظار

مفهوم الانتظار:

يطلق «الانتظار» أو «التطلع إلى المستقبل» على الإنسان الذى يسأم الوضع القائم ويسعى إلى وضع أفضل. على سبيل المثال، المريض الذى ينتظر الشفاء أو الأب الذى ينتظر قدوم ولده من السفر، إنّما يأنان من المرض والفراق، ويسعيان إلى نيل وضع أحسن.

وكما أنّ التاجر الذى يعيش الامتعاظ من السوق المتقلبة ويترقب جلاء الأزمة الاقتصادية، ينطوى على هاتين الحالتين:

«عدم التكيف مع الوضع القائم» و «السعى لوضع أحسن».

وعليه فإنّ مسألة انتظار حكومة الحقّ والعدل وقيام المصلح العالمى «المهدى» تتركب فى الواقع من عنصرين؛ عنصر «النفى» وعنصر «الاثبات». وعنصر النفى هو عدم التكيف مع الوضع الموجود، وعنصر الاثبات هو السعى إلى الوضع الأفضل.

الانتظار فى عمق الفطرة الإنسانية:

خلافاً لاعتقاد البعض بأنّ المحور الرئيسى لانتظار ظهور المصلح

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۸

المطلق يكمن فى الاحباطات والارباكات على مستوى الأفكار، فإن عشق هذا الأمر إنّما يرتبط بأعماق الإنسان؛ بصورة مركزة أحياناً وخفيفة أحياناً اخرى، بعبارة اخرى أنّ الإنسان يتعامل بطريقين- العقل والعاطفة- مع هذه المسألة، ويسمع نغمة هذا الظهور عن طريق لسانين هما «العقل والفطرة».

وبعبارة أوضح فإنّ الإيمان بظهور المصلح العالمى جانب من «عشق المعرفة» و «عشق الجمال» و «عشق الخير والفضيلة» (ثلاثة أبعاد من أبعاد الروح الإنسانية الأربعة)، حيث تؤول صنوف العشق هذه إلى الذبول والموت دون ذلك الظهور.

ولعلّ هذا الكلام يحتاج إلى توضيح أكثر، ذلك إننا نعلم أنّ «عشق التكامل» شعلة خالدة تضيىء أنحاء وجود الإنسان، فهو يريد العلم بالمزيد، ويرى المزيد من الجمال، وينفتح على الكثير من الفضائل، والخلاصة، يسعى لتوفير كلّ ما يقوده إلى الرقى والازدهار.

لا- يمكن ربط ظهور هذه الدوافع بالعوامل الاجتماعية والنفسية. ورغم أنّ لهذه العوامل دوراً مهماً فى إضعافها أو إثارتها، غير أنّ وجودها هو جزء من الأبعاد الأصلية لروح الإنسان وتركيبته النفسية، بدليل عدم افتقار أية أمّة لمثل هذه الدوافع. وزبدة القول فإن حبّ الإنسان للرقى والتكامل وانفتاحه على العلم والمعرفة والجمال والخير والفضيلة والعدل تمثل رغبة أصيلة ودائمية خالدة، وانتظاره لظهور مصلح عالمى مطلق هو ذروة هذه الرغبة والحبّ. «ينبغى التأمل فى هذا الموضوع!».

كيف لا يكون للإنسان مثل هذا الانتظار وشعلة حبّ التكامل تتوقد فى جميع أحشائه! وهل يتكامل المجتمع البشرى دون ذلك!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۹

وبناءً على هذا فإنّ هذا الشعور يساور باطن كلّ من لم يعِش حالة الاحباط والانكسار فى حياته ... هذا من جانب. ومن جانب آخر، كما تساعد الإنسان أعضاؤه فى السمو والتكامل، ولا يسعنا أن نظفر بعضو يغيب دوره بصورة مطلقة فى هذه الحركة التكاملية، فإن

خصائص الإنسان النفسية كذلك؛ أى لكلّ منها دور مهم فى تقدّم مشاريعه الأصيلة. مثلًا «الخوف من العوامل الخطيرة» الكامن فى وجود كلّ إنسان درع يحفظه من تلك المخاطر.

و «الغضب» الذى يستشعره الإنسان حين يرى خطراً يهدد مصالحه، وسيله لمضاعفة القدره الدفاعية وتعبئة كافة طاقاته البدنية والروحية بغية إنقاذ مصالحه من الخطر. وعليه فإن حبّ التكامل وحبّ السلام والعدل وسيلة لبلوغ هذا الهدف العظيم، وبمثابة ماكنة قوية تحرك عجلات وجود الإنسان فى هذا الطريق، وتساعده فى الوصول إلى عالم مليئ بالعدل والسلام.

من جانب آخر فإنّه لا يمكن للأحاسيس والأجهزة فى جسم الإنسان وروحه أن لا تنسجم مع عالم الوجود؛ لأن عالم الوجود برمته وحدة واحدة متصلة، ولا يمكن لوجودنا أن ينفصل عن سائر العالم. ويمكننا أن نستنتج من هذا الاتصال أنّ كلّ حبّ وعشق أصيل فى جودنا دليل على وجود «معشوقه» و «هدفه» فى عالم الوجود، وهذا العشق وسيلة تقربنا منه. أى إن عطشنا ورغبنا بالماء فإن ذلك دليلٌ على وجود «الماء»، وقد أودع عالم الخليقة العطش فى وجودنا.

وإن ملنا للجنس الآخر فإنّ ذلك دليلٌ على وجود هذا الجنس فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۰

الخارج، كما أنّ عشقنا للجمال والمعرفة دليل على وجود العشق والجمال فى عالم الوجود.

ونخلص من هذا أنّ انتظار الناس للمصلح العالمى الذى يملأ العالم بالعدل والسلام، دليل على امكانية وعملية ذروة هذا التكامل فى المجتمع البشرى، فعشقه وانتظاره فى أعماق أرواحنا وأنفسنا. وعمومية هذا الاعتقاد فى كافة المذاهب والمدارس علامة اخرى على أصالته وواقعيته؛ لأن الشيء إن كان وليد الشرائط المعينة والمحدودة، لا يمكنه أن يحظى بهذه الشمولية، فليست هنالك من شمولية سوى للقضايا الفطرية؛ وكلّ هذه الامور دليل على أنّ هذه النغمات تعزف فى روح الإنسان عن طريق لسان عاطفته وفطرته فى أنّ الأمر سيؤول إلى إرساء العدل والسلام فى حكومة العدل العالمية من جانب المصلح العالمى.

فلسفة الانتظار:

لعلّ هذا السؤال يطرح نفسه:

ما النتيجة المتوخاة اليوم من الحديث عن مستقبل العالم البشرى؟

لدينا اليوم آلاف المشاكل والأزمات وينبغى لنا التفكير فى معالجتها والتغلب عليها، فما علاقتنا بالمستقبل؟

إنّ الغد سيأتى خيراً كان أم شراً، ومن سيبقى يشهد ذلك، ومن يموت فاللّه يرحمه! على كلّ حال هذه قضية بعيدة وليس لها من آثار ايجابية على حياتنا الراهنة!

نرى أنّ هذه كلمات من ينظر بسذاجة وسطحية للأحداث، ويتصور

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۱

انفصال اليوم عن الأمس والغد؛ ويعتقد بأن العالم يتركب من وحدات متباعدة ومتناثرة ومتفرقة.

ولكن بالنظر إلى أنّ جذور «أحداث اليوم» تمتد إلى الأمس، وأنّ علينا أن نصنع الغد من اليوم، وأنّ للالتفات إلى مستقبل «مظلم» أو «مشرق» انعكاس آنى على حياتنا المعاصرة ومواقفنا إزاء الحوادث، فإنّه تتضح ضرورة دراستنا للماضى والمستقبل من أجل اليوم والوقت الحاضر، وسنرى عمّا قريب فاعلية هذا الانتظار العظيم.

إلّا أنّ العجيب فى الأمر هو أنّ بعض الكتاب لم يتنكروا للجانب الايجابى لهذه القضية فحسب، بل صرّحوا بأنّ لمثل هذا الانتظار جوانبه السلبية فى شلّ القدرات الاجتماعية والقضاء عليها! والأعجب من ذلك ما يراه البعض الآخر من أنّ الإيمان بمستقبل مشرق انعكاساً للحرمان الذى تعيشه الطبقة المسحوقة والذى يتخذ عادة صبغة دينية.

ولكن لا يمكن انكار هذه الحقيقة فى أنّ هنالك بعض ضيقى الافق الذين يسعون لاستغلال قضية الانتظار، وقد تخلوا عن جميع مسؤولياتهم بذريعة الانتظار، والاكتفاء بها على نطاق اللسان! وأرى من الضرورى- لإزالة إساءة الفهم من الجانبين- أن أُطلع الاخوة القرّاء على الرسالة التى كتبتها سابقاً بشأن هذا الموضوع:

الأحكام غير المدروسة:

رغم ما يعتقده بعض المستشرقين بأنّ الإيمان بالمصلح العالمى «رد فعل» لوضع المسلمين المأساوى طيلة الحقب التاريخية المظلمة؛ ورغم

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۲

تأثر بعض الباحثين الشرقيين والمسلمين بأفكار الغرب وإثارتهم لهذه القضية؛ حتّى أنّهم يصرون على أنّ الإيمان بالمهدى عقيدة مستوردة من عقائد اليهود والنصارى، وعلى الرغم من سعى جماعة من علماء الاجتماع من المدرسة المادية لبلورة قضية انتظار المهدى كدليل على أفكارهم، فى أنّ جذور هذه العقيدة اقتصادية تهدف تخدير أفكار الطبقة الكادحة والمحرومة، رغم كلّ ذلك، لابدّ من الالتفات إلى أنّ لهذه العقيدة جذوراً فطرية راسخة تمتد إلى أعماق عواطف الإنسان إلى جانب تجذرها فى المصادر الإسلامية المهمة.

ولعلّ الدراسات المقتضبة لهؤلاء الباحثين من جانب، والرغبة بالتوجيه المادى لكلّ فكر وعقيدة دينية من جانب آخر، هى التى أفرزت مثل هذه الأفكار.

والغريب فى الأمر أنّ بعض الباحثين الغربيين مثل «مارغلى يوت» قد أنكر الأحاديث الإسلامية الواردة فى المهدى وقال:

«كيفما فسروا هذه الأحاديث فليس هنالك من دليل مقنع فى أنّ نبى الإسلام صلى الله عليه و آله قال بضرورة وحتمية ظهور مهدى لاحياء الإسلام وتحقيق كماله؛ إلّاأنّ نيران الحروب الأهلية بين أبناء الجيل الواحد بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله واضطراب العالم الإسلامى إثر الاختلاف، أدّى إلى اقتباس فكرة ظهور المنقذ من اليهود أو النصارى الذين ينتظرون عودة المسيح وظهوره».

ولاـ أدرى ما هى الكتب التى رآها «مارغلى يوت» من المصادر الإسلامية بهذا الخصوص، وكيف لم يعثر فى تفاسيرها على دليل يقنعه،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۳

والحال وردت عدّة أحاديث صريحة فى مصادر الفريقين بشأن الظهور حتّى بلغت حدّ التواتر. أم كيف لا يكون لكلّ علماء الإسلام والمحققين دون استثناء (سوى النادر منهم كابن خلدون الذى أعرب عن ترديده فى أحاديث المهدى فى مقدمته التاريخية) من نقاش فى صدور هذه الأحاديث عن النبى صلى الله عليه و آله واقتصرت كلماتهم على القضايا الفرعية والجزئية، بينما لم يقتنع «مارغلى يوت»؟

ينبغى أن يجيب بنفسه عن هذا السؤال.

ويقول البعض الآخر:

«إننا ننظر إلى نتائج هذا الانتظار، ولا يعنينا العمل به ودوافعه، والتى تؤدى إلى احتمال المعاناة والصبر إزاء الارباكات والاستسلام إلى الظلم والجور والتهرب من المسؤولية. إننا ننظر إلى هذا فى أنّ هذا الانتظار يقذف بالطبقات المحرومة فى عالم الخيال ويجعلهم يغفلون عمّا يدور من حولهم، ويدعوهم إلى الكسل والهروب من الالتزامات الاجتماعية. وبعبارة اخرى، فهو من الناحية الفردية عامل للركود والسكون، ومن الناحية الاجتماعية فهو وسيلة لإخماد حركات الشعوب ضد الاستعمار، وكيف كان فاثاره السلبية واضحة».

إلّا أننا نعتقد أنّ الباحث الواعى الذى لا يريد اصدار الأحكام جزافاً، بل يرى نفسه موظفاً بالتعرف على «الدوافع والنتائج» عن قرب

وعدم الاكتفاء بالأحكام التى تصدر بصورة اعتباطية. والآن دعونا نتناول بحياد دوافع الانتظار ونتائجه، لنرى هل كان عامل ظهوره الاحباطات أم سلسلة من الواقعيات الفطرية والعقلائية، وهل نتائجه بناءة وايجابية أم هدامة وسلبية؟

آثار الانتظار البناءة:

هل الإيمان بمثل هذا الظهور يجعل الإنسان غافلًا عن أوضاعه القائمة ومستسلماً لكافة الظروف والشرائط؟

أم أنّ هذه العقيدة تستبطن الدعوة إلى القيام وبناء الفرد والمجتمع؟

هل تدعو إلى الحركة أم السكون؟

هل تؤدى إلى تحمل المسؤولية أم الهروب منها؟

بالتالى هى أفيون أم منبه؟

يبدو من الضرورى الالتفات إلى نقطة مهمة قبل الاجابة عن هذه الأسئلة وهى أنّ أعظم المقررات وأسمى المفاهيم إن وقعت بأيدى أفراد ليسوا بأكفاء أو انتهازيين فلربما يمسخونها إلى درجة بحيث تعطى نتائج مخالفة لأهدافها الأصلية وتتحرك خلاف مسيرتها المرسومة، وهنالك الكثير من هذه النماذج، ومسألة الانتظار كما سنرى واحدة من هذه النماذج.

على كلّ حال، وبغية التحرز من الخطأ فى الحسابات فى مثل هذه المباحث لابدّ من انتهال الماء من عينه الصافية بعيداً عن المياه الملوثة التى ربّما تفسده. ومن هنا فإننا نتجه فى بحث الانتظار صوب المتون الإسلامية الأصيلة، ونسلط الضوء على مختلف الروايات الواردة بشأن مسألة «الانتظار» لنقف على طبيعة الهدف الرئيسى.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۵

نسلط الضوء هنا على هذه الروايات:

سئل الإمام الصادق عليه السلام عمن يقول بولاية الأئمّة وينتظر حكومتهم الحقّ ويموت على ذلك؟ قالالإمام عليه السلام:

«هو بمنزلة من كان مع القائم فى فسطاطه- ثمّ سكت هنيئة- ثمّ قال: هو كمن كان مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله».

وقد ورد هذا المضمون فى عدة روايات بعبارات مختلفة:

ففى بعضها «بمنزلة الضارب بسيفه فى سبيل اللَّه». وفى البعض الآخر «كمن قارع مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسيفه».

وفى رواية «بمنزلة من كان قاعداً تحت لواء القائم».

وفى رواية اخرى «بمنزلة المجاهد بين يدى رسول اللَّه».

وفى رواية «بمنزلة من استشهد مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله».

فالتشبيهات الواردة فى هذه الروايات بشأن انتظار ظهور المهدى عليه السلام عميقة المعنى وتكشف عن هذه الحقيقة وهى أنّ هنالك نوعاً من الارتباط والتشابه بين مسألة «الانتظار» و «الجهاد» ومواجهة الأعداء. «لابدّ من تأمل هذا الموضوع».

كما صرّحت بعض الروايات بأن مثل هذا الانتظار يعد أعظم عبادة.

حيث ورد مثل هذا المضمون فى أحاديث النبى صلى الله عليه و آله وروايات الإمام على عليه السلام. فقد قال صلى الله عليه و آله:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۶

«أفضل أعمال امّتى انتظار الفرج من اللَّه عزّوجلّ».

كما ورد عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أفضل العبادة انتظار الفرج».

ويكشف هذا الحديث عن أهمية الانتظار، سواء الفرج بمعناه الواسع والشامل، أو مفهومه الخاصّ، أى انتظار ظهور المصلح العالمى.

وتشير كلّ هذه العبارات إلى أنّ انتظار تلك النهضة إنّما اقترن على الدوام بجهاد واسع ومقاومة تامة.

ولو استند الاعتقاد وانتظار حكومة العدل للمهدى إلى قاعدة رصينة لافرز نوعين من الأعمال العظيمة (لأن الاعتقاد السطحى قد لا يتجاوز أثره اللسان، بينما الاعتقاد العملى يقتضى دائماً الآثار العملية). والنوعان هما:

الامتناع عن كافة أشكال التعاون والركون إلى عوامل الظلم والفساد إلى درجة مقاومتها من جانب، ومن جانب آخر تزكية النفس وتوظيف الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية بغية تبلور تلك الحكومة العالمية.

ولو تأملنا ذلك لرأينا كلا العملين بناءً ومدعاة للحركة والمعرفة والوعى واليقظة.

وهكذا يفهم معنى الروايات الواردة فى فضل المنتظرين من خلال الالتفات إلى مفهوم الانتظار الواقعى.

كما نفهم بعض الروايات التى صورت المنتظر الحقيقى وكأنّه فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۷

فسطاط المهدى أو تحت لوائه أو كمن جاهد بين يدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسيفه.

أوليست هذه المراحل المختلفة والدرجات المتفاوتة فى الجهاد من أجل تحقيق العدل والحقّ إنّما تتناسب مع استعدادات الأفراد ودرجات انتظارهم؟ أى كما يتفاوت مقدار تضحية المجاهدين فى سبيل اللَّه ودورهم، فإنّ انتظارهم واستعدادهم هو الآخر مختلف وعلى درجات.

طبعاً كلاهما جهاد ويحتاج إلى استعداد وتزكية. فالفرد الذى يكون فى فسطاط زعيم تلك الحكومة والذى يمثل مركز القيادة والإمرة العسكرية لجميع العالم، لا يمكن أن يكون شخصاً غافلًا وجاهلًا، فليس كلّ فرد يلج ذلك الفساط، سوى من استعد له. كما ينبغى أن ينطوى من حمل السلاح وقاتل إلى جانب ذلك الزعيم كلّ من يقف بوجه حكومة العدل والسلام، على استعداد روحى غزير وتأهب فكرى وعسكرى كبير.

الانتظار يعنى التأهب التام:

اشارة

إن كنت ظالماً فكيف يسعنى انتظار من يضع سيفه فى أعناق الظلمة؟

وإن كنت ملوثاً وفاسداً فكيف انتظر نهضة أوّل شرارتها تطيح بالملوثين المردة!

والجيش الذى ينتظر الجهاد الأكبر إنما يرفع القدرة القتالية لأفراده وينفخ فيهم روح الثورة ويصلح فيهم كلّ ضعف.

وكيفية الانتظار تتناسب دائماً مع الهدف الذى يقف وراءه:

فانتظار قدوم مسافر عادى.

وانتظار عودة صديق عزيز.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۸

وانتظار حلول فصل جنى الثمار من الأشجار.

وانتظار حلول فصل افتتاح المدارس.

فكلّ نوع من هذه الانتظارات ممزوج بنوع من الاستعداد. فلابدّ من اعداد الدار فى أحدها وتوفير وسائل الضيافة، بينما يستلزم الآخر اعداد المنجل والحاصودة، كما يلزم الأخير القلم والكتاب والقرطاس وثياب المدرسة وما شاكل ذلك. ولكم أن تتصوروا الآن ذلك الذى ينتظر قيام المصلح العالمى، فهو ينتظر فى الواقع نهضة وثورة تعد أوسع وأعظم جميع النهضات البشرية طيلة التاريخ. النهضة التى

تختلف عمّا سبقها من النهضات الاصلاحية، فهى لا تنطوى على أية صبغة إقليمية، كما لا تختص بأى جانب من جوانب الحياة المختلفة؛ بل اضافة إلى كونها عامة، فهى تشمل كافة جوانب حياة البشرية؛ فهى نهضة سياسية وثقافية واقتصادية وأخلاقية.

طبعاً لسنا بصدد الدليل على تحقق هذه النهضة، ونوكل ذلك إلى بحث آخر، ذلك لأن هدفنا فى هذا البحث الاقتصار على نتائج وآثار هذه العقيدة وذلك الانتظار، وهل ينطوى هذا الانتظار على فكرة التخدير كما يزعم أصحاب المدارس المادية، أم أنّه انتظار بناء واصلاحى يدعو إلى الانطلاق والحركة. ذكرنا سابقاً أنّ «الانتظار» يتألف من عنصرين؛ «نفى» و «إثبات»، الامتعاظ من الوضع الموجود والرغبة فى وضع أفضل. ونضيف هنا أنّ لكلّ نهضة وحركة محورية بُعدين بُعداً سلبياً وبُعداً ايجابياً.

فالبعد الأوّل لهذه النهضة يتمثل فى القضاء على عوامل الفساد والانحطاط وتطهير المجتمع من دنس العصاة. وما أن تنتهى هذه المرحلة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۹

حتّى يأتى دور البعد الايجابى، أى اشاعة عوامل الاصلاح. كما أشرنا سابقاً إلى تركب مفهومى «الانتظار» و «النهضة العالمية» أى أنّ الآثار التالية إنما تتجلى فى المنتظرين الواقعيين (لا مجرد ادعاء الانتظار كذباً):

۱- التزكية الفردية

إن حكومة المهدى العالمية تتطلب قبل كلّ شىء العناصر الإنسانية على صعيد القيم والمثل لتتمكن من النهوض باعباء الاصلاحات الكبيرة فى العالم؛ وهذا ما يقتضى بادئ الأمر الارتقاء بالمستوى الفكرى والمعرفى والاستعداد الروحى والفكرى بغية التعاضد لتطبيق ذلك المشروع العظيم؛ فقصر النظر وضيق الافق والضحالة الفكرية والحسد والفرقة وبالتالى كافة أشكال النفاق والتشتت لا تنسجم مع مكانة المنتظر الحقيقى.

ولعلّ القضية المهمّة تكمن هنا فى أنّ المنتظر الواقعى لذلك المشروع العملاق لا يمكنه أن يتخذ موقفاً متفرجاً، فهو جندى باسل فى جبهة الإصلاح.

فالإيمان بنتائج النهضة ومصيرها لا تسمح له بأن يكون فى الجبهة المقابلة، كما أنّ التحاقه بجبهة الإصلاح يتطلب منه قدراً كافياً من الأعمال الصالحة والانطواء على الشجاعة واليقظة التامة.

فكيف لى إن كنت ظالماً متمرداً أن انتظر نهضة تستهدفنى! وإن كنت فاسداً ومنحرفاً فأ نّى لى بانتظار قيام نظام لا مكان فيه للافراد الفاسدين والمنحرفين! أولا يكفى هذا الانتظار فى تنقية روحى وتهذيب فكرى من الزلل والدنس! والجندى الذى يتطلع إلى جهاد التحرير إنّما يعيش قطعاً

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۰

حالة التأهب القصوى، والسلام الذى ينبغى له حمله فى هذه المعركة إنّما يهدف إلى إصلاح الأسلحة السائدة؛ ويقوم ببناء المواضع المحكمة، كما يرفع معنويات رفاقه ويفجر فى نفوسهم عشق المواجهة، وإلّا فلا يسعه الانتظار، وإن زعم ذلك فهو كاذب، فانتظار المصلح العالمى يعنى التأهب الفكرى والأخلاقى والمادى والمعنوى التام من أجل إصلاح العالم بأجمعه.

ولك أن تقف على أهميّة مثل هذا التأهب! فإصلاح كلّ ما على الأرض ووضع حدّ للظلم ليس بالعمل الهين! والاستعداد لهذا الهدف العظيم ينبغى أن يتناسب معه، أى لابدّ أن يناسبه سعة وعمقاً.

وعليه فإنّ تحقيق مثل هذه النهضة يتطلب رجالًا أشداء من ذوى القوة والطهر وسعة الافق وبعد النظر والاستعداد التام، كما أنّ التزكية اللازمة لتحقق هذا الهدف تستلزم توظيف وتفعيل البرامج الأخلاقية والفكرية والاجتماعية، وهذا هو معنى الانتظار الواقعى؛ فهل يسع فرد أن يزعم بأنّ هذا الانتظار ليس بناءً؟!

۲- التكافل الاجتماعى

إلى جانب الإصلاح الذاتى فإنّ وظيفة المنتظر الحقيقى تحتم عليه إصلاح الآخرين؛ ذلك لأنّ المشروع العظيم والثقيل الذى ينتظره ليس بمشروع فردى، بل مشروع يختزن كافة عناصر التغيير، وعليه ينبغى أن تتم الانشطة والفعاليات فيه بصيغة جماعية، ولابدّ أن تتظافر جميع الجهود والمساعى، وأن يتناسب عمقها وشموليتها مع عظمة مشروع النهضة العالمية المنتظرة. ليس لأىفرد أن يتجاهل الآخرين فى ميدان المواجهة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۱

الشاملة، وعليه أن يسعى لمعالجة نقاط الضعف إينما وجدت، وتقوية مواطن الضعف، ذلك لعدم إمكانية تطبيق ذلك المشروع دون المساهمة الفاعلة للجميع.

وعليه فإن المنتظر الحقيقى يشعر بتكليفه فى السعى إلى إصلاح الآخرين فضلًا عن اصلاح نفسه.

وهذا هو الأثر البناء الآخر من آثار انتظار قيام المصلح العالمى. وهذه هى فلسفة كلّ تلك الفضائل والامتيازات الواردة بشأن المنتظرين.

۳- عدم الانصهار فى بوتقة الفساد

إن عمّ الفساد فإنّه يشمل أكثرية الناس، وهنا يشعر الطاهرون من الأفراد بأنّهم بلغوا موضعاً مغلقاً، وهو الموضع الذى يفرزه اليأس من الاصلاح.

وربّما يعتقد البعض بأن الفرصة قد مضت ولم يعد هنالك من أمل فى الاصلاح، ومن العبث بذل الجهد فى هذا المجال؛ ومن شأن هذا اليأس والاحباط أن يدفع بهؤلاء الأفراد تدريجياً إلى الفساد والانسجام مع الوسط الملوث، بحيث لا يسعه الابقاء على صلاحه تجاه الأكثرية الفاسدة، وبالتالى فإنّ عدم الانسجام والجماعة يوجب فضيحته.

وبالطبع فإن العنصر الوحيد الذى يبعث فيهم روح الأمل ويدعوهم إلى المواجهة وضبط النفس ويحول دون انصهارهم فى بوتقة الفساد يتمثل بالأمل فى الإصلاح النهائى؛ وهنا طبعاً يشعرون بضرورة السعى لحفظ صلاحهم وصلاح الآخرين. ولعلّ هذا هو السرّ فى عدّ اليأس من رحمة اللّه من الذنوب الكبيرة ومن أخبث الكبائر، حيث لا يرى الفرد الذى يشعر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۲

باليأس من ضرورة لأن يتدارك ما فرط منه أو على الأقل الكفّ عن مواصلة معاصيه، ومنطقه فى ذلك «لقد أوغلت فى المعصية وفاتنى الندم والتوبة ولم تعد أمامى سوى نار جهنم، فهل هناك شىء أخشاه كى أصد عن هذا الطريق».

أمّا إن فتحت له نافذة الأمل، فيشعر بتحول فى حياته يدعوه إلى الأمل بعفو اللّه ورحمته والأمل بتغيير الوضع القائم؛ الأمر الذى يعدوه إلى الكفّ عن المعصية والعودة إلى الذات والطريق القويم.

ومن هنا يعد الأمل من العناصر التربوية المهمة فى معالجة أوضاع الفرد الفاسد؛ كما لا يسع الفرد الصالح حفظ نفسه فى الوسط الفاسد دون الشعور بهذا الأمل.

والنتيجة هى أنّ انتظار ظهور المصلح مدعاة لمضاعفة الأمل بظهوره مها اتسعت رقعة الفساد، والذى يلعب دوراً مهماً فى بلورة العقيدة والاندفاع إلى العمل، إلى جانب تحصين المنتظر من أمواج الفساد.

وهنا يشعرون بقرب بلوغ الهدف فيزداد سعيهم ويتواصل عزمهم فى الوقوف بوجه الفساد والانحراف.

ونستنتج من الأبحاث السابقة أنّ الانتظار الممسوخ والمشوه هو الذى ينطوى على عنصر التخدير- حيث حرفه بعض المخالفين، بينما

مسخه بعض الموافقين- أما إن طبق فى المجتمع بصورته الحقيقية الناصعة فهو عامل مهم على مستوى الأمل والحركة والتربية والتزكية.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۳

ولعلّ من بين الأدلة الواضحة التى تؤيد هذا الموضوع ما روى عن المعصوم عليه السلام بشأن الآية الشريفة: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ » «... ۱»

أنّه قال: «هو القائم وأصحابه».

وجاء فى رواية اخرى: «نزلت فى المهدى» والحال قد وصف المهدى وأصحابه فى هذه الآية بهذا الوصف «الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات».

وعليه يتعذر تحقق هذه النهضة العالمية دون إيمان راسخ يطرد كلّ ضعف وعجز وهوان، ودون عمل صالح يمهد السبيل من أجل إصلاح العالم، وينبغى لمن ينتظر أن يسعى لأن يرفع من مستوى معرفته وإيمانه وينشط فى إصلاح نفسه وأعماله. وهؤلاء فقط من يسعهم التبشير بتلك الحياة فى ظلّ حكومته، لا الظلمة والفجرة، ولا أُولئك البعيدون عن الإيمان والعمل الصالح، ولا الأفراد الجبناء الذين جعلهم ضعف إيمانهم يخشون خيالهم.

ولا الضعفاء والكسالى والعاطلون الذين قبعوا هنا وهناك يتفرجون على الوسط الفاسد دون أن ينبسوا ببنت شفة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء أية حركة ومقاومة.

أجل هذا هو معنى الانتظار الحقيقى!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۵

المصلح العالمى العظيم فى المصادر الإسلامية

صفات الزعيم العالمى

سلطنا الضوء فى الأبحاث السابقة على ظهور النهضة العالمية الكبرى التى تهدف إلى اجتثاث جذور الظلم والفساد من خلال رؤية شاملة، وتوصلنا إلى إمكانية التكهن بتحقق مثل هذه النهضة على ضوء منطق العقل وما ترشد إليه الفطرة.

لكن ينبغى الالتفات إلى أنّ الأدلّة العقلية تقتصر على عرض المشروع الكلى بهذا الخصوص، ويتعذر عليها تعيين تفاصيل هذا المشروع ومن سيكون زعيم هذه النهضة.

والذى نعلمه: إنّ زعامة هذه النهضة- التى تعد أعظم حدث فى تاريخ البشرية وأشمل نهضة عالمية- لشخص يتمتع بالخصائص التالية:

-

۱- العلم التام والرؤية العميقة الشاملة.

۲- النظرة الصائبة وسعة الافق الفريدة التى تسع عالم البشرية.

۳- امتلاك المشاريع الثورية الناجعة فى كافة المجالات.

۴- الشجاعة والهمة الخارقة.

۵- الورع والتقوى التى تتناسب وسعة الأهداف.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۸

۶- الأخذ بنظر الاعتبار كافة أبعاد الحياة دون الاقتصار على البعد المادى.

۷- الروح السامية التى تسمو على الفئوية وضيق النظر والمصالح الشخصية وتتجاوز حدود العادات والتقاليد والمدارس الفكرية السائدة.

كما ينبغى أن يتحلى جيش هذه النهضة بتعاليم عظيمة تمكنه من تفعيل ذلك المشروع الضخم. وليس فى هذا الجيش من مكان للجهال وقصار النظر وضيقى الافق والجبناء وضعيفى الهمة والعصاة والعناصر غير الثورية.

ونتجه الآن صوب المصادر الإسلامية بشأن هذا الظهور للمصلح العظيم.

ذلك لأنّ ديناً كالدين الإسلامى لم يتضمن الخزين المطلوب بهذا الشأن، إلى جانب الخوض فى التفاصيل.

جدير ذكره أنّ كلّ ما ورد فى المصادر الإسلامية بهذا الشأن ينسجم تماماً وما بلغناه عن طريق «العقل والفطرة»؛ ولهذا الانسجام والاتفاق تأثيران: -

إنّه يرسخ إيماننا بأحكام العقل من جانب، ويضاعف من تفاؤلنا بأصالة التعاليم الإسلامية من جانب آخر.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۹

المصلح العالمى فى القرآن

القرآن- بصفته أهم مصدر اسلامى- يشتمل فى هذا المجال كسائر المجالات على بحث كلى واصولى، دون الخوض فى التفاصيل، وبعبارة اخرى فإنّ القرآن يتابع ما كنا عليه من أدلة عقلية وإلهامات فطرية، أى يخبر عن تحقق حكومة العدل العالمية فى ظلّ الإيمان.

وإليك طائفة من الآيات التى تعرضت لهذا الموضوع:

۱- نقرأ فى الآيات ۱۰۵- ۱۰۶ من سورة الأنبياء:

«وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَومٍ عابِدِينَ».

ونسلط الضوء هنا على معانى بعض الكلمات.

«أرض»: تطلق على الكرة الأرضية وتشمل كافة أنحاء العالم، إلّاأن تقوم قرينة خاصة على غير ذلك.

«ارث»: لغوياً ما يقع فى يد الشخص دون معاملة ومبادلة، ويطلق فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۰

القرآن الكريم على بعض الموارد على غلبة الصالحين للطالحين والسيطرة على إمكاناتهم.

«زبور»: تعنى فى الأصل كلّ كتاب، لكنها اطلقت عادة على كتاب «داود» الذى عبر عنه فى العهد القديم ب «المزامير»، وهو مجموعة من المناجاة والأدعية والوصايا لنبى اللّه داود، كما يحتمل أن يكون المراد بالزبور جميع الكتب السماوية السابقة (قبل القرآن).

«ذكر»: تعنى فى الأصل كلّ مصدر للتذكير، لكنها فسرت فى الآية بمعنى توراة موسى عليه السلام بدليل أنّها وردت قبل الزبور، وفسرت أيضاً بأنّها اشارة إلى القرآن الكريم، حيث وردت هذه المفردة فى آياته: «إِنْ هُوَ إِلّا ذِكرٌ لِلعالَمِينَ» «۱».

وعليه فمعنى (من بعد) هو اضافة إلى. (ينبغى التمعن هنا).

«صالح»: معروف وحين ترد بصورة مطلقة تعنى الصلاح فى جميع الامور من قبيل الكفاءة العلمية والأخلاقية، والصلاح من حيث الإيمان والتقوى والعلم والادارة.

فعليه يكون معنى الآية على هذا الأساس:

لقد كتبنا فى الزبور بالإضافة إلى القرآن الكريم (أو التوراة) أنّ الأرض ستؤول إلى الصالحين من عباد اللّه (أولئك الذين ينطلقون فى مسار العبودية).

وذكر هذا الموضوع فى الزبور (إن كان بمعنى جميع الكتب السماوية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۱

السابقة) دليل على أنّ هذا الموضوع أصل ثابت فى كلّ تلك الكتب.

وإن كان المراد منه كتاب داود فلعلّ ذلك لسعة حكومة داود الرامية لتطبيق الحقّ والعدل وضمان مصالح الناس؛ وإن كانت حكومة اقليمية وليست عالمية، لكن بشر الزبور بحكومة عالمية شاملة قائمة على أساس الحرية والأمن والعدل تنتظر العالم بأسره. أى أنّ الناس إن بلغوا تلك المرحلة من الصلاح وأصبحوا مصداقاً حيّاً للعباد الصالحين فإنّهم سيرثون الأرض؛ سيرثون الحكومة المادية والحكومة المعنوية.

وقد تضمنت بعض الروايات الواردة فى تفسير الآية المذكورة عبارات أوضح فى هذا المجال. ومن ذلك ما رواه صاحب تفسير «مجمع البيان» فى ذيل الآية أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال: «هم أصحاب المهدى فى آخر الزمان».

جدير بالذكر، وردت الإشارة إلى هذا الموضوع بعدّة عبارات فى «مزامير داود» ومنها المزمور ۳۷:

«فسينقطع الأشرار ويرث الأرض المتوكلون على اللّه، وسوف لن يبقى شرير، ستتأمل مكانه وليس فيه وسيرث الحكماء الأرض».

كما جاء فى المزمور ۳۷ عبارات اخرى:

...« سيرث الأرض الذى يباركهم الرب وسينقطع الملعونون. سيرث الصديقون الأرض وإلى الأبد» «۱».

وبالطبع فإنّ كلمة «الصالحون» الواردة فى القرآن هى كلمة جامعة تشمل «الحكماء» و «الصديقين» و «المتوكلين» و «المباركين».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۲

وكما ذكرنا فإنّ المستفاد من الآية «إِنَّ فِى هذا لَبَلاغاً لِقَومٍ عابِدِينَ» أنّ الهدف النهائى للصالحين ليس الحكومة، بل هى وسيلة لبلوغ ذلك الهدف، أى تكامل الإنسان فى كافة الجوانب، لأن البلاغ ما يبلغهم هدفهم.

الاستخلاف فى الأرض:

۲- نقرأ فى الآية ۵۵ من سورة النور:

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَايُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

فقد تضمنت الآية ثلاثة وعود صريحة للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ونعلم أنّ لكلّ وعد ثلاثة أركان:

الذى يعد هنا هو اللّه، والموعود «الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات» أى المؤمنين الصالحين. والمواد الواردة فى الوعود الثلاثة هى:

۱- الاستخلاف فى الأرض، أى حكومة الحقّ والعدل.

۲- تمكين الدين، أى نفوذ المعنويات وحكومة القوانين الشرعية فى كافة جوانب الحياة.

۳- تبديل الخوف بالأمن؛ إزالة كافة عناصر الخوف وعدم الأمن واستبدالها بالأمن التام والاستقرار الكامل.

والمراد من «تمكين الدين» كما يفهم من سائر استعمالات هذه المفردة رسوخ التعاليم الدينية فى جميع شؤون الحياة، لا من قبيل ألفاظ السلام

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۳

والحرية وحقوق الإنسان التى يحمل لوائها اليوم المدافعون المزيفون ولا- تتجاوز حناجرهم، بينما لا وجود لها فى الخارج؛ وكأنها ألفاظ خيالية لا يمكن نيلها إلّافى الأحلام وعالم الخيال.

آنذاك سوف لن تكون التعاليم الإسلاميه بصيغة بعض القوالب الصورية الجافة والألفاظ الخاوية، بل ستكون نظرية الحياة السائدة فى

كلّ مكان.

آنذاك ستكون المسؤولية واليقظة عامة شاملة، وسيحول اتساعها دون استغلالها من قبل بعض الأفراد.

وسوف لن تستطيع حينها المنافع الشخصية أن تحول دون القضاء الصحيح، لا- على غرار ما يحصل اليوم من قبل بعض الساحقين لحقوق الإنسان، حين يرتقون منصة المؤتمرات العالمية ويتحدثون بحماس عن هذه الحقوق والحريات وهم يرون عدم كفاية حتّى المواثيق الدولية الواردة بهذا الشأن- والتى لا يلتزمون فى الواقع بأى من بنودها- فتتعالى الأيدى بالتصفيق من جانب زعماء ما يسمى بحقوق الإنسان، ولا غرو فهم معاً ولا يستطيعون ضمان مصالحهم دون أن يسلكوا هذا الاسلوب.

الاستقرار والأمن آنذاك لا- يمزج بالخوف، فهو ليس كالأمن الذى نراه فى بعض بقاع العالم والذى يفرزه الخوف من الأسلحة الفتاكة. وهل هذا أمن أم رعب؟ فهذا الأمن يفرزه الخوف العظيم من عواقب الحروب الوخيمة، إنّه ليس بأمن حقيقى.

ونتيجة هذه الوعود الإلهية الثلاثة تمهيد السبيل لتزكية الإنسان وتكامله

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۴

على مستوى المفاهيم الإنسانية والعبوديه للّهوهدم الأصنام بكافة أشكالها «بعبدوننى لا يشركون بى شيئاً».

لا بأس هنا أن نتطرق إلى بعض أقوال المفسرين وما ذكروه من سبب لنزول هذه الآية:

يرى بعض المفسرين أنّ الآية نزلت حين هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة.

فقد برزت نهضة جديدة هزت أركان ذلك المجتمع الملى بالخرافات والأساطير والجهل والظلم والتمييز العنصرى، ممّا أثارت الطرف الآخر للمعارضة.

ورغم قلة عدد الأصحاب إلّاأنّهم عرفوا بالصمود والتضحية، إلّاأنّ حجم المعارضة كان عريضاً واسعاً، وقد تصاعدت حدّة الصراع بحيث كان المسلمون يعيشون على الدوام حالة التأهب القصوى، فلا يفارقون أسلحتهم حتّى عند نومهم وينهضون صباحاً ليتقلدوا تلك الأسلحة الثقيلة.

وبالطبع فإن استمرار هذا الوضع كان يزعجهم، كيف يسعهم النوم بهذه التجهيزات والأسلحة، وأى نوم هذا الذى يحلمون به والعدو متربص بهم.

كانوا يتمنون أحياناً أن يستريحوا ليلة من ذلك العناء دون أن يكون من العدو خطراً يهددهم، كما يأملون بإقامة الصلاة دون أن يباغتهم العدو، فيعبدون اللّه بكلّ حرية ودون خوف ويقضون على الأصنام ويعيشون بأمان فى كنف حكومة العدل الإلهى.

ومن هنا كان يسأل بعضهم البعض هل سيأتى ذلك اليوم؟! وهنا نزلت الآية وحملت البشارة بتحقق ذلك الوعد وقدوم ذلك اليوم، وقد رأينا كيف

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۵

حلّ ذلك اليوم حين سيطر المسلمون بزعامة النبى صلى الله عليه و آله على الجزيرة العربية.

ويبدو سبب النزول هذا منسجماً مع الآية، لكن لعلمنا بسائر أسباب نزول مختلف الآيات القرآنية فانه لا يسعنا حصر مفاهيم الآيات فى أسباب النزول، بل سبب النزول يعد أحد مصاديق الآية.

ولعلّ الاقتصار بالآية على سبب النزول من قبيل الأسلحة التى تعدها للقتال، وما أن يتوقف ذلك القتال حتّى نطرحها جانباً، وإن كانت باهضة التكاليف وصالحة للاستعمال.

طبعاً شهد أواخر عصر النبى صلى الله عليه و آله عملية جانب من المفهوم الشامل لهذه الآية، إلّاأن تطبيق ذلك المفهوم بأجمعه والاستخلاف فى الأرض لم يطبق لحدّ الآن وما زال العالم ينتظره.

نعم، تبشر الآية الشريفة جميع المؤمنين الحقيقيين بالحكومة العالمية التى تكون من نصيب الصالحين، وتطوى جميع الصفحات

السوداء التى خلفتها عصبة من الأنانيين والمستكبرين الذين تلاعبون فى مقدارات والإنسانية.

ومن هنا ورد فى بعض الروايات أنّ الآية واردة فى قيام المهدى الموعود. فقد روى الطبرسى فى تفسيره «مجمع البيان» عن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال:

«هم واللّه شيعتنا أهل البيت يفعل اللّه ذلك بهم على يد رجل منا هو مهدى هذه الامّة».

ثمّ ذكر مثل هذا المضمون عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وأضافا أنّ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۶

الآية مطلقة وتشمل خلافة جميع الأرض، وحيث لم يتحقق هذا الوعد الإلهى فلابدّ من انتظاره.

كما وردت عدّة روايات فى تفسير «البرهان» عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام فى أنّ الآية إشارة إلى قيام القائم.

جدير بالذكر أنّه بالنظر إلى كلمة «منكم» فإنّ هناك أقلية مؤمنة صالحة تمارس النهضة العالمية حين تتوفر ظروفها فتبلغ بها شاطئ الأمان وتتغلب على جميع المصاعب والمطبات التى تعترض سبيل السفينة.

۳- نقرأ فى الآية ۳۳ من سورة التوبة:

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

ولابدّ من الرجوع إلى الآية السابقة للوقوف على معنى هذه الآية:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

ويتضح من هذه الآية أنّ إرادة اللّه تعلقت بتكامل نور الإسلام، وسيكون تكامله حين ينشر لوائه على كافة أنحاء العالم.

ومن ثمّ وضح هذه الحقيقة فى الآية المذكورة:

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

وقد تكرر هذا الوعد مع فارق طفيف فى الآية ۲۸ من سورة الفتح:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۷

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً».

وأخيراً جاء هذا الوعد للمرة الثالثة فى الآية ۹ من سورة الصف بالعبارة التى وردت فى سورة التوبة:

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

ولعلّنا ندرك أهمية هذا الوعد الإلهى من هذه الآيات القرآنية. إلّاأنّ المهم هو اتضاح مفهوم العبارة «ليظهره»:

أوّلًا: يرجع الضمير «هاء» إلى النبى صلى الله عليه و آله أو «دين الحقّ»؟

على ضوء الاحتمال الأوّل المفهوم غلبة النبى لجميع الأديان، بينما مفهومها غلبة الدين الإسلامى على أساس الاحتمال الثانى.

لكن يبدو على أساس قواعد اللغة أنّ الضمير يعود إلى «دين الحقّ» كونه الأقرب (وإن لم يكن الفارق بينهما كبيراً). أضف إلى ذلك فإن انتصار دين على سائر الأديان أنسب تعبيراً من انتصار شخص على سائر الأديان (لابدّ من التمعن).

ثانياً: (وهذا هو المهم) ما المراد هنا بالظهور؟ لا شك أنّ الظهور هنا لا يعنى البروز والوضوح، بل يعنى الغلبة. جاء فى كتاب القاموس- أحد المصادر اللغوية المعروفة- ظهر به وعليه: غلبه.

كما جاء فى مفردات الراغب: ظهر عليه غلبه.

وكما وردت بهذا المعنى فى عدّة آيات من سور القرآن كسورة المؤمن والكهف والتوبة:

«كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۸

بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ» «۱».

«يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ » «... ۲».

«إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً» «۳».

لكن ما المراد بغلبة دين لسائر الأديان؟

ذكر المفسرون ثلاثة آراء:

۱- الغلبة المنطقية؛ أى بمقارنة الإسلام بسائر الأديان الممزوجة غالباً بالخرافات تظهر غلبة المنطق المستدل على سائر المناطق.

يعتقد أصحاب هذا الرأى أنّه كلما قارنا التوحيد الإسلامى الخالص مع سائر أنواع التوحيد المشوبة بالشرك أو الشرك الخالص فانه يتضح منطق أفضلية الإسلام على سائر الأديان، وكذلك سائر المباحث التى اكتسبت عملية هذا الوعد الإلهى؛ حتّى أنّ مقارنة شعار الأذان بفضله شعار محرك، بشعار الناقوس وعدم شعارية أغلب الأديان يكشف عن هذه الغلبة المنطقية.

۲- الغلبة العملية والغلبة الخارجية على سائر الأديان، غاية الأمر ضمن مقارنة اقليمية لا عالمية وعامة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۹

فقد تحققت أيضاً؛ حيث تغلب الإسلام فى عهد النبى صلى الله عليه و آله على شبه الجزيرة العربية ومن ثمّ على منطقة عظيمة من العالم، حتّى خضع لنفوذ الإسلام اتباع الديانات الاخرى فى تلك المناطق الممتدة من جدار الصين- بل ما وراء جدار الصين- حتّى شواطئ المحيط الاطلسى، وقد ظلّ الإسلام متجذراً فى تلك المناطق حتّى بعد اضمحلال الدولة الإسلامية هناك.

۳- الغلبة الخارجية والعملية على مستوى العالم وجميع ما على الأرض والتى تشمل الغلبة الثقافية والاقتصادية والسياسية، وهو التفسير الذى قال به بعض مفسرى العامة فضلًا عن مفسرى الشيعة.

قطعاً لم يصبح هذا الوعد عملياً لحدّ الآن ولا ينطبق سوى على الحكومة العالمية للمهدى الموعود عليه السلام، وهى الحكومة التى يعم الحقّ والعدل فيها كلّ مكان ويتغلب فيها هذا الدين على ضوء القياس العالمى على سائر الأديان.

ولدينا بعض القرائن التى تفيد ترجيح التفسير الثالث على سائر التفاسير؛ لما يلى:

أوّلًا: الغلبة المستفادة من كلمة «الظهور» ظاهرة فى الغلبة الحسية والعينية والخارجية، لا الغلبة الذهنية والفكرية، ولذلك لم يرد «الظهور» بمعنى الغلبة الذهنية فى أى من الموارد القرآنية المذكورة، بل لوعدنا إلى الآيات السابقة وأمعنا النظر فيها لرأيناها وردت بمعنى الغلبة العينية والخارجية.

ثانياً: ذكر كلمة «كله» بعنوان تأكيد يشير إلى عدم وجود البعد الاقليمى للغلبة، بل هى عامة شاملة لجميع الأديان، وهذا لا يمكن سوى من خلال شمولية الإسلام للعالم.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۰

ثالثاً: الروايات التى وردت فى تفسير الآية وتقوى التفسير الثالث، مثل:

۱- روى العياشى باسناده عن عمران بن ميثم عن عبابة أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام حين تلى الآية «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ » ... سأل أصحابه: أظهر ذلك؟ قالوا: بلى. قال:

«كلا، فوالذى نفسى بيده حتّى لا يبقى قرية إلّاوينادى فيها بشهادة أن لا إله إلّااللّه بكرة وعشيا» «۱».

۲- وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ ذلك عند خروج المهدى من آل محمّد فلا يبقى أحد إلّاأقر بمحمّد» «۲».

۳- قال المقداد بن الأسود سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول:

«لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلّادخله اللّه كلمة الإسلام» «۳».

كما وردت عدة روايات تفسر الآية بهذا المضمون.

كانت هذه طائفة من الآيات القرآنية التى تؤكد العدل والسلام العالمى والإيمان بالتوحيد والإسلام فى كافة أرجاء العالم.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۱

المصلح العالمى فى مصادر العامة

لابدّ من الالتفات إلى أمرين قبل كلّ شىء.

۱- يتساءل البعض ما الحاجة إلى الروايات ولدينا القرآن؟

وطالما بين القرآن كلّ شىء «فيه تبيان لكلّ شىء» فما المانع من أن نلتحق بمن قال: «حسبنا كتاب اللَّه»؟ خاصة إننا نسمع أنّ هناك بعض الروايات والأحاديث الموضوعة بين سائر الأحاديث الصحيحة وهذا ما يؤدى إلى عدم اعتبارها جميعاً.

لكن بالنظر إلى أننا مسلمون، والمسلم المتمسك بالقرآن لا يمكنه تجاوز الأحاديث الإسلامية الواردة من طرقها الصحيحة، وذلك لأنه:

أوّلًا: إنّ من أنكر السنّة فقد أنكر القرآن، حيث صرّح القرآن بشأن النبى صلى الله عليه و آله فى أنّ كلامه حجّة وأنّه مفترض الطاعة فقال: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » «... ۱».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۲

وقال: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً » «... ۱»

وقال:

«مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» «۲».

وهكذا سائر الآيات التى‌ترى وجوب طاعة أوامر النبى صلى الله عليه و آله بصفتها أوامر اللَّه.

ثانياً: إنّ القرآن يحتوى على القوانين الكلية للإسلام وإن غضضنا الطرف عن السنّة فانه سيفقد صبغته العملية، وستبقى الكليات الذهنية التى لا يمكن تنفيذها؛ ذلك لأنّ السنّة بيّنت جميع الجزئيات والمقررات العملية والتنفيذية لتلك القوانين الكلية.

ورغم منع البعض من تدوين أحاديث النبى صلى الله عليه و آله بعد وفاته بغية عدم اختلاطها بالقرآن! لكن سرعان ما وقفوا على ضعف هذا النمط من التفكير، بحيث ربّما تندرس السنّة مع مرور الزمان حتّى ينتهى الأمر إلى فقدان الإسلام لجانبه العملى والتنفيذى، ومن هنا تركوا تلك النظرية الفاشلة وعمدوا إلى تدوين الحديث والرواية.

ثالثاً: صحيح أنّ يد الوضاعين امتدت إلى الأحاديث الإسلامية وقد شوهتها لمختلف الدوافع والأسباب، غير أنّ ذلك لا يعنى عدم وجود بعض الضوابط فى تمييز الأحاديث الصحيحة من الموضوعة، ومن ذلك علم الرجال والحديث والدراية.

۲- رجل ثورى لا سياسى مادى:

إنّ الأدلّة التى ذكرت- كالآيات الواردة فى هذا الخصوص- عن طريق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۳

العقل أو الفطرة والتى تشير إلى تحقق نهضة اصلاحية شاملة فى العالم، لم تتطرق إلى شخص معين، بل اقتصرت على مباحث كلية؛ ولكن ممّا لاشك فيه أنّ هذه النهضة تتطلب زعيماً كسائر النهضات، زعيماً مقتدراً وعالماً ذا آفق بعيد ونظرة ثاقبة وعالمية، فهل يمكن أن ينبثق هذا الزعيم كسائر زعماء العالم المعاصر من المجتمعات المادية؟ أى كالزعماء الذين يكون هدفهم بالدرجة الاولى حفظ مناصبهم، ومن ثمّ كلّ ما من شأنه حفظ مكانتهم؛ وتعظيمهم إزاء المدارس السياسية والاقتصادية المختلفة بمستوى التأثير فى حفظ مكانتهم؛ وقد تكون ذروة أهدافهم فى المرحلة اللاحقة الانطلاق نحو تحقيق مصالح شعوبهم، وإن كان ذلك على حساب ذبح

الشعوب الاخرى.

وقد اثبتت حرب فيتنام التى استغرقت عشرين سنة وقد خلفت ملايين القتلى والجرحى وهدم ملايين الأحياء السكنية وملايين الأفراد المشوهين ومليارات الأموال والثروات، أنّ الرأسمالية المعاصرة مستعدة للقتال من أجل حفظ منافعها، بل أحياناً لا لشيء- بل أبعد من ذلك من أجل سلسلة من الأوهام الفارغة- وقد تغير خلال هذه الفترة عدد من هؤلاء الزعماء العظام (؟) غير أنّهم ساروا جميعاً على نهج أسلافهم ليثبتوا أنّ ذلك العمل لم يكن نزعة فردية أو جماعية معينة، بل هو مبدأ ثابت من مبادئ وخصائص هذه الأنظمة.

إنّهم ينشدون الحرية كهدف سام، لكنهم يقتصرون بها على أنفسهم، وقد يتبنون شعارها أحياناً من أجل الآخرين، ولكن ما أن تتعارض مع مصالحهم حتّى يتنصلوا عنها.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۴

إنّهم يتفقون بغية ضمان منافعهم، وهذا هو مبدأهم المقدس المتفق عليه، وكأنّهم تعاقدوا معاً على الدوام على ذلك الأمر.

كما استغلوا حرية «حقوق الإنسان» و «حرية الشعوب فى تقرير مصيرها» لضرب منافسيهم، ولذلك قد تنتكس تلك الحرية إن كان الكلام عن حلفائهم، فيتخلون عن تلك الشعارات حفظاً لمصالحهم ورعاية لتلك العلاقات.

فهل يسع مثل هذه الأنظمة أن ترفع راية الحرية والعدالة فى العالم، وهل هناك من فرق بين الدول الكبرى؟ فالظلم والاستعباد والقهر الذى تتميز به الأنظمة الرأسمالية واضح لا يتطلب مزيداً من العناء.

أمّا الأنظمة اليسارية؛ فقد واجهت جميع الأنظمة وحصرت سلطتها فى بضعة أفراد- أى الفئة الحزبية الحاكمة- على أساس بسط العدل وترفيه الطبقات المعدمة والمسحوقة وبناء المجتمع الخالى من الطبقية، ومن هنا فقد صهرت آلاف الاقطاعين الكبار والصغار فى بوتقة ثورة «البروليتاريا» ثمّ اطلقت عدداً من كبارهم ليمسكوا بخيوط اللعبة لكافة حركات بيئتهم السياسية والاقتصادية. وقد حكموا مجتمعاتهم بقوة غاشمة سلبتهم حتّى التفكير فى معارضة زعمائهم. وكأنّهم جعلوا بعض المبادئ المرنة التى يفرزها العقل البشرى فى اطار مسيرته التكاملية بمثابة مبادئ خالدة لإيقاف عجلة التاريخ عن التطور والحركة والإبقاء عليها ساكنة فى موضع معين.

ويطالنا هنا بعض الزعماء المستبدين الذين يتمكنون بالتدريج من

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۵

الاطاحة بمعارضيهم ليذكروننا باساطير الدكتاتوريات المُبادة كسلاطين المغول، على سبيل المثال فإنّ الزعيم الفذ استالين لا يرى من ضير فى قتل أكثر من مليون ومئتى شخص من أجل البقاء فى منصبه وحفظ مصالحه.

ولكن ما أن مات حتّى سلوا جسده من قبره وعمدوا إلى إزالة اسمه، فتحول إلى عدم كأنّه لم يكن له من وجود، والحال، كان حتّى الأمس المدافع الوحيد عن حقوق الطبقة العاملة وضمان راحتها ورفاهيتها قد تتطلب المصالح أحياناً الوقوف بشدّة بوجه حلفائهم وأعوانهم، وابرام اتفاقيات التعاون والصلح والسلام مع أعدائهم والتنازل عن جميع المبادئ والاصول التى يتشدقون بها.

فهل يسع مثل هؤلاء الزعماء حمل لواء العدل العالمى ونشره خفاقاً على الشعوب؟

وهل تستطيع الأنظمة المادية الرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية الماركسية أن ترفد المجتمع بذلك الزعيم المنتظر؟ قطعاً لا.

حقّاً ليس ذلك سوى للمدرسة الإنسانية التى تفوق النزعة المادية والتى تستطيع تطبيق وتنفيذ ذلك المشروع الإنسانى فى كافة أرجاء العالم.

المدرسة التى لايفكر زعيمها قط فى حفظ مكانته ومصلحته.

ولا يقتصر بنظره على شعبه.

كما لا ينظر إلى ما حوله بعين مادية محدودة.

وأن يتمتع بالأفكار السماوية الرفيعة والعميقة والترفع عن الضحالة.

فذلك الشخص الذى تخالف مبادؤه نظيرتها لدى المدارس المادية التى تنهض اليوم بادارة شؤون المجتمعات، هو من يستطيع انقاذ البشرية من

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۶

هاوية الهلكة وايصالها إلى شاطئ الأمن والنجاة.

فمن هو ذاك؟ يعتقد المسلمون أنّ ذلك الرجل هو المهدى عليه السلام.

من هو المهدى؟

مرّ علينا فى بحث آثار الانتظار أنّ جميع الفرق الإسلامية دون استثناء تعيش انتظار المصلح العالمى من نسل النبى وهو «المهدى».

(الزعيم الذى هدى إلى هدفه ومشروعه الثورى العالمى والقادر على هذا الأساس على هداية الآخرين وزعامتهم).

وقد بلغ هذا الاتفاق درجة بحيث لم تشذ عنه حتّى أعظم الفرق الإسلامية افراطاً- أى الوهابية- ولم تكتف بقبوله، بل هبت للدفاع عنه لأنّها تراه من العقائد الإسلامية المسلمة.

وسنورد بيان «رابطة العالم الإسلامى» التى تعد من أكبر مراكز الوهابية فى مكة قبل أن نذكر ما ورد عن علماء العامة بهذا الخصوص.

وترى أنّ ما تضمنته هذه الرسالة من وثائق ضرورية لم تدع مجالًا لأحد للانكار، ولعلّها هى السبب فى اذعان الوهابية المتطرفة. والذى نعتقده أنّ هذه الرسالة واضحة صريحة لا تحتاج إلى أدنى توضيح، ولعلّها تلقم من يزعم بأنّ عقيدة ظهور المهدى فكرة مستوردة، حجراً وتخرسه عن الرد.

حيث تقدم قبل سنتين «۱» شخص يدعى «أبو محمّد» من كينيا بسؤال إلى «رابطة العالم الإسلامى» التى تعتبر من المراكز الدينية الحجازية والمكية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۷

المهمة بشأن ظهور المهدى المنتظر.

فبعث له «محمّد صالح القزاز» الأمين العام، برسالة ضمّنها جوابه وأشار فيها إلى قبول ابن تيمية للأحاديث المتعلقة بالمهدى، جدير بالذكر أنّ الفارق الكبير بين هذه الرسالة مع عقائد أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام هى أنّهم ذكروا اسم والد الإمام المهدى «عبداللَّه»، بينما المسلم لدى الشيعة أنّ والده هو الإمام الحسن العسكرى، ولعلّ سر هذا الاختلاف ما ورد فى بعض روايات العامة «اسم أبيه اسم أبى» بينما تفيد القرائن أنّ أصل هذه العبارة «اسم أبيه اسم ابنى» والخطأ فى التنقيط هو سبب اختلاف العبارة (أيد هذا الاحتمال الكنجى الشافعى فى كتابه البيان فى أخبار صاحب الزمان).

وعلى كلّ حال فإنّه لا يمكن الاعتماد على تلك العبارة للأسباب التالية: -

۱- لم ترد هذه العبارة فى أكثر روايات العامة.

۲- ورد فى رواية ابن أبى ليلى «اسمه اسمى واسم أبيه اسم ابنى».

۳- تفيد الروايات المتواترة عن طرق أهل البيت عليهم السلام أنّ اسم أبيه «الحسن».

۴- صرحت بعض روايات العامة أنّه ابن الإمام الحسن العسكرى.

(للوقوف على المزيد بهذا الشأن راجع كتاب: منتخب الأثر صفحات ۲۳۱ إلى ۲۳۶، الباب ۱۱، وكتاب نور الأبصار».

نص الرسالة:

الكريم أبو محمّد «المحترم (كينيا)

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۸

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته- اشارة إلى خطابكم (المؤرخ فى ۲۱ مايو ۱۹۷۶ م) المتضمن عن موعد ظهور المهدى وفى أى مكان يقيم؟

نفيدكم بأننا نوفّر لكم مع خطابنا إليكم ما جاء من الفتوى فى مسألة المهدى المنتظر وقد قام بكتابته فضيلة الشيخ محمّد المنتصر الكنانى وأقرّته اللجنة المكنونة من أصحاب الفضيلة الشيخ صالح بن عثيين وفضيلة الشيخ أحمد محمّد جمال وفضيلة الشيخ أحمد على وفضيلة الشيخ عبداللَّه خياط.

مدير ادارة المجمع الفقهى الإسلامى: محمّد منتصر الكنانى

وقد دعم الفتوى بما ورد من أحاديث المهدى عن الرسول صلى الله عليه و آله وما ذكره ابن تيمية فى المنهاج بصحّة الاعتقاد وابن القيم فى المنار وإن شاء اللَّه تعالى ستجدون فى الكتاب مطلبكم وما يغنيكم عن مسألة المهدى انتم ومن كان على نهجكم آملين لكم التوفيق والسداد.

الأمين العام محمّد صالح القزاز

بعد التحية

جواباً عمّا يسأل عنه المسلم الكينى فى شأن المهدى المنتظر عن موعد ظهوره وعن المكان الذى يظهر منه وعن ما يطمئنه عن المهدى عليه السلام.

هو محمّد بن عبداللَّه الحسنى العلوى الفاطمى المهدى الموعود المنتظر موعد خروجه فى آخر الزمان وهو من علامات الساعة الكبرى يخرج من الغرب ويبايع له فى الحجاز فى مكّة المكرمة بين الركن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۹

والمقام- بين باب الكعبة المشرفة والحجر الأسود عند الملتزم، ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس، يملأ الأرض عدلًا وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يحكم العالم كله وتخضع له الرقاب بالاقناع تارة وبالحرب اخرى، وسيملك الأرض سبع سنين وينزل عيسى عليه السلام من بعده فيقتل الدجّال أو ينزل معه فيساعده على قتله بباب «اللد» بأرض فلسطين.

هو آخر الخلفاء الراشدين، الاثنى عشر الذين أخبر عنهم النبى صلوات اللَّه وسلامه عليه فى الصحاح، وأحاديث المهدى واردة عن الكثير من الصحابة يرفعونها إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومنهم عثمان بن عفان؛ وعلى بن أبى طالب، وطلحة بن عبيداللَّه، وعبدالرحمن بن عوف، وعبداللَّه بن عباس، وعمّار بن ياسر، وعبداللَّه بن مسعود، وأبو سعيد الخدرى، وثوبان، وقرة بن اياس المزنى، وعبداللَّه بن الحارث بن جز، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمانى، وجابر بن عبداللَّه، وأبو امامة، وجابر بن ماجد الصدفى، وعبداللَّه بن عمر، وأنس بن مالك، وعمران بن حصينى، وامّ سلمة.

هؤلاء عشرون منهم، ممّن وقفت عليهم، وغيرهم كثير، وهناك آثار عن الصحابة مصرّحة بالمهدى، من أقوالهم، كثيرة جداً، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد فيها.

أحاديث هؤلاء الصحابة التى رفعوها إلى النبى صلى الله عليه و آله والتى قالوها من أقوالهم اعتماداً على ما قاله رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه ورآها الكثير من دواوين الإسلام، وامّهات الحديث النبوى، من السنن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۰

والمعاجم والمسانيد منها:

سنن أبى داود، والترمذى، وابن ماجة، وابن عمرو الدانى، ومسانيد أحمد، وابن يعلى، والبزاز، وصحيح الحاكم؛ ومعاجم الطبرانى الكبير والآلوسى والروياني والدارقطنى فى الأفراد، وأبو نعيم فى أخبار المهدى والخطيب فى تاريخ بغداد، وابن عساكر فى تاريخ

دمشق وغيرها.

وقد خصّ المهدى بالتأليف أبو نعيم فى «اخبار المهدى» وابن حجر الهيثمى فى القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر والشوكانى فى التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجّال والمسيح، وادريس العرقى المغربى فى تأليفه «المهدى» وأبو العبّاس بن عبدالمؤمن المغربى فى كتابه «الوهم المكنون فى الرد على ابن خلدون».

وآخر من قرأت له عن المهدى، بحثاً مستفيضاً، مدير الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة فى مجلة الجامعة، أكثر من عدد.

وقد نصّ على أنّ أحاديث المهدى أنها متواترة، جمع من الأعلام قديماً وحديثاً منهم السخاوى فى «فتح المغيث». ومحمّد بن أحمد السفاوينى فى شرح العقيدة وأبو الحسين الابرى فى «مناقب الشافعى» وابن تيمية فى فتاواه والسيوطى فى الحاوى وادريس العراقى المغربى فى تأليف له عن المهدى والشوكانى فى «توضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر؛ والدجّال، والمسيح» ومحمّد بن جعفر الكنانى فى «نظم المتناثر فى الحديث المتواتر» وأبو العبّاس بن عبدالمؤمن المغربى فى «الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» وحاول ابن خلدون فى مقدمته

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۱

أن يطعن فى أحاديث المهدى، محتجاً بحديث موضوع لا أصل له عند ابن ماجة لا مهدى إلّاعيسى. ولكن ردّ عليه الأئمّة والعلماء؛ وخصّه بالرد شيخنا ابن عبدالمؤمن، بكتاب مطبوع متناول فى المشرق والمغرب منذ أكثر من ثلاثين سنة.

ونصّ الحفاظ والمحدّثون على أنّ أحاديث المهدى فيها الصحيح والحسن ومجموعها متواتر ومقطوع بتواتره وصحته.

وأنّ الاعتقاد بخروج المهدى واجب وأنّه من عقائد أهل السنّة والجماعة ولا ينكر إلّاجاهل بالسنّة ومبتدع فى العقيدة.

واللّه يهدى إلى الحقّ ويهدى إلى السبيل

مدير إدارة المجمع الفقهى الإسلامى

محمّد المنتصر الكنانى

ونرى من الضرورى هنا أن نورد بعض أقوال سائر علماء العامّة بهذا الشأن:

۱- قال الشيخ منصور على ناصف مؤلف كتاب التاج «۱»:

«اشتهر بين العلماء- سلفاً وخلفاً- أنّه فى آخر الزمان لا بدّ من ظهور رجل من أهل البيت يسمى «المهدى» يستولى على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين».

ثمّ قال:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۲

«وقد روى أحاديث المهدى جماعة من خيار الصحابة وأخرجها أكابر المحدّثين كأبى داود والترمذى وابن ماجة والطبرانى وأبى يعلى والبزاز والإمام أحمد والحاكم، رضى اللّه عنهم أجمعين ولقد أخطأ من ضعَّفَ أحاديث المهدى كلّها كابن خلدون وغيره» «۱».

۲- ولم يستطع حتّى ابن خلدون المعروف بمخالفته لأحاديث المهدى أن ينكر شهرة أحاديث المهدى بين جميع علماء الإسلام حتّى قال:

المشهور بين جميع المسلمين طيلة العصور أنّه يظهر آخر الزمان رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويبسط العدل ويتبعه المسلمون «۲».

۳- قال العالم المصرى المعروف محمّد الشبلنجى فى كتابه «نور الأبصار»:

«تواترت الأخبار عن النبى صلى الله عليه و آله على أنّ المهدى من أهل بيته وأنّه يملأ الأرض عدلًا» «۳».

۴- وذكر الشيخ محمّد الصبان «۴» فى كتابه «اسعاف الراغبين»:

«إنّ الأخبار المتواترة عن النبى صلى الله عليه و آله أنّ المهدى سيظهر آخر الزمان وأنّه من أهل بيت النبى وسيملأ الأرض قسطاً

وعدلًا».

۵- وروى ابن حجر فى صواعقه المحرقة عن أبى الحسن الأمرى:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۳

«إنّه وردت أخبار متواترة وكثيرة عن النبى صلى الله عليه و آله سيظهر المهدى وهو من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله ... ويملأ الأرض قسطاً وعدلًا» «۱».

۶- قال صاحب كتاب «التاج» بعد أن أشار إلى كتاب «الشوكانى» أحد مشاهير علماء العامة وقد ألفه بشأن الأحاديث المتواترة فى المهدى وخروج الدجّال وعودة المسيح وضمنه شرحاً فى تواتر تلك الأحاديث:

«هذا يكفى لمن كان عنده ذرة من الإيمان وقليل من انصاف» «۲».

وللوقوف على المزيد من شرح الأحاديث التى روتها العامة فى قيام هذه النهضة العالمية الكبرى، راجع كتاب «المهدى» وكتاب «منتخب الأثر فى أحوال الإمام الثانى عشر».

منطق مخالفى أحاديث المهدى:

علمنا من البحث السابق أنّ نفراً قليلًا من العامة عارض أحاديث المهدى ومنهم:

المؤرخ المعروف ابن خلدون والكاتب المصرى المعاصر أحمد أمين وإن تصدى لهم أغلب علماء العامة. مع ذلك لابدّ من التعرف على آرائهم بهذا الخصوص.

ويمكن ايجاز الاعتراضات فى خمسة مواضيع هى:

۱- اسناد اخبار المهدى ليست معتبرة!

۲- لا تنسجم الأخبار المذكورة مع العقل!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۴

۳- استغلال هذه الأخبار من بعض أدعياء المهدوية!

۴- إنّ هذه الأخبار تؤدى إلى ضعف المجتمع الإسلامى!

۵- تصب هذه الأخبار فى صالح الشيعة وعقائدهم!

ضعف منطق المخالفين:

يستفاد من هذه الاشكالات أنّ لمخالفة أحاديث المهدى صبغة ظاهرية وهى ضعف سند الروايات الواردة بهذا الشأن، أو ضعف دلالاتها؛ وصبغة واقعية تكمن خلف سابقتها ودافعها التعصب المذهبى، وبعض المصالح غير المبررة، وعلى كلّ حال فإن منطق المخالفين أجوف تماماً وفى كلّ جانب وذلك لأنه:

أوّلًا: أنّ أحاديث المهدى- كما ذكرنا سابقاً- وردت فى أغلب مصادر العامة المعتبرة فضلًا عن مصادر الشيعة، وقد رواها كبار محدثى العامة وقد صرح أغلبهم بتواترها. وعليه فلا مجال لمناقشة اسنادها؛ ذلك لأن شهرتها وتواترها تغنينا عن ملاحظة السند، أى أنّ هذه الأحاديث على ضوء معايير تمييز الأحاديث، قطعية.

وبغض النظر عن ذلك فإن هنالك الأحاديث الصحيحة والمعتبرة بين تلك الأحاديث والتى اعترف بصحتها محدثو العامة.

والعجيب اعتراف «ابن خلدون» بهذه الحقيقة، فقد ذكر ذلك بعد عدة صفحات من كتابه التى افردها لأحاديث المهدى وحاول اثارة الشكوك بخصوص اسنادها فقال:

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۵

«فهذه جملة من الأحادیث التی أخرجها الأئمّة فی شأن المهدی وخروجه آخر الزمان وهی کما رأیت لم یخلص منها من النقد إلّا القلیل والأقل منه».

وهکذا فهو یعترف علی الأقل بأن القلیل من هذه الأحادیث صحیحة وتأبی النقد.

أضف إلی ذلک فإن هذه الأحادیث لا تقتصر علی تلک التی ذکرها ابن خلدون فی کتابه، ومن هنا فقد ألف بعض علماء العامة کتباً ردوا فیها علی ابن خلدون وصرّحوا بتواتر أحادیث المهدی وعدم اقتصارها علی ما أورده، وأشرنا إلی ذلک سابقاً.

ویتضح من ذلک أنّ انکار الأحادیث عن هذا الطریق، أی طریق تضعیف السند، هو انکار لا أساس له من الصحّة.

ثانیاً: لم یرد فی الأحادیث المذکورة ما یناقض العقل لیکون مدعاة لانکارها.

وحتّی إن بدا مضمون بعضها خلاف العادة فهو لا یفوق معاجز سالف الأنبیاء، والاستبعاد لا یمکنه الحیلولة دون قبولها.

بالاضافة إلی أنّ أحادیث المهدی لیست وحدة متصله بحیث نقبلها جمیعاً أو نرفضها جمیعاً، بعبارة اخری فإن القدر المسلم من الأحادیث المذکورة، أی قیام شخص من أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله ومن ولد فاطمة علیهم السلام وممارسته للنهضة الاصلاحیة العالمیة ومل الأرض قسطاً وعدلًا، لیس بالمطلب الذی یشکل علیه عقلیاً، بل اثبتنا سابقاً أنّ هذا الموضوع ینسجم مع سلسلة من الأدلة العقلیة، واما بعض الأحادیث المتعلقة بعلامات الظهور

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۶

وأمثال ذلک، فإن کانت مستبعدة ولیست واضحة من حیث السند ولا یمکن الوثوق بها، فلنا أن نردها، لکن لا علاقة لردّها بسائر الأحادیث.

وخلاصة القول فإننا لا ندری لِمَ أغمض البعض عن تفکیک الأحادیث عن بعضها البعض الآخر ونقد بعضها دون الآخر، فوقع فی هذا الخطأ الفاحش!

فهذه الأحادیث تقول إنّ المدنیة المادیة لا تصلح البشریة، وتبدو حرب فیتنام التی استغرقت ۲۵ سنة انبوبة اختبار عجیبة، یختبر بها جمیع المفکرین آرائهم، إلّاأنی کعالم دین أقول إنّ هذا دلیل علی عجز المدارس المادیة، وأنّ کافة الوسائل المادیة عناصر تصعّد حدّة الأزمة إن افتقرت للإیمان، وهذا ما نلمسه فی سائر مناطق العالم.

ثالثاً: إن کانت هذه الأحادیث لصالح الشیعة فهل ذنب الشیعة أم الأحادیث؟! وما الذی یمنع من قبول الحقّ کیفما اتضح؟ إلی جانب ذلک فإن الأحادیث المذکورة وإن أیدت رأی الشیعة، لکن لیست هنالک من ملازمة بین قبول هذه الأحادیث وقبول التشیع، فما أکثر من یؤمن بنهضة المهدی لکنهم لیسوا شیعة. علی کلّ حال لا ینبغی لبعض التعصبات المقیتة أن تحول دون ادراک الحقیقة، فهذا الأمر أشبه بما یقوله المریض المدین لطبیب ویکتب له وصفة طبیة تتضمن شفاؤه فلا یلتزم بها، لأنّه إن التزم بها وتماثل للشفاء سیقول الناس أنّ ذلک الطبیب ماهر.

رابعاً: صحیح هناک استغلال لهذه الأحادیث ولکن هل هنالک من حقیقة لم تستغل؟

فهل قلة هم أولئک الذین ادعوا النبوة والألوهیة وسائر المقامات المعنویة؟

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۷

وهل الأدیان المبتدعة فی العالم قلیلة؟! فهل ینبغی طرح کلّ هذه الحقائق خشیة الاستغلال؟! أم هل ینبغی التنکر للألوهیة والنبوّة؟

وهل قلیل استغلال مختلف القوی المادیة فی العالم؟

هل نتجاوزها جمیعاً؟ ما هذا المنطق؟!

لقد شهد القرن الثانی عشر ظهور اثنی عشر شخصاً کلهم ادّعی أنّه المسیح- وقد استقطبوا عدداً من الأفراد- وهذا ما أثار بعض

النزاعات والمعارك التى اودت بحياة الكثير من الناس «۱»، فهل يدعونا ذلك إلى انكار المسيح بذريعة استغلال البعض لهذه القضية!

خامساً: كما ذكرنا فى بحث الانتظار فإن الاعتقاد بقيام المهدى بالنسبة لأولئك الذين يعيشون الانتظار الحقيقى لا يوجب الخمول والركود فحسب، بل هو أساس الأمل والوقوف بوجه مشاكل الحياة وصعوباتها، على غرار الإيمان باللّه وقدرته المطلقة الذى يمنح الإنسان قوة واقتداراً، ويبعده عن الشعور باليأس والاحباط. فانتظار المهدى عنصر قوة وحركة واصلاح.

والحال لم يدرك البعض معنى هذا القيام كما ينبغى فنزع نحو الكسل والخمول والتهرب من المسؤولية، وهؤلاء هم المقصرون الحقيقيون كأولئك الذين لم يدركوا الإيمان باللّه وقدرته المطلقة. وزبدة الكلام إنّه لا يمكن التنكر لواقع قائم لبعض الذرائع الواهية الجوفاء.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۹

المهدى فى مصادر الشيعة الروائية

تبدو قضية الإيمان بالمصلح العالمى «المهدى» أكثر عمقاً ورصانة لدى الشيعة الإمامية، ذلك لأنّ العامة إن آمنت بها كمسألة فرعية، فإنّ الشيعة تراها من الاصول الأصلية، فسلسلة الأئمّة الاثنى عشر تختتم به وهو خاتم الأوصياء.

وقد ذهب بعض الباحثين فى الشؤون الإسلامية إلى أنّ الروايات الواردة عن طرق العامة بهذا الشأن بلغت ۲۰۰ رواية، بينما تجاوزت الالف رواية من طرق الشيعة.

وإن عدّت العامة تلك الروايات فى المصلح العالمى من الروايات المتواترة، فهى من «ضروريات المذهب» لدى الشيعة.

ومن هنا كانت مؤلفات علماء الشيعة تفوق نظيرتها من علماء العامة.

ورغم أنّ جلّ اهتمام المؤلفات تركز على جمع الروايات دون التحليل سوى فى بعض الموارد، إلّاأنّ جهوداً عظيمة بذلت لجمع تلك الروايات. ولعله يمكن الاشارة فى هذا الخصوص إلى ثلاثة كتب- أُلفت بالاسلوب المذكور- تعتبر أكثر شمولية من غيرها والتى أُلفت من بعض العلماء المعاصرين وهى:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۰

۱- كتاب «المهدى» للفقيه الجليل سيّد صدر الدين الصدر.

۲- كتاب «البرهان على وجود صاحب الزمان» للعالم المجاهد المرحوم السيّد محسن الأمين.

۳- كتاب «منتخب الأثر فى أحوال الإمام الثانى عشر» للعالم الفاضل «لطف اللّه الصافى» بتوجيه وتشجيع المرحوم آية اللّه البروجردى. والذى لخص باللغة الفارسية تحت عنوان «البشارة بالأمن والأمان».

ومصادر هذه الكتب، العديد من مؤلفات قدماء علماء الفريقين والتى أُلفت بصورة مستقلة أو على سبيل الاشارة لهذا الموضوع. وحيث لا يسع الكتاب نقل جميع الروايات الواردة بهذا الشأن، فاننا نكتفى بمقتطفات من الكتاب الأخير على أن نشير فى الفصول القادمة إلى بعض الأخبار والروايات بما يتعلق بالبحث:

۱- تضمن الفصل الأوّل اشارة إلى بعض الأحاديث التى وردت بشأن الخلفاء وأوصياء النبى صلى الله عليه و آله الاثنى عشر، وقد أحصت ۲۷۱ حديثاً من المصادر المعروفة للفريقين والتى عبرت عنه بمختلف العبارات مثل «الإمام» و «الخليفة» و «الأمير» وما شابه ذلك. وقد جاءت هذه الأحاديث فى أهم مصادر العامّة ومصادر أهل البيت عليهم السلام.

ولاترى الشيعة أية صعوبة فى توجيه هذه الأحاديث. إلّاأنّ العامّة عانوا الأمرين فى توجيهها، فلا يسعهم من جانبٍ انكارها لأنّها وردت فى مصادرهم المعتبرة، ومن جانبٍ آخر لم ينسجموا مع عقيدة الشيعة بشأن «الأئمّة الاثنى عشر»؛ فقد ذهبوا أحياناً إلى أنّ الأصل هم الخلفاء الأربعة، ثمّ أضافوا لهم ثمانية خلفاء.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۱

والحال لو أرادوا حساب الخلفاء الذين وصفهم النبى صلى الله عليه و آله بالامراء والأئمّة الحقّ وإن اغمضوا، فإنّه يتعذر عليهم ذكر بعض الأفراد ضمن الأئمّة، كيزيد بن معاوية وسائر الحكّام من بنى أمية، ولو أردنا حشر بعض الأفراد الأكثر اعتدالًا، وبالنظر إلى وحدة أهداف وخطط بنى أمية وبنى العباس فإنّه ليست هناك من ضابطة، ناهيك عن المشكلة التى يفرزها التقطيع لهذه السلسلة الاثنى عشرية من حيث الزمان.

فزعموا أنّ الاثنى عشر هم الخلفاء الراشدون وثمانية ممّن سيأتون لاحقاً وآخرهم المهدى! وعلى هذا الضوء فإن فاصلة كبيرة تتخلل سلسلة خلفاء النبى صلى الله عليه و آله وهذا ما لا ينسجم قط مع الروايات المذكورة.

۲- وردت فى الفصل الثانى الروايات التى تشير إلى أنّ عدد الأئمّة بعد النبى صلى الله عليه و آله كعدد نقباء بنى إسرائيل الذين احصاهم القرآن ۱۲ نقيباً، وقد تضمن ۴۰ رواية من كتب الفريقين والتى تكمل البحث السابق.

۳- الفصل الثالث الذى اشتمل على الروايات التى تصرّح بأنهم ۱۲ إماماً أولهم على عليه السلام وقد بلغت هذه الروايات ۱۳۳ رواية.

۴- تضمن الفصل الرابع روايات عن مصادر الفريقين صرّحت بأن أوّل الخلفاء على عليه السلام وآخرهم المهدى عليه السلام. وبلغت روايات هذا الفصل ۹۱ رواية.

۵- وردت فى الفصل السابق الاشارة إلى الأحاديث التى صرّحت بأن عدد الأئمّة ۱۲ وتسعة منهم من ولد الحسين بن على عليهما السلام. وقد تضمن الفصل ۱۳۹ رواية.

۶- بالاضافة إلى ما ورد فى الفصل السابق من أنّ عدد الأئمّة ۱۲ وتسعة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۲

منهم من ولد الحسين بن على عليهما السلام فقد ورد قيد آخر هو «تاسعهم قائمهم» وتضمن هذا الفصل ۱۰۷ رواية.

۷- تضمن هذا الفصل الأحاديث التى اشارت إلى أسمائهم، وبعض هذه الأحاديث من طرق العامّة، إلّاأنّ أكثريتها من مصادر الشيعة، وقد اشتمل هذا الفصل على ۵۰ رواية.

إلى جانب الروايات المستفيضة فى الخصائص الجسمية والروحية للمهدى وعلامات الظهور وكيفية نهضته وحكومته العالمية وسائر القضايا المتعلقة بهذا القيام العظيم. ويتضح من هذه الأحاديث أنّ المصلح العالمى العظيم، المهدى الموعود يمتاز بالخصائص التالية:

أ) إنّه من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله وولده.

ب) إنّه من ولد الإمام الحسين عليه السلام.

ج) الإمام الثانى عشر من الأئمّة بعد النبى.

د) هو ابن الحسن بن على العسكرى.

ه) صاحب الحكومة العالمية.

و) يتحرر المستضعفون فى عصره من قيود واغلال الاسر، وتنتهى الحروب ويحل محلها الأمن والسلام والبناء.

وكما ذكرنا فإن عدد هذه الروايات من الكثرة بحيث تتطلب بمفردها كتاباً مستقلًا، وحيث أُلفت عدة كتب بهذا الشأن أشرنا سابقاً إلى بعضها، فاننا نتحفظ عن الخوض فى هذه الروايات، ونقتصر على بعض الاشارات فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۳

الأبحاث القادمة لإكمال الأبحاث السابقة.

والمشكلة فى هذه المباحث أنها غالباً ما تقتصر على نقل الروايات دون أدنى تحليل أو مناقشة، وهدفنا فى هذا الكتاب هو الغوص بصورة أعمق فى الأدلة العقلية، والوقوف عند الأدلّة النقلية والروايات وتسليط الضوء عليها.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۵

ملامح انطلاقة النهضة

علامات الظهور

اشارة

هل هنالك من علامات على قرب هذه النهضة العالمية؟

هل يمكن التكهن بأنّ هذه النهضة ستقع الآن أم لا؟

هل يمكن التسريع فى انطلاقة هذه النهضة؟

إن كان هذا الأمر ممكناً، فما هى الوسائل التى من شأنها التسريع فى الزمان؟

لابدّ من القول إنّ الاجابة عن أكثر هذه الأسئلة بالايجاب.

لأنّ أيّة عاصفة عظيمة لا تنطلق دون مقدّمة، ولا تحدث نهضة فى مجتمع بشرى دون علامات مسبقة.

فقد وردت أشارات فى الأحاديث الإسلامية إلى سلسلة من العلامات التى تشير إلى قرب وقوع تلك النهضة الشاملة والتى يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الطائفة الاولى: العلامات التى يمكن التكهن بها حسب خصائص كلّ نهضة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۸

الطائفة الثانية: الجزئيات والتفاصيل التى يمكن ادراكها من خلال المعلومات الاعتيادية، وتنطوى فى الغالب على تكهنات اعجازية.

ونشير هنا إلى «ثلاث علامات مهمّة» من الطائفتين:

۱- شمولية الظلم والفساد

العلامة الاولى التى يمكن من خلالها تصور قرب وقوع كلّ نهضة- حتّى هذه النهضة الكبرى- اتساع رقعة الظلم والجور والفساد والتطاول على حقوق الآخرين وأنواع المفاسد الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية التى تعد من عوامل سعة الفساد فى المجتمع. فمن الطبيعى أن يختزن الضغط الذى يتجاوز حدّه الانفجار، ذلك لأنّ الانفجارات الاجتماعية على غرار الانفجارات الميكانيكية تستتبع الضغوط الشديدة الزائدة عن الحدّ.

وبالطبع فإنّ سعة الظلم والفساد بوسيلة أمثال «الضحاك» فى كلّ زمان إنّما تسقى شجرة الثورة وترعرع أمثال «كاوه الحداد» عند كورة النار، حتّى إذا اشتدت الأزمة، اقتربت انطلاقة الثورة.

ولعلّ الأمر كذلك بالنسبة لاقتراب النهضة العالمية وظهور المصلح العالمى المهدى.

غاية الأمر وكما أشرنا سابقاً فإنّه ليست هنالك من ضرورة لأن نكون كبعض الأفراد السلبيين فنفكر فى المزيد من الظلم والفساد، بل لابدّ أن نسعى إلى تهذيب أنفسنا والآخرين وإعداد الثُّلّة المقتدرة والشجاعة والعالمة التى يمكنها حمل لواء النهضة ومواجهة الظلم والفساد.

على أيّة حال فقد ورد هذا الموضوع فى أغلب الروايات الإسلامية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۹

تحت عنوان «كما ملئت ظلماً وجوراً».

ذكرت عين هذه العبارات فى أغلب الأحاديث التى روتها مصادر الفريقين.

ويستفاد من مجموعها أنّ أوضح علامات النهضة هى هذا الموضوع.

وهنا يرد هذا السؤال: هل يختلف «الظلم» عن «الجور» حيث تكرر هذان العنوانان كثيراً؟

يستفاد من جذور هاتين المفردتين أنّ التجاوز على حقوق الآخرين على نوعين ورد كلّ منهما مستقلًا فى الآداب العربية.

الأوّل: إنّ يهضم الإنسان لنفسه حقّاً آخر ويغتصب عناء الآخرين وهذا ما يسمى بالظلم.

والآخر: أن يسلب الأفراد حقوقهم ويعطيها لآخرين، ويسلط أنصاره على أموال الآخرين أو أنفسهم أو اعراضهم ويميز بينهم لترسيخ دعائم حكومته، وهذا ما يصطلح عليه بالجور. والذى يقابل «الظلم» هو «القسط» ويقابل «الجور» «العدل» «۱».

على كلّ حال فحين يعمّ «التجاوز» بحقوق الآخرين المجتمع البشرى من جانب و «التمييز العنصرى» من جانب آخر، فإنّه يظهر ويطيح بكلّ ذلك.

ما ذكر سابقاً، كليات بشأن سعة الفساد كعامل فى كلّ نهضة.

والجدير ذكره أنّ الروايات الإسلامية قد أشارت إلى هذه العلامات

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۰

والمفاسد وكأنّ هذه التكهنات ليست مرتبطة بالقرون الأربعة عشر الماضية، بل كأنّها وردت فى هذا القرن أو قبل بضع سنوات وقد نلمس اليوم أغلبها وهذا من المعاجز.

ومن ذلك رواية الإمام الصادق عليه السلام التى أشارت إلى عشرات الأنواع من هذه المفاسد ولبعضها جوانب اجتماعية وسياسية واخرى أخلاقية، تدعو مطالعتها إلى تأمل الإنسان واستغراقه فى التفكير. وإليك جانب من متن هذه الرواية:

قال الصادق عليه السلام لبعض أصحابه:

«۱- إذا رأيت الجور قد شمل البلاد.

۲- إذا رأيت القرآن قد خلق واحدث ما ليس فيه ووجه على الأهواء.

۳- إذا رأيت الدين قد انكفأ كما ينكفى الإناء.

۴- إذا رأيت أهل الباطل قد استعلوا على الحقّ.

۵- إذا رأيت الرجال قد اكتفوا بالرجال والنساء بالنساء!

۶- إذا رأيت المؤمن صامتاً.

۷- إذا رأيت الصغير يستحقر الكبير.

۸- إذا رأيت الاحارم قد تقطعت.

۹- إذا رأيت الثناء قد كثر.

۱۰- إذا رأيت الخمور تشرب علانية.

۱۱- إذا رأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً.

۱۲- إذا رأيت الحلال يحرَّم والحرام يحلَّل.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۱

۱۳- إذا رأيت الدين بالرأى.

۱۴- إذا رأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلّابقلبه.

۱۵- ورأيت العظيم من المال ينفق فى سخط اللّه.

۱۶- ورأيت الولاة يرتشون فى الحكم!

۱۷- ورأيت الولاية قبالة لمن زاد!

۱۸- ورأيت الرجل يأكل من كسب امرأته من الفجور!

۱۹- ورأيت القمار قد ظهر.

۲۰- ورأيت الملاهى قد ظهرت يمر بها لا يمنع أحد أحداً، ولا يجترء أحد على منعها.

۲۱- ورأيت القرآن قد ثقل على الناس استماعه وخف على الناس استماع الباطل.

۲۲- ورأيت الجار يكرم الجار خوفاً من لسانه!

۲۳- ورأيت المساجد قد زخرفت!

۲۴- ورأيت طلب الحجّ لغير اللّه.

۲۵- ورأيت قلوب الناس قد قست!

۲۶- ورأيت الناس مع من غلب!

۲۷- ورأيت طالب الحلال يذم وطالب الحرام يمدح!

۲۸- ورأيت المعازف ظاهرة فى الحرمين.

۲۹- ورأيت الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيقوم إليه من ينصحه فيقول هذا عنك موضوع!

۳۰- ورأيت المساجد محتشية ممن لا يخاف اللّه!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۲

۳۱- ورأيت الناس همهم فى بطونهم وفروجهم!

۳۲- ورأيت الدنيا مقبلة إليهم.

۳۳- ورأيت النساء يبذلن أنفسهن لأهل الكفر.

۳۴- ورأيت اعلام الحقّ قد درست.

۳۵- ورأيت الحرب قد أديل من العمران!

۳۶- ورأيت الرجل معيشته من بخس المكيال والميزان.

۳۷- ورأيت الرجل عنده المال الكثير لم يزكِّهِ منذ ملكه.

۳۸- ورأيت الرجل يمسى نشواناً ويصبح سكراناً.

۳۹- ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور!

۴۰- ورأيت كلّ عام يحدث فيه من الشر والبدعة أكثر ممّا كان!

۴۱- ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلّاالأغنياء.

۴۲- ورأيتهم يتسافدون كما تتسافد البهائم!

۴۳- ورأيت الرجل ينفق الكثير فى غير طاعة اللّه، ويمنع اليسير فى طاعة اللّه.

۴۴- ورأيت الرجل إذا مرّ به يوم لم يكسب فيه الذنب العظيم...

حزيناً!

۴۵- ورأيت النساء قد غلبن على الملك وغلبن على كل أمر.

۴۶- ورأيت رياح المنافقين دائمة، ورياح أهل الحقّ لا تتحرّك.

۴۷- ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر اللّه.

۴۸- ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى، ولا يعمل القائل بما

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۳

يأمر!

۴۹- ورأيت الصلاة قد استخف بأوقاتها.

۵۰- ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه اللّه...

فكن على حذر واطلب إلى اللّه النجاة» «۱».

كما ذكرنا فما أوردناه خلاصة من حديث كإشارة لبعض المفاسد التى تسبق النهضة العالمية الكبرى.

ويمكن تقسيم هذه المفاسد إلى ثلاثة أقسام:

۱- المفاسد المتعلقة بقضايا الحقوق والحكومات مثل اتساع الظلم وغلبة حماة الباطل وانعدام حرية البيان والعمل حتّى لا يستطيع المؤمنون انكار الظلم والظلمة سوى بقلوبهم، إلى جانب صرف الأموال العظيمة فى المصارف العبثية أو الضارة والهدامة واتساع الرشوة والمزايدة على المناصب ونزوع الناس الضعفاء والذين يفتقرون إلى الثقافة الصحيحة نحو أصحاب القدرة والغلبة (مهما كان ذلك الشخص) وكذلك انفاق الأموال فى الحروب وسباق التسلح والاهتمام بها أكثر من العمران والبناء (حتّى تكون ميزانية الحرب أكثر من ميزانية البناء).

كما يبتدع كلّ عام سبيل جديد للفساد والظلم والاستعمار، وقل من يشعر بالمسؤولية تجاه المشاكل الاجتماعية حتّى ليوصى بعضهم البعض بالصمت إزاء الأحداث.

۲- المفاسد المرتبطة بالقضايا الأخلاقية من قبيل: اتساع التملق والمجاملة وانهماك الرجال بالأفعال الوضيعة (كالارتزاق عن طريق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۴

المتاجرة بالزوجة!) إلى جانب اتساع الشراب والقمار وأنواع الملاهى المحظورة والقول دون العمل والاستغراق فى الظاهر واحترام الأفراد على أساس الغنى والثراء.

۳- المفاسد ذات الصلة بالامور الدينية من قبيل تحميل الأهواء على القرآن وتفسيره بالرأى والتعصب الشخصى فى القضايا الدينية وتجمهر العصاة فى المساجد، والاهتمام بظاهر المساجد دون باطنها ومحتواها وبالتالى الاستخفاف بالصلاة وما شابه ذلك.

ولو تأملنا قليلًا لرأينا أنّ أغلب هذه المفاسد تسود المجتمعات الراهنة ويتوقع حدوث ما تبقّى منها، وعليه فما الذى ينبغى علينا اعداده لقيام تلك النهضة العظيمة؟

الجواب ما ذكرناه سابقاً وهو أننا نفتقر إلى الوعى المطلوب، بعبارة اخرى رد الفعل البناء والثورى إزاء هذه المفاسد.

على كلّ حال فإنّ ظهور هذه العلامات لوحدها ليست شرطاً فى تحقق تلك النهضة الشاملة؛ بل هى مقدمة لليقظة الفكرية وأسواط لايقاظ الأرواح الغافلة وأرضية لخلق الاستعداد الاجتماعى والنفسى. والعالم مطالب شاء أم أبى بتحليل جذور هذه الاختلالات بالاضافة إلى نتائجها وعواقبها، وهذا ما يؤدى إلى وعى ذاتى عام يوقنُ الناس من خلاله باستحالة مواصلة الوضع السائد ولابدّ من النهضة؛ النهضة على جميع الأصعدة لإرساء قواعد النظام الإلهى العادل الحقّ.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۵

جدير بالذكر أنّه ليس من الضرورى ظهور هذه المفاسد فى كافة أنحاء العالم؛ ويتعذر حصول هذا الشرط لو كان هناك بقعة طاهرة، بل المعيار القضية النوعية للناس سواء كانت فى الشرق أو الغرب. وبعبارة اخرى فإن هذا الحكم كسائر أكثر الأحكام على أساس الاسلوب الغالب.

۲- الدجّال

عادة ما يتبادر إلى الذهن حين الحديث عن الدجّال وعلى ضوء السابقة الذهنية العامة شخص معين ذو عين واحدة وجسد ضخم ودابة خيالية وسيظهر قبل نهضة المهدى العالمية ولديه بعض الخطط والمشاريع.

ولكن كما يستفاد من الأصل اللغوى لكلمة الدجّال من جانب «۱» ومصادر الحديث من جانب آخر أنّ الدجّال لا يقتصر على فرد معين، بل هو عنوان كلى للأفراد المزورين والماكرين والمخادعين الذين يعتمدون مختلف الطرق والوسائل لاستقطاب الآخرين ويظهرون كحجر عثرة أمام النهضة البناءة.

جاء فى الحديث الصحيح الذى أورده الترمذى أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«إنّه لم يكن نبى بعد نوح إلّاانذر قومه الدجّال وأنا أُنذركموه» «۲».

قطعاً كان الأنبياء السابقون يحذرون قومهم من فتنة الدجّال الذى يظهر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۶

فى آخر الزمان ويبتعد عنهم مدّة آلاف السنين. خاصة أنّه ورد آخر الحديث

«فوصفه لنا رسول اللّه فقال لعلّه سيدركه بعض من رآنى أو سمع كلامى».

الاحتمال الراجح أنّ ذيل الحديث إشارة إلى الطواغيت الماكرين كبنى أمية وبعض الأفراد مثل معاوية الذى استغل بعض الامور من قبيل «خال المؤمنين» و «كاتب الوحى» إلى جانب سائر المكر والخداع واخراج الناس من الصراط المستقيم إلى السنن والعادات الجاهلية واشاعة الطبقية والحكومة الاستبدادية وتسليط الطالحين والمتملقين على الناس واقصاء الفضلاء والصالحين.

وكما ورد عنه صلى الله عليه و آله فى الدجّال أنّه قال:

«ما من نبى إلّاوقد انذر قومه ولكن سأقول فيه قولًا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنّه أعور »....

وتركيز الأحاديث على زمان نوح عليه السلام يمكن أن يكون إشارة إلى أبعد زمان، أو عدم وجود نموذج الدجّال فى الأزمنة التى سبقت نوح، وذلك لأنّ الشريعة الاولى إنّما أتى بها نوح، أو لعدم نفوذ الحيلة والخداع فى المجتمعات البشرية السابقة.

على كلّ حال هناك تفسير لصفة العين الواحدة للدجّال والتى سنتناولها لاحقاً.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۷

جدير ذكره أنّ بعض الأحاديث «۱» صرحت بظهور الدجّال قبل المهدى بثلاثين سنة! كما أشارت الأناجيل إلى ظهور الدجّال.

فقد جاء فى الرسالة الثانية ليوحنا:

«سمعتم بظهور الدجّال فقد ظهر الآن الكثير من الدجّالين». «۲»

فالعبارة تؤكد تعدد الدجّالين.

وجاء فى الحديث:

«قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لا تقوم الساعة حتّى يخرج نحو من ستين كذّاباً كلّهم يقول أنا نبى» «۳».

ورغم أنّ عنوان الدجّال لم يرد فى هذه الرواية، ولكن يفهم منها اجمالًا أنّ المدعين الكاذبين والمخادعين فى آخر الزمان لا يقتصرون على شخص أو بضعة أشخاص.

على كلّ حال ما لا يمكن الترديد فيه أنّ انطلاقة أية نهضة وفى أى مجتمع تشهد وجود بعض الأفراد الذين يمارسون الحيلة والمكر والخداع على ضوء الابقاء على الأنظمة الفاسدة وديمومة الأوضاع القائمة واستغلال أوضاع الناس الفكرية والاجتماعية وتوظيفها لصالحهم، وأبعد

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۸

من ذلك أنّهم ربّما يطلقون الشعارات الثورية، وهذه إحدى العقبات التى تشكل أعظم موانع الاصلاح والنهضة الأصيلة.

فهؤلاء بعض الدجّالين الذين حذر الرسل منهم أممهم ونبهوهم إلى خطورة خططهم الجهنمية.

غاية الأمر أنّه قبيل ظهور المهدى وتلك النهضة العظيمة والشاملة الحقّة، فإنّ الأرضية الفكرية والنفسية والاجتماعية كلما كانت أكثر اعداداً على النطاق العالمى، تتضاعف انشطة هؤلاء الدجّالين فيأخذون بالظهور الواحد تلو الآخر؛ ليعرقلوا تطور المجالات الثورية ويعتمدوا آلاف الحيل بغية حرف الأفكار العامّة.

طبعاً لا ضير أن يكون هنالك دجّال كبير على رأس الجميع. أمّا العلامات التى ذكرتها بشأنه بعض الروايات فلا تعدو الكتابة والرمز؛ مثلًا، يستفاد من الرواية الواردة فى بحار الأنوار عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّ الدجّال يتصف ببعض الصفات مثل:

۱- إنّ له عيناً واحدة وسط جبهته تضىء كالنجم! إلّاأنها عين دموية كأنها قطعة من الدم!

۲- له دابة سريعة بيضاء خطوتها ميل وتطوى الأرض بسرعة!

۳- إنّه يدعى الألوهية ويسمع صوته كلّ من فى العالم!

۴- إنّه يغوص فى البحار وتنطلق معه الشمس، بين يديه جبل من الدخان وخلفه جبل أبيض يراه الناس طعاماً.

۵- يظهر حين يعيش الناس القحط و «... ۱».

لا شك أننا لسنا مخولين أن نضفى الرمزية على كلّ مفهوم من المفاهيم الدينية الواردة فى القرآن أو مصادر الحديث، ذلك أنّ هذا الأمر من قبيل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۹

التفسير بالرأى الذى نهى الإسلام عنه، والذى يرفضه أيضاً العقل والمنطق، مع ذلك ليس من الصواب الجمود على المفهوم الابتدائى للألفاظ مع وجود بعض القرائن العقلية أو النقلية الواردة بهذا الخصوص والذى يوجب الابتعاد عن المفهوم الأصلى للكلام.

ويبدو أنّ مثل هذه المفاهيم بشأن حوادث آخر الزمان ليست بدعاً من المفاهيم الكنائية، ومن ذلك ما ورد من خبر أنّ «الشمس تطلع من المغرب» «۱».

وهذا من أعقد الامور المرتبطة بهذه القضية والذى لا ينسجم ظاهراً مع العلم الحديث؛ ذلك لأن طلوع الشمس من المغرب يعنى تغيير مسيرة حركة الأرض، فلو حصل هذا الأمر فجأة، لقذف بمياه البحار وكلّ ما على سطح الكرة الأرضية خارجاً ولاضطرب كلّ شىء، ولا يبقى شىء من الحياة، وإن حصل بالتدريج فإنّ طول الليل والنهار يزيد حتّى يتجاوز الشهر والشهرين ويؤدى أيضاً إلى اضطراب الكائنات على سطح الكرة الأرضية!

لكن هنالك تفسيراً رائعاً فى ذيل الحديث الوارد بشأن الدجّال يفيد كنائية هذه العبارة. فراوى الحديث هو «نزال بن سبرة» سأل «صعصعة بن صوحان» أنّ أميرالمؤمنين علياً عليه السلام قال فى آخر كلامه عن الدجّال «لا تسألوا عن الحوادث التى تقع بعد ذلك... » فما كان مراده؟

قال صعصعة:

«إنّ الذى يصلى خلفه عيسى بن مريم هو الثانى عشر من العترة التاسع

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۰

من ولد الحسين بن على، وهو الشمس الطالعة من مغربها» «۱».

وعليه فليس هنالك ما يدعو إلى الدهشة فى أنّ للدجّال الذى ورد بالصفات المذكورة بعداً كنائياً. والسؤال هو كيف تفسير ذلك؟

والجواب: لا يبعد أن يكون الدجّال بالصفات المذكورة اشارة إلى قادة المدارس المادية فى العالم، للأسباب التالية:

۱- لهؤلاء عين واحدة هى العين الاقتصادية والحياة المادية؛ فهم لا يرون سوى بعداً واحداً هو المنافع المادية؛ ويعتمدون مختلف الحيل والألاعيب والسياسات الاستعمارية بغية تحقيق أهدافهم، فهم دجّالون ومخادعون فقدوا أعينهم المعنوية والإنسانية.

إلّا أنّ هذه العين المادية حادة جدّاً تحقق تطورات باهرة فى المجالات الصناعية حتّى تفوقوا على كلّ من سواهم.

۲- لديهم الوسائل النقلية الغاية فى السرعة والتى تطوى الأرض فى مدّة قياسية بسرعة ربّما تفوق سرعة الصوت!

۳- إنّهم يدعون الألوهية عملياً ويسيطرون على كافة المقدرات ورغم ضعفهم وعجزهم إلّاأنّهم يغزون الفضاء ويصعدون إلى القمر، مع العلم أنّ هزة أرضية بسيطة أو اصابة إحدى خلايا أجسامهم بالسرطان كافية للقضاء عليهم، ورغم كلّ ذلك وعلى غرار فرعون يدعون الألوهية والربوبية.

۴- يغوصون فى مياه البحار بغواصاتهم المتطورة وينطلقون بوسائلهم السريعة بمسيرة الشمس (وأحياناً يتقدمون على مسارها). بين يديهم

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۱

معامل ضخمة يخرج منها الدخان وخلفهم جبال من المنتجات الصناعية والمعادن الغذائية (تراها الناس مواد غذائية وأطعمة سالمة، والحال ليس لها قيمة غذائية وغالباً ما تكون أطعمة غير سالمة).

۵- يصاب الناس بقحط وشحة فى المواد الغذائية- لبعض الأسباب من قبيل الاستغلال والاستعمار والتمييز العنصرى وهدر الثروات الضخمة على الأسلحة ونشوب الحروب وما تؤدى إليه من دمار شامل واضرار مادية جسيمة تنعكس سلباً على حياة الناس- حتّى يموت البعض جوعاً، والدجّال بصفته العنصر الأصلى فى هذه الاضطرابات يستغل هذه الأوضاع فيسارع إلى اغاثة المحرومين والضعفاء بغية ترسيخ دعائمه الاستعمارية.

كما ورد فى بعض الروايات أنّ كلّ قطعة من وسيلة الدجّال تتضمن نغمة خاصة وجديدة، وهو الأمر الذى ينطبق على كلّ هذه الوسائل المعتمدة فى اللهو واللعب والتى نشاهدها فى البيوت والحدائق العامة وشواطئ البحار.

والمهم فى الأمر هو عدم انخداع العناصر الثورية، أى جنود المصلح العظيم المهدى الموعود بتلك المظاهر المزيفة وعدم الغفلة عن استغلال أية فرصة بغية الاندفاع بكلّ حزم وممارسة النهضة الاصلاحية فى اشاعة العدل والحقّ.

طبعاً ما ذكرناه تفسير احتمالى للدجّال على أساس بعض القرائن المؤيدة، إلّاأنّ قبوله أو عدم قبوله لا يضر بأصل الموضوع، فى أنّ لصفات الدجّال بُعداً كنائياً، وهو ليس بإنسان يمتاز بهذه الصفات.

۳- ظهور السفيانى

ورد ظهور «السفيانى» كظهور «الدجّال» فى أغلب مصادر الفريقين

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۲

بصفته إحدى علامات ظهور المصلح العالمى العظيم، أو إحدى حوادث آخر الزمان «۱».

وإن أشارت بعض الروايات إلى أنّ السفيانى شخص معين من آل أبى سفيانى وأحد ولده؛ إلّاأنّه يستفاد من بعضها الآخر أنّ السفيان ليس فرداً معيناً، بل اشارة إلى صفات وملامح تتجلى فى بعض الأفراد على طول التاريخ. فقد ورد عن الإمام على بن الحسين عليهما السلام أنّه قال:

«أمر السفيانى حتم من اللّه ولا يكون قائم إلّابسفيانى» «۲».

ويتضح من هذا الحديث أنّ للسفيانى جانباً توصيفياً لا شخصياً وصفاته هى خططه وخصائصه، كما يستفاد أنّ هنالك سفيانياً (أو أكثر) تجاه كلّ رجل ثورى ومصلح حقّ.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«أنا وآل أبى سفيان أهل بيتين تعادينا فى اللَّه. قلنا صدق اللَّه وقالوا كذب اللَّه: قاتل أبو سفيان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقاتل معاوية على بن أبى طالب عليه السلام وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن على عليه السلام والسفيانى يقاتل القائم» «۳».

وقد تعرفنا فى المبحث السابق على دور الدجّالين فى مضادة الثورة الاصلاحية.

ونحاول هنا التعرف على خطط السفيانى الشيطانية؛ وذلك لضرورة التعرف على كافة العناصر المناوئة والمناصرة للمشروع العالمى بغية تحقق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۳

المفهوم الصحيح للانتظار.

يمتاز أبو سفيان زعيم السلسلة السفيانية ببعض الصفات مثل:

۱- الثراء الفاحش الذى ناله من خلال غصب حقوق الآخرين والمعاملات الربوية المحرمة.

۲- القدرة والقوة التى حصل عليها بواسطة الطرق الشيطانية فتزعم الأحزاب الجاهلية فى مكّة ونواحيها، وكانت خلاصة شخصيته فى هذين الأمرين.

وكانت له حكومة فى مكّة قبل انبثاق الدعوة، إلّاأنّ هذه الحكومة تهددت بالزوال بعد ظهور الإسلام، ذلك لأن الإسلام إنما يعادى هؤلاء الأفراد الذين يتمتعون بالقدرات الشيطانية، ومن هنا فقد كان أبو سفيان عدواً لدوداً للإسلام.

۳- كان أبو سفيان مظهر النظام الطبقى الظالم فى المجتمع المكّى، ولذلك بذل كلّ دعمه واسناده للوثنية وعبادة الأصنام؛ فالأصنام أفضل وسيلة لإثارة النفاق وتخدير الآخرين، وبالنتيجة التسلط عليهم وفرض السيطرة.

وسر معارضته للإسلام- كما قلنا- أنّ الإسلام زعزع أركان سلطته وكشف النقاب عن شخصيته المريضة، ومن هنا فلم يألو جهداً من أجل القضاء على الدعوة الإسلامية. لكن انتهى الأمر إلى تحطيم كافة معاقل قوته ليعيش التقوقع والانزواء وإلى الأبد، رغم بعض تحركاته السرية المشبوهة.

وقد نقل كلّ هذه الصفات- من خلال التربية والوراثة- إلى ولده معاوية ومن ثمّ حفيده يزيد، فتابعا خطط أبى سفيان- بصورة اخرى- وإن فشلا فى تحقيق أهدافهما.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۴

كان أبو سفيان رجلًا رجعياً بمعنى الكلمة شعر بالهلع من الدعوة الإسلامية، ذلك لأن الإسلام تضمن المشاريع الاصلاحية الشاملة التى غيّرت كافة الأوضاع الفاسدة فى ذلك المجتمع المتخلف، وهو التغيير الذى يطيح بهذه الرموز الفاسدة كأبى سفيان وأمثاله.

ومن هنا ندرك سبب سعى ولده واسلافه للقضاء على الإسلام واعادة الامّة إلى العصر الجاهلى، وإن لم يكتب لهم النجاح؛ مع ذلك فقد سددوا ضربات موجعة حالت دون تطور المسلمين وانتشار الإسلام.

ولا نريد الابتعاد عن أصل الموضوع فقد طالعتنا الأحاديث السابقة أنّ ظهور أبى سفيان بهذه الصفات لم يكن من خصائص النهضة الإسلامية، فازاء كلّ قائم ومصلح هناك أبو سفيان بتلك الخصائص من قبيل الثراء والقدرة والظلم والرجعية واشاعة الخرافات، والذى يسعى إلى القضاء على جهود المصلح وخططه الاصلاحية، أو على الأقل الحيلولة دون انتشار الاصلاح.

وسيكون هنالك سفيانى أو أكثر يقف بوجه المصلح العالمى العظيم «المهدى» والذى يسعى بكلّ ما اوتى من قوة لعرقلة المسيرة الاصلاحية للمهدى والحيلولة دون فناء الأنظمة الطبقية الظالمة التى تسعى لاستغلال الامّة ونهب ثرواتها وخيراتها.

ولعلّ الفارق الرئيسى بين السفيانى والدجّال أنّ الدجّال يعتمد الزيف والخداع والحيلة فى ممارساته الشيطانية، بينما يعتمد السفيانى على قدراته الجهنمية الهدامة فى أفعاله، حيث ورد فى بعض الأخبار أنّه يستولى على

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۵

المناطق العامرة فى الأرض «۱».

والذى ندرك نظيره فى حكومة أبى سفيان ومعاوية ويزيد كما يفيد التاريخ.

نعم، ليس هنالك ما يمنع أن يكون السفيانى الذى يقف آخر الزمان بوجه المصلح العالمى الكبير «المهدى» من ولد أبى سفيان واحفاده الذين ينتمون إليه كما ورد فى بعض الأخبار.

لكن الأهم من مسألة النسب أنّ مشاريعه وصفاته وخصائصه وجهوده ومساعيه كنظيرتها لدى أبى سفيان. وستكون عاقبة هذا السفيانى كسائر من سبقه، الركوع أمام حركة المهدى العالمية والاستسلام لها وتذهب كلّ جهوده ومساعيه أدراج الرياح.

والأهم من كلّ ذلك أن يتعرف الناس على نماذج «الدجّال» و «السفيانى». وينطوى هؤلاء السفيانيون- بغض النظر عن العلامات المذكورة- على صفة اخرى واضح نموذجها فى التاريخ الإسلامى وهى:

أنّهم يقصون الصلحاء من مسرح الحياة ويستعيضون ببعض الأفراد الطالحين والمنحرفين، يتقاسمون بيت المال- كما ورد فى حكومة اسلاف أبى سفيان- مع بطاناتهم وذويهم، ويعتمدون التمييز بين الناس وهضم حقوقهم، وهكذا يمكن من خلال هذه الصفات التعرف عليهم.

فالدجّالون يشكلون الصفوف المشبوهة فى الجبهة المناهضة للنهضة،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۶

اما السفيانيون فيمثلون الصفوف المضادة للنهضة علانية، ولكليهما فى الواقع موقف واحد، وبالطبع ليس هنالك من ضمانة لتقدم هذه النهضة وديمومتها دون القضاء على هذه الجبهة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۷

العقيدة الشيعية فى المهدى عليه السلام

اشارة

والأسئلة التى تفرزها تلك العقيدة

المهدى ثانى عشر خلفاء النبى صلى الله عليه و آله

ما أوردناه لحدّ الآن فى هذا الكتاب بشأن «المصلح العالمى المطلق» و «مشاريع المهدى الثورية» كانَ جانباً كلياً عقلياً، وآخر إسلامياً كلياً. إلّاأنّ هنالك بعض الخصائص التى تتميز بها العقيدة الشيعية المستندة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. وسنسلط الضوء هنا على بعض هذه الخصائص ومنها:

۱- عقيدة الشيعة هى أنّ المهدى هو ثانى عشر خلفاء النبى صلى الله عليه و آله وابن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، اسمه محمّد وكنيته أبو القاسم ولقبه المهدى وصاحب الزمان والقائم.

۲- المهدى حى الآن وقد مضى عليه أكثر من ألف سنة حيث ولد سنة ۲۵۵ ه.

۳- إنّ المهدى رغم حياته الآن، إلّاأنّه غائب عن الأنظار، أى رغم أنّه يتمتع بحياة طبيعية، إلّاأنّه يعيش بصورة مجهولة فى هذا العالم.

أمّا سائر الفرق الإسلامية- سوى القلة- فتعتقد أنّه سيولد آخر الزمان وإن كان من نسل النبى صلى الله عليه و آله. وعليه فهى لا تقول بهذا العمر المديد له والغيبة الطويلة، وبالطبع فإن القليل من العامّة ترى أنّه من ولد الإمام الحسن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۰

العسكرى عليه السلام.

على كلّ حال فإن عقيدة الشيعة تثير ثلاثة أسئلة:

السؤال الأوّل:

وهو السؤال الوارد بشأن طول العمر والمطروح منذ قديم الزمان وهو:

كيف يمكن أن يعمر الإنسان هذه المدة، والحال لم نر من تجاوز عمره المئة إلى المئة وعشرين سنة! فكيف يمكن توجيه ذلك العمر الطويل على ضوء الأعمار المتعارفة والتى نشاهدها لدى الناس من حولنا؟

السؤال الثانى:

بشأن فلسفة هذه الغيبة الطويلة وهو: ما سرّ غيبة زعيم المجتمع الإسلامى كلّ هذه المدّة المديدة؟

السؤال الثالث:

الذى يرتبط بالسؤال الثانى- وإن كان مستقلًا- حول فائده وجود الإمام فى عصر الغيبة، فما الدور الذى يلعبه هذا الزعيم الذى لا ارتباط له باتباعه ولا يستطيع الناس رؤيته والاستفادة من زعامته؟ بعبارة اخرى فإن حياته فى هذه المدة حياة خصوصية وشخصية لا اجتماعية وفى اطار الزعامة.

ينبغى أن نخوض بادئ الأمر فى أدلة الشيعة بشأن الاعتقادات الثلاثة.

ثمّ نرى كيف تتم الاجابة عن الأسئلة الثلاثة:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۱

لابدّ هنا من ذكر هذه النقطة، إنّ الأدلة العقلية لا يمكنها أبداً التركيز على شخص معين، وغالباً ما تكون نتائج هذه الأدلّة كلية.

وروايات العامّة فى المهدى عليه السلام غالباً ما تكون كلية، ولا تتحدث سوى عن شخص من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله لقبه المهدى واسمه محمّد (على غرار اسم النبى)؛ باستثناء بعض الروايات التى صرحت بخصائص أبيه أو أجداده والتى تنطبق على عقائد الشيعة، كهاتين الروايتين:

۱- روى الشيخ سليمان القندوزى من علماء العامّة فى كتابه المعروف (ينابيع المودة) عن كتاب (فرائد السمطين) عن ابن عباس: إنّ رجلًا يهودياً دخل على النبى صلى الله عليه و آله وجعل يسأله عدّة أسئلة وما أن سمع الأجوبة حتّى أشرق نور الإسلام فى قلبه، وكان ممّا سأل:

«مَن وصيُّك»؟ فلكلّ نبى وصىّ ووصىّ موسى يوشع بن نون.

فقال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«إنّ وصيّى على بن أبى طالب وبعده سبطاى الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين».

فسأله اليهودى عن أسمائهم فقال صلى الله عليه و آله:

«إذا مضى الحسين فابنه على؛ فإذا مضى على فابنه محمّد؛ فإذا مضى محمّد فابنه جعفر؛ فإذا مضى جعفر فابنه موسى؛ فإذا مضى موسى فابنه على؛ فإذا مضى على فابنه محمّد؛ فإذا مضى محمّد فابنه على؛ فإذا مضى على فابنه الحسن؛ فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدى فهؤلاء اثنا عشر »....

ثمّ سأله عن كيفية وفاتهم فأجابه صلى الله عليه و آله ثمّ قال:

«وأنّ الثانى عشر من ولدى يغيب حتّى لا يرى، ويأتى على امّتى بزمن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۲

لا يبقى من الإسلام إلّااسمه، ولا يبقى من القرآن إلّارسمه فحينئذٍ يأذن اللَّه تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر اللَّه الإسلام به ويجدده ....»

فلما اعتنق اليهودى الإسلام أنشد شعراً أشار فيه إلى أوصياء النبى صلى الله عليه و آله حتّى قال:

«آخرهم يسقى الظماء وهو الإمام المنتظر» «۱».

۲- كما ورد فى هذا الكتاب عن «عامر بن وائلة» آخر من مات من صحب النبى صلى الله عليه و آله نقلًا عن على عليه السلام أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«يا على أنت وصيى، حربك حربى، وسلمك سلمى، وأنت الإمام وأبو الأئمّة أحد عشر الذين هم المطهرون المعصومون ومنهم المهدى الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا» «۲».

أمّا عن طرق أهل البيت فقد وردت عدة روايات فى المهدى عليه السلام وأنّه الحادى عشر من ولد على عليه السلام والتاسع من ولد الإمام الحسين وابن الإمام الحسن العسكرى، لا- يسعنا ذكرها جميعاً فى هذا الكتاب الذى راعينا فيه الاختصار، وعليه نشير إليها باختصار ومن أراد المزيد فليراجع كتاب «منتخب الأثر فى أحوال الإمام الثانى عشر».

فقد تضمن هذا الكتاب روايات بشأن والد وأجداد المهدى، ورد أغلبها عن طريق أهل البيت ومنها:

۹۱ رواية فى أنّ الأئمّة ۱۲ أولهم على عليه السلام وآخرهم المهدى عليه السلام.

۹۴ رواية أنّ آخر الأئمّة المهدى عليه السلام.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۳

۱۰۷ رواية أنّ الأئمّة ۱۲ تسعة منهم من ولد الحسين عليه السلام وتاسعهم قائمهم.

۵۰ رواية فى أسماء الأئمّة الاثنى عشر وأنّ آخرهم المهدى. وهكذا يمتاز أتباع هذه المدرسة وعلى أساس المدارك المذكورة بتشخيصهم للمهدى عليه السلام بجميع خصائصه.

جدير بالذكر هنالك العديد من الأحاديث فى مصادر العامة الروائية المعتبرة والمشهورة فى أنّ الأئمّة اثنا عشر (بشكل كلى وعام) وكما أشرنا سابقاً فإنّه يتعذر التفسير المنطقى لهذه الروايات سوى من خلال الاقرار بنظرية الشيعة.

وقد عبرت بعض الأحاديث كحديث «صحيح البخارى» و «صحيح الترمذى» عن الأئمّة باثنى عشر أميراً «۱»، واثنى عشر خليفة «۲» وفى «صحيح مسلم» وفى صحيح أبى داود كذلك اثنى عشر خليفة «۳»، ووردت فى مسند أحمد بعشرات الطرق اثنى عشر خليفة.

فهل يمكن انكار كلّ هذه الأحاديث فى المصادر المعتبرة؟!

فهل يكتمل هذا العدد من خلال اضافة خلفاء بنى امية كمعاوية ويزيد وعبدالملك، أم بنى العباس كهارون والمأمون والمتوكل إلى الخلفاء

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۴

الأربعة؟!

والسؤال هو من هم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر الذين سماهم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومدحهم؟ لابدّ من جواب منطقى- من قبل غير أتباع مدرسة أهل البيت الذين يؤمنون بالأئمّة الاثنى عشر- حيث يتعذر اعتبار خلفاء بنى أمية والعباس الذين حرفوا الحكومة الإسلامية عن مسارها الصحيح وارتكبوا مختلف الجرائم والجنايات للقضاء على الإسلام وتشويه مفاهيمه الحقّة، هم أوصياء النبى

صلى الله عليه و آله.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۵

الأسئلة الثلاثة المهمة

۱- سر طول العمر

اشارة

طرح الاشكال: قلنا اشكل على عقيدة الشيعة فى المهدى، ومضمون الاشكال: لو كان ابن الإمام العسكرى وولد من أُمّه نرجس سنة ۲۵۵ ه وما زال حيّا إلى الآن، فهذا يعنى مضى أكثر من ألف سنة على عمره، والحال ليست مشاهداتنا اليومية تدلنا على مثل هذا العمر لبعض الأفراد، ولا يقر ذلك، العلم المعاصر، كما لم يتضمن التاريخ نموذجاً لذلك.

مناقشة وتحقيق:

نوافق القول السابق فى أنّ الأعمار الطبيعية والعادية التى نراها غالباً لدى الأفراد لا تتجاوز المئة عام ويندر أن تبلغ مئة وعشرين، ومن بلغ فى عصرنا المئة والخمسين أو الستين من عمره فذلك يعتبر من نوادر العالم «۱».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۶

ولكن لا يمكن التسليم بهذه القضية على مستوى البحث العلمى والتحقيق بشأن طول العمر، ولابدّ من تسليط الضوء على الامور التالية:

هل للعمر الطبيعى مقدار معين؟ ماذا يقول علم الفسلجة بهذا الخصوص؟

هل هناك طريق لاطالة عمر الإنسان؟

هل يشاهد اليوم بعض الأفراد الاستثنائيين على صعيد البنية البدنية والروحية والعضوية واختلاف الحواس وسائر الصفات العامة البشرية بالنسبة للآخرين أم لا؟

هل ورد فى التاريخ بعض الأفراد الذين عمروا مدة طويله أكثر ممّا هى عليه اليوم؟

والأهم من كل ذلك لابدّ من الوقوف عند الأفراد الذين طرحوا هذا الاشكال وآرائهم الدينية المختلفة؟

هل للعمر الطبيعى حدّ ثابت؟

للبطارية الصغيرة عمر معين؛ مثلًا تعمل ۲۴ ساعة ثمّ تنتهى قوتها.

كما يعمل المصباح الكهربائى مثلًا ألف ساعة ثمّ يحترق.

كما تعمر السيارة مثلًا ۲۰ سنة.

وهكذا سائر الصناعات البشرية التى تمتاز بعمرها المعين ولها حدّ متوسط. طبعاً لهذه الأجهزة عمر أطول إن كانت هناك عناية بها والعكس صحيح.

ومن هنا لدينا عدة أعمار فى عالم الطبيعة، فهناك بعض الذرات التى لا

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۷

تعمر أكثر من واحد على الألف من الثانية، وربّما مئة على المليون من الثانية، بينما هناك بالمقابل عمر الكرة الأرضية الذى قد يبلغ

خمسة آلاف مليون سنة.

وعليه لابدّ أن نرى هل عمر الكائنات الحية فى الطبيعة على غرار عمر الأجهزة الصناعية؟ مثلًا متوسط عمر الإنسان ۸۰ سنة، الطير ۵ سنوات، الحشرة عدة أشهر والشجرة ۱۵۰ سنة وبراعم الورد ۶ أشهر؟

كانت طائفة من العلماء فى السابق تعتقد بوجود عمر طبيعى فى الموجودات الحية مثلًا:

بافلوف: يعتقد أنّ العمر الطبيعى للإنسان ۱۰۰ سنة.

مجينكوف: يعتقد أنّ العمر الطبيعى للإنسان ۱۵۰- ۱۶۰ سنة.

كوفلاند: الطبيب الالمانى الذى يعتقد أنّ متوسط عمر الإنسان ۲۰۰ سنة.

فلوغر: الفيزيائى المشهور الذى يعتقد أنّ متوسط عمر الإنسان ۶۰۰ سنة.

وأخيراً الفيلسوف والعالم الانجليزى بيكن الذى يعتقد أنّ عمر الإنسان ۱۰۰۰ سنة.

إلّا أنّ هذه الفكرة مرفوضة اليوم من قبل علماء الفسلجة حيث ابطلوا الحد الثابت للعمر الطبيعى. قال البروفسور اسميث استاذ جامعة كولمبيا «كما كسر حاجز الصوت وظهرت الوسائط النقلية التى تفوق سرعة الصوت فاننا سنشهد فى خاتمة المطاف كسر حاجز سن الإنسان».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۸

والدليل الحى الذى يمكن اقامته لاثبات هذه الفكرة، التجارب التى أجراها العلماء على مختلف الحيوانات والنباتات حتّى تمكنوا فى ظلّ بعض الظروف الاختبارية مضاعفة عمر بعض الكائنات الحية إلى اثنى عشر ضعفاً.

فمثلًا التجارب التى أجريت على بعض النباتات التى لا تعمر أكثر من اسبوعين اثبتت إمكانية مضاعفته إلى ستة أشهر.

ولو افترضت مثل هذه الزيادة بالنسبة لعمر الإنسان فإنّه يمكن أن يعمر بعض الأفراد لأكثر من ألف سنة.

والتجربة الاخرى التى أجروها على بعض حشرات الفاكهة والتى لها عمر قصير جدّاً أدّت إلى زيادتها بنسبة تسعمائة ضعف.

ولو أصبح هذا الازدياد العجيب ممكناً بالنسبة للإنسان لأمكنه أن يعمر إلى أكثر من سبعين ألف سنة.

طبعاً لا نرغب بمثل هذا العمر المتعب ولا نقبل به وإن منحناه مجاناً، فنحن كما قيل شعرنا بالاعياء من تعميرنا ليومين، فما عساك تفعل يا خضر وأنت بهذا العمر الخالد الأبدى.

ولو فرض قبولنا بهذا العمر فإن الكرة الأرضية ليست مستعدة لقبول كلّ هذه الأعداد! نعم هدفنا الدراسة العلمية لقضية طول العمر.

ونعلم أنّ أغلب علماء البايلوجى اليوم يعكفون على دراسة مسألة طول عمر الإنسان، فلو لم يكن هذا الأمر ممكناً، لبدت هذه الدراسات عبثية.

ويعتقد علماء الأغذية أنّ لطول العمر علاقة وطيدة باسلوب التغذية والظروف الاقليمية؛ فقد أجروا بعض التجارب والدراسات لطول عمر ملكة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۹

النحل التى تعدل عدة أضعاف الملكات العادية فتوصلوا إلى أنّ هذا الموضوع معلول لطعام معين تعده العاملات لتغذية الملكة والذى يختلف عن العسل المتعارف، فاعتقد البعض أنّ اعداد مقدار أكبر من هذا الطعام الجلاتينى يمكنه أن يضاعف عمر الإنسان.

ويقول علماء النفس أنّ طول عمر الإنسان يعتمد إلى حدّ كبير على طريقة تفكيره وعقائده، والعقائد الروحية البناءة والمستقرة تسهم فى إطالة عمر الإنسان.

ويرى فريق من الأطباء أنّ الشيخوخة نوع من التوعك الذى يصيب الإنسان إثر تصلب الشرايين أو بعض الاختلالات العضوية لبدنه، ولو استطعنا التغلب على هذه العوامل عن طريق التغذية الصحيحة والأدوية المؤثرة لقضينا على الشيخوخة وتمتعنا بعمر طويل.

وكلّ هذه الامور تثبت بوضوح أنّ قضية العمر الطبيعى المحدود ليست أكثر من خرافة، ولا يمكن التكهن بعمر للكائنات الحية.

والحقّ أنّ قضية إطالة عمر الإنسان أصبحت أكثر جدية إثر الرحلات الفضائية والصعود إلى القمر، ذلك لأنّه أصبح من المسلم أنّ عمارنا القصيرة لا تتناسب وطى المسافات النجومية العظيمة، فالتقدم خطوة واحدة فى هذا العالم الفسيح بالسفن الفضائية الحديثة يتطلب أحياناً آلاف السنين من العمر، وأكثر من ذلك بعشرات آلاف السنين للوصول إلى الطرق الأبعد، ومن هنا فكّر العلماء فى طريقة اخرى لإطالة عمر الإنسان تتمثل فى التجميد.

ولعلّ هذا الموضوع كشف لأوّل مرة من خلال مشاهدة بعض الكائنات الحية التى احتفظت بحياتها خلال عملية التجميد الطبيعى؛ مثلًا عثروا قبل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۰

مدة على حوت منجمدة فى وسط الثلوج القطبية حيث يفيد وضع طبقات الثلج أنّها تعود لقبل خمسة آلاف سنة.

وظنوا فى البداية أنّها ميتة، وحين وضعوها فى ماء مناسب أخذت بالحركة مثيرة الدهشة، فاتضح أنّها كانت حيّة منذ خمسة آلاف سنة غير أنّها كانت تعيش تلك الفترة بصيصاً من الحياة! ومن هنا فكّروا فى أن يجرّبوا هذه الطريقة على الإنسان، فمثلًا، لو بعثنا بجالس فى سفينة فضائية إلى نقطة بعيدة وعرّضناه لحالة تجميد ويصل مقصده بعد مئات أو آلاف السنين فإن بدنه سيعود إلى حالته العادية تدريجياً وستحل مشكلة طول العمر فى الرجلات الفضائية.

وقد فكر بعض الأطباء الآن بهذه الطريقة بالنسبة للمرضى الذين لم يتوصل الطب إلى سبيل علاجهم كأن يكون المريض مصاباً بالسرطان، فيرون ضرورة تجميد هؤلاء المرضى فى نوم عميق- أو بما يفوق النوم- ومثلًا حين سيكشف علاجه بعد قرنين يعادون إلى حالتهم الأصلية ويخضعون للعلاج.

وتفيد كلّ هذه الأبحاث والدراسات أنّه ليس هنالك من حد ثابت للعمر بالنسبة للإنسان وسائر الكائنات الحية من وجهة النظر العلمية.

الاستثناء من الأفراد:

لو أغمضنا عن البحث السابق ونفرض أنّ للإنسان بطبعه الابتدائى حدّاً ثابتاً من العمر؛ مع ذلك فإنّه لا يمكن تعميم هذا الموضوع على كافة الأفراد، وذلك لوجود الاستثناءات دائماً بين الكائنات الحية والتى لا تنطبق على

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۱

الضوابط السائدة فى العلوم الطبيعية والتجريبية، حتّى أنّ العلم ليعجز أحياناً عن تفسيرها.

فقد لوحظ بعض الأفراد الذين يتمتعون بحواس وإدراكات وطاقات استثنائية خارقة للعادة، فقد نلاحظ بعض الأفراد لنوع خاص من الأشجار أو الحيوانات التى لها نمو معين وعمر كذلك، التى تتجاوز جميع ضوابطها وتبدو بصيغة استثنائية مثلًا:

۱- شاهد بعض السياح الذين زاروا اسكتلندا شجرة عجيبة ومذهلة يصل قطرها إلى ۹۰ قدماً ويقدر عمرها بخمسة آلاف سنة.

۲- يبلغ طول شجرة فى كاليفورنيا مئة متر، وقطرها فى الجانب الأسفل عشرة أمتار ويقدر عمرها بستة آلاف سنة.

۳- هناك شجرة من بين الأشجار التى تنبت فى جزر الكنارى من نوع (الصندم) لفتت انتباه العلماء؛ الشجرة التى يقال أنّه منذ اكتشاف هذه الجزيرة (أى قبل خمسمئة سنة) لم تسجل لحد الآن أيّة حالة نمو وتغيير! مع ذلك يبدو أنّها تتمتع بعمر طويل بحيث لا يبدو عليها آثار مضى الزمان، ومن هنا يعتقد بعض المتخصصين أنّها كانت موجودة قبل خلق آدم!

۴- توجد بعض الأشجار فى المناطق الاستوائية المعمرة كثيراً ولا ينتهى عمرها أبداً فهى فى حالة غضة دائماً.

۵- شوهدت بعض الحلزونات المعمرة آلاف السنين، كما اكتشف العلماء حيتان يقدر عمرها بثلاثة ملايين سنة.

۶- ترى بعض الأفراد بين الناس يقومون ببعض الأعمال المذهلة التى يصعب الوثوق بها حتّى لمن يراها. فمن منا لم يقرأ فى الصحف

بعض

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۲

الأخبار بشأن الأفراد الذين يقومون ببعض الأعمال التى تفوق البصر كأن يطوى بعض الأجسام الفلزية كالملعقة والشوكة دون أن يشير لها بيده! وقد قاموا بتلك الأفعال أمام أنظار المراسلين حتّى صورهم التلفاز الانجليزى حتّى أذعن الانجليز بعدم وجود خدعة فى مثل هذه الأفعال، والواقع هو أنّ هذه الامور استثنائية حقّاً.

ولعلّ الجميع سمع عن ذلك الفتى الايرانى الذى يتناول المصباح والزجاج وكأنّها أطعمة، والحال لو تناول ذلك بعض الأفراد العاديين لانبغى خضوعهم لعملية جراحية! قرأت فى بعض الصحف عن شخص يتمتع بقوّة خارقة تمكن من ترويض الحيوانات الوحشية والمفترسة وهو يقترب منها دون خوف.

وقيل فى سيرة ابن سينا ذلك الطبيب والفيلسوف المعروف أنّه كان يحفظ فى المكتب كلّ ما كان يقرأه التلاميذ للُاستاذ؛ وقد ألم فى بخارى فى العاشرة من عمره ببعض العلوم التى أثارت دهشة الآخرين؛ وتصدى فى الثانية عشرة من عمره للفتيا، فكان يفتى فى بخارى.

ألف فى السادسة عشرة كتابه (القانون فى علم الطب) وهوالكتاب الذى درس لقرون فى الجامعات الأوروبية الطبية، أما الأخبار التى نقلت فى حدّة نظره وشدّة سمعه فمما تثير الدهشة، ولا يسعنا التطرق إليها «۱».

كلّ هؤلاء أفراد استثنائيون يتمتعون ببعض الخصائص التى يعجز عن تفسيرها العلماء كونها لا تنسجم مع الضوابط والمقررات السائدة لدى الجنس البشرى، إلّاأنّ عدم الانسجام هذا لا يمنع من أن نذعن لها ونقر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۳

بوجودها.

كما نقر من خلالها بقانون كلى فى أنّ ما نشاهده فى «النباتات» و «الأحياء البحرية والصحراوية» و «الناس» ليس بقانون عام ودائمى؛ بل من الممكن أن يكون فيها بعض الأفراد الاستثنائيين بصفات خاصة خارقة للعادة سواء من حيث العمر أو القدرة الروحية والبدنية، ووضعها الاستثنائى لا يدلّ أبداً على عدم علمية قبولها؛ بل لابدّ أن نذعن بأنّ دائرة جميع المقررات والضوابط التى يتبناها العلم تقتصر على الأفراد العاديين، والاستثناء من الأفراد خارجون عن دائرة هذه المقررات.

أصحاب الإشكال:

إن كان إشكال طول عمر المهدى عليه السلام يطرح من قبل الماديين الذين يرون كلّ شىء بمنظار القوانين الطبيعية، فالجواب ما ذكرناه سابقاً، أما إن طرح من قبل أتباع الأديان كأتباع موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام والاخوة من أبناء العامة، فإضافة لما ذكرنا، فإننا نورد بعض الامور ومنها:

۱- إنّهم يعتقدون بقدرة اللَّه المطلقة وخوارق أنبيائه ورسله ومعجزاتهم، بعبارة اخرى يؤمنون بأنّ قوانين الطبيعةخاضعة لقدرة اللَّه لا محكومة لها، فهل شفاء المرضى الذين يصعب شفاؤهم عن طريق الطب، أو إحياء الموتى من قبل المسيح، أو سائر المعجزات من موسى عليه السلام بواسطة العصا (التى تعتبر قطعة خشبية غير ذات قيمة) واليد البيضاء وعبور النيل بتلك الطريقة الخارقة للعادة من الامور التى تنسجم مع الضوابط الطبيعية المتداولة؟

لا شك أنّ تفسير كافّة أتباع الأديان لمثل هذه الظواهر هو فاعلية اللَّه فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۴

تأثير جميع القوانين والأسباب الطبيعية، وإن أراد شيئاً آخر تحقق، وإرادته تفوق العلل الطبيعية. ولو كان الوضع منذ البداية كذلك فى

أنّ الإنسان يحيى مرة اخرى بعد الموت أو الذى يولد أعمى يبصر بعد مضى مدة من الزمان أو يكون متوسط عمر الإنسان ألف سنة، فهل هنالك من يتعجب من هذه الامور ويراها مخالفة للعقل ...؟ قطعاً لا!

وعليه فإنّ نقض مثل هذه القوانين ليس بنقض لحكم عقلى ومنطقى، بل نقض لحالة عادية ألفِناها على ضوء مشاهدة الأفراد العاديين.

۲- يعتقد النصارى أنّ أعداء المسيح عليه السلام صلبوه ودفنوه، ثمّ نهض من بين الموتى وعرج إلى السماء وهو حى الآن. والمسلمون أيضاً يرونه حياً، رغم عدم قبولهم بصلب عيسى وقتله على ضوء القرآن، وهذا ما يقره كافّة علماء الإسلام- سوى القلّة القليلة- ولو كان هذا الاستثناء ليس خلافاً للعقل، ويمكن أن يحيى الإنسان مجدداً بعد موته ودفنه ويعمر ألف سنة، فكيف يعتبر الكلام عن عمر طويل فقط لأكثر من ألف سنة محالًا وغير منطقى!

۳- لا يوجد مسلم ينكر طول عمر نوح، ذلك لأنّه ممّا صرّح به القرآن فى أنّه استغرق تسعمئة وخمسين سنة فقط فى الدعوة إلى عبادة اللّه والتوحيد «فَلَبِثَ فِيهِم أَلَف سَنَةٍ إِلَّاخَمْسِينَ عاما» «۱»

. كما سمعنا الكثير عن الخضر وعمره الطويل.

العجيب أنّ طائفة أقرت بكلّ هذه المطالب، غير أنّها ما أن تصطدم بعقيدة الشيعة بشأن طول عمر المهدى حتّى تصاب بالذهول والدهشة والتنكر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۵

لذلك، وأحياناً يكتفون بابتسامة عريضة تفيد تعارض هذه العقيدة مع العقل والمنطق...!!

وهذا نموذج واضح للازدواج!

ولكن كما قلنا فإنّ مسألة طول العمر وبغض النظر عن العقائد الدينية بشأن قدرة اللّه وقضية الاعجاز، فإنّها تنسجم تماماً ومنطق العلوم الطبيعية الحديثة، أمّا المشكلة الوحيدة فهى ضرورة تحرير أفكارنا وأنفسنا من بعض الأحكام المسبقة والتعصبات المقيتة والعادات التى ألفِناها، والتسليم للدليل والمنطق والبحث العلمى.

إننا حين نسمع برجل نمساوى عمَّر أكثر من ۱۴۰ سنة ولم يمرض ولو لمرّة واحدة!

أو رجل كولومبى بلغ ۱۶۷ سنة من عمره ومازال فتى!

أو رجل صينى أبيضَّ شعره بعد ۲۵۳ سنة من عمره! نشعر بالدهشة؛ وذلك لأنّه يختلف عن العادة، ولكن لو كان هناك تركيز إعلامى على هذا الخبر وورد بصورة قطعية فإننا سنقر به كحقيقة واقعة.

ولكن ما أنّ نقرأ فى الحديث:

«القائم هو الذى إذا خرج كان فى سن الشيوخ ومنظر الشبان؛ قوى فى بدنه».

حتّى يعترى البعض الحيرة والذهول. وهنا تتساءل الشيعة: لِمَ يعتقد البعض بطول عمر نوح والمسيح ويذكرون تلك الخصائص العجيبة لابن سينا، ولا يتسمون لمشاهدة انحناء الأجسام الفلزية بنظرة من شاب ورؤية الأشجار والأحياء المعمرة، ولكن ما أن يرد الحديث عن طول عمر المهدى عليه السلام حتّى يقطب البعض ويخطف لونه ويتساءل على نحو الانكار

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۶

عن إمكانية ذلك.

زبدة الكلام إنّ مسألة طول العمر ليست من المسائل التى يمكن الاشكال عليها والتنكر لها على ضوء الأحكام المنطقية والعقلية.

۲- فلسفة الغيبة

اشارة

قلنا: السؤال الآخر الذى يطرح بشأن عقيدة الشيعة فى المهدى عليه السلام وموضوع غيبته الطويلة والذى يرد بعد قبول أمان طول عمره. والسؤال:

لماذا لا يظهر المهدى عليه السلام وقد عمّ الظلم والفساد؟

لماذا لا يقوم ليملأها عدلًا وقسطاً؟

إلى متى هذا الجلوس ومشاهدة الظلم وسفك الدماء وطغيان حفنة من الغاشمين؟

لماذا هذه الغيبة الطويلة؟ ترى ماذا ينتظر؟

وبالتالى ما سرّ هذه الغيبة الطويلة؟

ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ هذا السؤال وإن طرح عادة على الشيعة بشأن مسألة الغيبة، إلّاأنّ أدنى تمعن سيفيد أنّ للآخرين نصيباً من ذلك، أى يتوجه إلى سائر المؤمنين بظهور مصلح عالمى عظيم ينهض يوماً ويملأ العالم بالعدل والقسط، وإن رفضوا عقيدة الشيعة فى طول العمر والغيبة.

فالسؤال الذى يساورهم لِمَ لم يولد ذلك المصلح العظيم لحدّ الآن، وإنّ ولد لم لا ينهض ويملأ الدنيا بالعدل؟ وعليه فمن الخطأ أن يتوجه هذا الإشكال إلى خصوص الشيعة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۷

وبعبارة اخرى، ممّا لا شك فيه أنّ مسألة طول العمر (البحث السابق) ومسألة وجود الإمام فى الغيبة (البحث القادم) لمن الأسئلة التى تقتصر على الشيعة، أمّا مسألة تأخير ظهوره فمن المطالب التى ينبغى أن يفكر بها كافة المعتقدين بظهور ذلك المصلح العالمى، فى أنّ الظروف العالمية مؤاتية فلماذا لا يحصل ذلك الظهور؟ (ينبغى التمعن).

على كلّ حال لهذا السؤال جواب بسيط وآخر مسهب. الجواب القصير:

إنّ وجود الزعيم الكفوء لوحده لا يكفى فى قيام نهضة شاملة على مستوى عالمى، بل لابدّ من استعداد عام، وللأسف مازال العالم لحدّ الآن غير مستعد لتلك النهضة والحكومة، وما أن يبرز هذا الاستعداد حتّى يكون قيامه قطعياً!

أما توضيح هذا الكلام:

أوّلًا: لابدّ من الالتفات- كما أشرنا سابقاً- إلى أنّ قيام المهدى عليه السلام كسائر نهضات جميع الأنبياء يتم عبر الوسائل والأسباب الطبيعية، وليس هنالك من مجال للاعجاز، فللمعجزات بعد استثنائى وليس لها من تدخل فى المشاريع الاصلاحية للقادة الربانيين سوى فى بعض المواقع الاستثنائية.

ومن هنا كان الأنبياء يستفيدون من الأسلحة السائدة وإعداد الأفراد الاكفاء والاستشارة المطلوبة وطرح الخطط المؤثرة والتكتيكات العسكرية اللازمة، وبالتالى توفير كافة الامكانات المادية والمعنوية للنهوض بأهدافهم، ولا يفكرون فى حدوث المعجزة فى مجابهة العدو، أو اعداد

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۸

الأنصار وتكاملهم.

وعليه فلابدّ أن يتحقق تنفيذ مشروع حكومة الحقّ والعدل على المستوى العالمى من خلال الاستعانة بالوسائل المادية والمعنوية اللازمة، سوى فى بعض الحالات.

بعبارة اخرى، إنّ المهدى عليه السلام لا يأتى بمدرسة جديدة، بل ينفذ المشاريع الثورية السماوية التى لم تدخل حيز التنفيذ. فرسالته لا تكمن فى الانذار والتربيه والتعليم والتذكير، بل رسالته اجراء كافة الاصول والمبادئ فى ظلّ حكومة العلم والإيمان، وهو الأمر الذى لا يتيسّر دون الاستعدادات المسبقة.

ثانياً: يتضح من خلال ما تقدّم ما نقوله من عدم وجود مثل هذا الاستعداد، وذلك لأنه ينبغى توفر عدة أنواع من الاستعدادات وهى:

أ) استعداد القبول (الاستعداد النفسى)

لابدّ أن يقف العالم كما ينبغى على مرارة هذا الوضع القائم والظلم السائد.

ولابدّ أن يلمسوا ضعف القوانين البشرية وعجزها عن تطبيق العدالة الاجتماعية.

وينبغى أن يدركوا هذه الحقيقة وهى أنّ المشكلة لا تحل من خلال المعادلات المادية والضمانة الإجرائية والمقررات التى وضعها الإنسان، بل إنّ هذه المشكلة تسلك منحنياً تصاعدياً فى التعقيد بما يرهق كاهل البشرية.

ولابدّ أن يفهم العالم أنّ الأزمات المعاصرة وليدة الأنظمة الراهنة، وهى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۹

الأنظمة التى تعجز فى خاتمة المطاف عن حلّ هذه الأزمات.

ولابدّ أن يعى العالم ضرورة وجود أنظمة ومبادئ جديدة بغية تحقيق هذه الأهداف الكبرى، المبادئ التى تستند إلى الإيمان والقيم الإنسانية والعواطف البشرية والمثل الأخلاقية، لا المبادئ المادية الجافة الخالية من الروح والإنسانية.

ولابدّ أن يبلغ العالم هذه المرحلة من الوعى الاجتماعى بحيث يدرك أنّ التطور التقنى لا يعنى الزاماً تطور البشرية وضمان سعادتها ورفاهيتها، بل الازدهار والتطور التقنى الذى يجلب السعادة والخير للبشرية هو ذلك الذى يتمّ من خلال سلسلة من المبادئ المعنوية والإنسانية، وإلّا كان هذا التطور- كما لمسناه مراراً- وبالًا على البشرية وسبب دمارها وانهيارها.

ولابدّ أن يفهم العالم أنّ الصناعات أنّ ارتدت ثوب الصنمية ستضاعف من حجم المشاكل الراهنة.

ولابدّ أن تصبح وسيله تحت سيطرة البشرية.

وبالتالى لابدّ أن يشعر العالم بالعطش وما لم يشعر به فلا يتجه صوب الماء.

وبعبارة اخرى، ما لم يعِش العالم قضية الطلب فليس هنالك من تأثير لعرض أيّة مشاريع اصلاحية، فقانون العرض والطلب سارى المفعول فى القضايا الاجتاعية على غرار المسائل الاقتصادية.

وهنا يرد هذا السؤال: ما هو العامل الذى يفرز حالة العطش والطلب؟

نقول فى الجواب:

جانب من ذلك، مرور الزمان ولا يمكن بدونه، أما الجانب الآخر فيتوقف

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۰

على التربية والتعليم، فينبغى أن يصبح عملياً من خلال النهضة الفكرية من جانب العلماء الملتزمين والمسؤولين عن شؤون المجتمع.

ينبغى لهؤلاء وبمشاريعهم التى تهدف تهذيب الإنسان أن يبلغوا بالعالم على الأقل هذه الحالة من الوعى فى الانسجام مع هذه المبادئ والقوانين، وهذا الأمر يتطلب بطبيعة الحال قدراً من الزمان.

ب) التكامل الثقافى والصناعى

من جانب آخر فإن حشد العالم تحت راية واحدة ووضع حدّ لغطرسة الجبابرة والطواغيت واشاعة أجواء التربية والتعليم فى أرقى صورها وإفهام الآخرين بأنّ اختلاف اللسان والعرق والمنطقة الجغرافية وما شابه ذلك لا تدلّ على أنّ أفراد العالم لا يستطيعون العيش كأخوة ضمن اسرة واحدة فى ظلّ الإسلام والعدل والتآخى.

وتوفير اقتصاد سالم وكافٍ لجميع الناس يتطلب وعياً ثقافياً ورفع المستوى العلمى للبشرية من جانب، وتكامل الوسائل الصناعية من جانب آخر؛ الوسائل التى يسعها إرساء ارتباطات سريعة وقريبة ودائمية بين كافة بقاع العالم، وهذا ما لا يتحقق أيضاً دون تقادم الزمان.

وكيف لحكومة أن تتعامل مع الوضع العالمى إن كانت هذه الارتباطات بطيئة؟

أم كيف يمكن إدارة شؤون العالم بالوسائل التى يستغرق إرسال رسالة فيها إلى مناطق العالم النائية عدّة سنوات من الزمان؟

يستفاد من بعض الروايات التى رسمت صورة عن حياة الناس فى عصر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۱

ظهور المهدى عليه السلام- والتى سيمر البحث عنها فى المباحث القادمة- أنّ التطور التكنولوجى والصناعى خاصة صنائع الحمل والنقل والارتباط فى ذلك العصر سيكون على درجة من الرقى والازدهار بحيث تصبح قارات العالم بصورة مناطق متقاربة، ويكون الشرق والغرب بمثابة بيت واحد، فلا يبقى هنالك من مشكلة على صعيد الزمان والمكان.

طبعاً يمكن أن يحصل بعض هذه الامور أثر حركة وثورة صناعية فى ذلك العصر، ولكن لابدّ من استعداد علمى كأرضية لذلك العصر.

ج) اعداد القوى الثورية

بالتالى لابدّ من إعداد ثلّة مهما كانت قليلة تكون نواة الجيش الثورى لذلك المصلح العظيم.

فلابدّ من تبرعم زهور فى هذه النار المحرقة لتكون مقدمة لذلك البستان؛ وينبغى أن يتحلى أفراد تلك الثلّة بالوعى التام والشجاعة والأخلاص والفداء والتضحية وهذا بدوره يتطلب مقداراً من الزمان وإن تعاقبت الأجيال الثورية.

وإن قيل: مَن الشخص الذى ينبغى أن ينهض بمسؤولية إعداد أولئك الأفراد؟

فالجواب: ذلك الزعيم الذى يمارس هذا المشروع بصورة مباشرة أو غير مباشرة (سيرد شرح ذلك فى المبحث القادم إن شاء اللّه).

إنّ إحدى علل الغيبة كما ورد فى بعض الروايات الإسلامية يكمن فى اختبار الناس واختيار الأصلح والذى يمكن أن يكون إشارة إلى هذا

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۲

الموضوع.

توضيح ذلك: أنّ الاختبار الإلهى ليس من قبيل الاختبارات بغية التعرف على وضع الذى يؤدى الاختبار، بل يعنى تربية الاستعدادات واظهار الكفاءات وتمييز الصفوف. وبعبارة اخرى الهدف هو التربية والتكامل أو خلق الاستعداد، ذلك لأن احاطة اللّه العلمية بكلّ شىء تسلب أى هدف فى ابتغاء طلب الوقوف والعلم من الاختبارات.

وهكذا يتضح ممّا تقدّم سبب غيبة المهدى هذه المدة.

۳- فلسفة وجود الإمام حين الغيبة

اشارة

السؤال الآخر الذى يرد بشأن عقيدة الشيعة حول وجود المهدى هو:

الإمام على كلّ حال زعيم وقائد ووجود القائد مهم ومفيد حين يكون على صلة بأتباعه، فكيف ينهض الزعيم بمسؤوليته إن كان غائباً عن الأنظار؟

بعبارة اخرى فإنّ حياة الإمام إبان الغيبة حياة خاصة ليست اجتماعية، وهنا يحقّ لنا أن نسأل ما الأثر الذى يلعبه هذا الزعيم بالنسبة للناس، وكيف ينتفع به الآخرون؟

فهو كعين الماء الصافية ولا يسع الآخرون وصولها!

أضف إلى ذلك هل غيبة الإمام عليه السلام بمعنى استبدال وجوده بروح لا مرئية أو أمواج واثير وما شابه ذلك؟

وهل ينسجم هذا مع العلم؟

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۳

هذا السؤال- بلا شك- مهم، ولكن من الخطأ أن نظن بصعوبة الاجابة عنه، لكن دعونا نردّ بادىء الأمر على الشق الأخير الذى أدّى إلى الكثير من سوء الفهم، ومن ثمّ نخوض فى الردّ على سائر الأسئلة.

لابدّ من القول صراحة إنّ الغيبة- كما أشرنا- لا تعنى أنّ وجود الإمام فى الغيبة هو وجود غير مرئى وخيالى وأشبه بوجود وهمى، بل له من حيث المعيشة حياة طبيعية وعينية خارجية، غاية الأمر بعمر مديد، يتردد دائماً بين الأوساط الاجتماعية، ويقطن مختلف المناطق، وإن كان هنالك من استثناء فى حياته فهو عمره الطويل فقط.

إنّه يعيش بصورة غير معروفة فى المجتمع، ولم يقل أحد بأكثر من ذلك فى غيبته، وهنالك بون شاسع بين «غير معروف» و «غير مرئى»! وبعد أن فرغنا من هذا الأمر، نخوض فى هذا الموضوع: حسناً، إلّاأن هذه الحياة يمكن توجيهها بالنسبة لفرد عادى، ولكن هل يمكن قبوله بالنسبة لزعيم بالذات ذلك الزعيم الربانى؟!

كيف يسع التلميذ الذى لا يعرف استاذه والمريض الذى لا يعلم بعيادة الطبيب والعطشان الذى لا يعلم بعين الماء- مهما كان قريباً من هذه الامور- أن ينتفع بهم؟

جدير بالذكر:

إنّ هذا السؤال لم يطرح الآن، بل ورد فى الروايات الإسلامية أنّه طرح حتى قبل ولادة المهدى عليه السلام وإبان عصر الأئمّة حين كانوا يتحدثون عن المهدى وغيبته يطرح عليهم هذا السؤال فيردون عليه، وإليك جانب من ذلك.

فائدة الإمام فى الغيبة: «۱»

اشارة

هنالك عباره رائعة فى عدّة روايات بشأن فلسفة ووجود الإمام عليه السلام فى عصر الغيبة، يمكن أن تساعدنا فى حلّ هذه المشكلة، حيث قال النبى صلى الله عليه و آله بشأن فائدة الإمام فى الغيبة:

«أى والذى بعثنى بالنبوة أنّهم ينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب» «۲».

ولابدّ أن نتعرف هنا على دور الشمس بصورة كلية وحين تكون خلف السحاب:

فللشمس نوعان من الضوء.

ضوء واضح وآخر مخفى.

أو بعبارة اخرى ضوء مباشر وآخر غير مباشر.

وتشاهد الأشعة بوضوح فى الضوء المباشر وإن احيط بطبقات الجو الضخمة وكأنّها زجاجة ضخمة؛ الزجاجة التى تحد من اشراقة الشمس وتسهل تحمله، كما تصفى ذلك الضياء وتحيط آثار أشعتها المميتة، ولكن لا تمنع على كلّ حال شعاعها المباشر.

أمّا فى الأشعة غير المباشرة، فالغيوم كالزجاجة المعتمة تمتص ضياء الشمس المباشر وتنشره.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۵

ولضوء الشمس دور مهم فى حياة كافة الكائنات.

فالضوء والحرارة التى تنطلق من الشمس هنا وهناك، والطاقة العظيمة للنبات والحيوان والإنسان؛

وتكامل الكائنات الحية ونموها؛

وتغذيتها وانجابها؛

والحس والحركة؛

وسقى الأراضى الميتة.

وأصوات أمواج البحار.

وحركة الرياح.

وزمزمة أصوات الشلالات.

وتغريد الطيور.

والجمال الساحر للازهار.

ودوران الدم فى عروق الإنسان.

ونبض القلب.

وانتقال الأفكار عبر حواجز الدماغ، كلّها تعتمد بصورة مباشرة أو غير مباشرة على ضياء الشمس، ودون ذلك تخمد وتؤول إلى الخمود والانطفاء، وهذا ما يمكن ادراكه بسهولة.

والآن يرد هذا السؤال: هل تقتصر هذه البركات والآثار الحيوية على الضياء المباشر للشمس؟

الجواب عن هذا السؤال واضح: كلا، فهذه الآثار موجودة حتّى حين تغيب الشمس خلف السحب.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۶

مثلًا هنالك بعض البلدان والمدن التى تختفى فيها الشمس لأشهر أو سنوات خلف الغيوم، ولكن هنالك الحرارة ونمو النباتات والطاقة اللازمة لإدامة عجلة الحياة ونضج الفاكهة والثمار وتفتح البراعم.

وعليه فإنّ لشروق الشمس من خلف السحب جانباً من الآثار والبركات، ولا تنطوى على جانب من تلك الآثار التى تتطلب أشعة مباشرة، فمثلًا نعلم أنّ لشعاع الشمس أثره الحيوى على جلد الإنسان وسائر أعضائه ومن هنا فإنّ الناس فى أغلب البلدان المحرومة من هذا الشعاع يلجأون فى الأيّام المشمسة إلى الحمامات الشمسية ويتعرون تماماً أمام شعاع الشمس لتقوم مساماتهم بامتصاص تلك الأشعة. كما أنّ أشعة الشمس المباشرة وعلاوة على مضاعفتها للحرارة والضوء فإنّ لها أثراً عظيماً- بسبب الأشعة فوق البنفسجية- فى قتل أنواع المكروبات والابقاء على سلامة البيئة.

ونستنتج من هذا البحث أنّ حجب السحب وإن امتصت بعض آثار الشمس، إلّاأنّ الجانب الأكبر من تلك الآثار باق. كان هذا الكلام فى المشبه به، يعنى الشمس، ونعود الآن إلى وضع المشبه يعنى وجود الزعيم الربانى فى الغيبة، فللأشعة المعنوية غير المرئية لوجود الإمام عليه السلام حين تكون خلف سحب الغيبة عدّة آثار تكشف عن فلسفته الوجودية، رغم تعطيل مسألة التعليم والتربية والزعامة المباشرة ومنها:

۱- بث الأمل

إن جلّ اهتمام الجنود الأوفياء فى ميدان القتال يتمثل فى حفظ الراية خفاقة تجاه هجمات الأعداء، بينما يسعى العدو جهد الأمكان إلى الاطاحة بهذه الراية، ذلك لأنّ انتصاب الراية يبث روح الأمل والمقاومة والصمود وديمومة القتال.

كما أنّ وجود القائد- مهما كان صامتاً- يبعث على رفع المعنويات وتجديد القوى وتعبئة الطاقات والاندفاع نحو القتال حيث يشعرون بقوّة حين يرون القائد واهتزاز الراية.

أمّا أن أشيع قتل القائد بين المقاتلين فإنّه يؤدى إلى بعثرة صفوف الجيش مهما كان عظيماً، وكانّ ماءاً بارداً سكب عليهم ليبرد إرادتهم، بل كأن روحهم سلت من أبدانهم.

كما أنّ المجتمع يواصل حركته ونظامه وإن سافر رئيسه إلى خارج البلد مادام على قيد الحياة، إلّاأنّ خبر موته يبعث فى قلوبهم الشعور باليأس والاحباط.

والشيعة تعتقد بوجود إمامها حيّاً وإن لم تره بينها، بالتالى فهى لا ترى نفسها وحيدة فى الساحة (لابدّ من التأمل).

فهى تنتظر قدومه وتحتمله فى كلّ لحظة وهذا ما يؤثر على مسيرتها ايجابياً.

ومن هنا يمكن إدراك الأثر النفسى لهذا الاسلوب من التفكير فى بثّ الأمل والرجاء فى قلوب الأفراد وسوقهم نحو التهذيب والاستعداد لتلك

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۸

النهضة الكبرى التى مضى شرحها فى بحث الانتظار.

أمّا إن لم يكن لهذا الزعيم من وجود خارجى وينتظر اتباعه ولادته فى المستقبل فالوضع يختلف تماماً.

ولو أضفنا نقطة اخرى إلى هذا الموضوع لأصبحت القضية أكثر جدية وهى: على ضوء الاعتقاد العام للشيعة فقد وردت فى أغلب الروايات فى المصادر الشيعية أنّ الإمام يتفقد طيلة غيبته وبصوره مستمرة أوضاع شيعته، ويقف على تفاصيل أعمالهم عن طريق الالهام وما شابه، وحسب الروايات فإنّ أعمالهم تعرض عليه كلّ اسبوع ويحيط علماً بتصرفاتهم وأفعالهم «۱».

وهذا الاعتقاد يجعل هؤلاء الاتباع يخضعون لمراقبة دائمية يستحضرونها عند كلّ قول وفعل، الأمر الذى يمكن انكار دوره النفسى والتربوى.

۲- حماية الدين

قال على عليه السلام ذلك الرجل الفذ فى بعض الكلمات القصار فى إشارته إلى ضرورة وجود الزعماء الربّانيين فى كلّ عصر وزمان: «اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حجج اللّه وبيناته» «۲».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۹

وإليك توضيح ذلك:

إنّ مرور الزمان واختلاط الأذواق والأفكار الشخصية بالامور الدينية والنزعات المختلفة نحو المدارس الانحرافية المزيفة وتسلل الأيادى الأثيمة إلى المفاهيم السماوية يؤدى إلى أن تفقد بعض هذه الاصول والمبادىء أصالتها وتتعرض إلى جانب من التحريف.

وبالطبع فإن هذا الماء العذب الفرات الذى ينزل من سماء الوحى ويعبر من فكر هذا وذاك يجعله يفقد بعض صفائه بالتدريج، على غرار الضياء الذى يصطدم بالزجاج المعتم فيفقد بريقه.

والخلاصة، تبدو هناك بعض المشاكل والصعوبات فى التعرف على القضايا الأصلية بفعل ممارسات بعض الأفراد ذوى الافق الضيق،

حتّى انبرى أحد الشعراء باسلوبه المعهود فى المبالغة مخاطباً النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بأنّ ما حدث فى الدين واضيف إليه، بلغ درجة بحيث لو عدت اليوم لما رأيته كما كان.

وعلى هذا الأساس، أوليس من الضرورى أن ينبرى من بين المسلمين من يصون التعاليم الإسلامية ويعيدها إلى مسارها الأصلى ويحفظها كما هى للأجيال القادمة؟

أو ينزل الوحى السماوى ثانية على إنسان؟ قطعاً لا. فقد اغلق باب الوحى بمسألة الخاتمية.

فكيف ينبغى حفظ أصالة الدين، والحيلولة دون التحريفات

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۰

والخرافات؟

هل يتمّ ذلك سوى من جانب الإمام المعصوم سواء كان مشهوراً ومعلوماً أو مغموراً ومجهولًا «لئلّا تبطل حجج اللَّه وبيناته».

تعلم أنّ فى كلّ مؤسسة مهمّة «صندوق محكم» تحفظ فيه الوثائق المهمة لتلك المؤسسة لتبقى بعيدة عن أيدى اللصوص؛ إضافة إلى ذلك إن حدث حريق فى هذا المكان مثلًا كان ذلك الصندوق بعيداً عنه. فصدر الإمام وروحه العظيمة هى صندوق حفظ معالم الدين وخصائص المفاهيم السماوية الرفيعة «لئلّا تبطل حجج اللَّه وبيناته».

۳- إعداد ثلّة ثورية واعية

خلافاً لما يعتقده البعض من قطع الارتباط المطلق بين الإمام والامّة فى عصر الغيبة، بل كما يستفاد من الروايات الإسلامية فإنّ هنالك ثلّة من الأفراد الذين يعيشون عشق اللَّه ويتمتعون بقلب يفيض بالإيمان والأخلاص والتفكير فى إصلاح العالم، مرتبطة بالإمام وتعد بالتدريج من خلال هذه الرابطة وتتكهرب بروح الثورة التى تستأصل جذور الظلم والجور من كافة أنحاء العالم.

ربّما يتوفى هؤلاء قبل انطلاقة النهضة، ولا يقدح ذلك فى الهدف فهم ينقلون تلك التعاليم التعبوية إلى أجيالهم القادمة ليجدوا ويجتهدوا فى إعداد الثلّة الصالحة.

قلنا سابقاً أنّ غيبة الإمام عليه السلام لا تعنى كونه يتحول إلى روح غير مرئية أو أشعة غير ظاهرة، بل يتمتع بحياة طبيعية هادئة ويعيش بشكل مجهول بين الناس ويستقطب القلوب المستعدة ويستحوذ عليها فيجعلها أكثر تأهباً واستعداداً. ويتفاوت الأفراد حسب استعداداتهم فى نيل سعادة اللقاء،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۱

فبعضهم يلتقيه لحظات وآخر ساعات وثالث عدة أيّام وشهور وربّما سنوات!

بعبارة أوضح إنّ البعض بلغ منزلة رفيعة من العلم والورع والتقوى بحيث أصبح كالراكب فى الطائرة التى تحلق فى عنان السماء وهى تخترق السحب والغيوم، بينما ما زال البعض الآخر يعيش تحت السحب فى الظلمات.

وهذا هو الحساب الصائب، فلا ينبغى أن أجلس وانتظر لاسحب الشمس تحت السحب وأراه، فهذا الانتظار خطأ محض ووهم زائف؛ أنا الذى ينبغى أن أحلق فوق السحب والغيوم لاستضيىء بضياء الشمس وانتهل من نورها.

على كلّ حال فإنّ تربية هذه الثلة، تعد من الآثار المترتبة على فلسفة وجوده فى هذا العصر.

۴- النفوذ الروحى والتلقائى

نعلم أنّ للشمس أشعة مرئية تظهر من تركبها الألوان السبعة، كما لها أشعة غير مرئية هى «الاشعة فوق البنفسجية» و «الأشعة تحت الحمراء».

كذلك للزعيم الربّانى سواء النبى أو الإمام وإضافة إلى التربية التشريعية عن طريق القول والفعل والسلوك والتعليم والتربية العادية، فإنّ هناك تربية روحية من خلال النفوذ المعنوى فى القلوب والأفكار والتى يمكن الاصطلاح عليها بالتربية التكوينية، ليس هنا من فاعلية للألفاظ والكلمات والأقوال والأفعال، بل الكلمة الفصل للجذب الباطنى.

ونرى فى سيرة أغلب أولياء اللَّه العظام فى أنّ بعض الأفراد المنحرفين

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۲

والملوثين وأثر اتصال خاطف يغيرون مسيرتهم بصورة تامة فتتغير عاقبتهم جذرياً، فيتحولون إلى أفراد مؤمنين مخلصين لا يألون جهداً فى التضحية بالغالى والنفيس من أجل الدين.

فهذه التغييرات السريعة والشاملة، وهذا الانقلاب العظيم الجامع والذى يحصل من نظرة أو ارتباط بسيط (طبعاً رغم التلوث فإنّ هنالك استعداداً عالياً لديهم) فإنّه لا يمكن أن يعزى إلى التعليم والتربية العادية، بل معلول لاثر نفسى غير مرئى وجذبة تلقائية يعبر عنها أحياناً بنفوذ الشخصية.

ولعلّ أغلب الأفراد جرّبوا ذلك فى حياتهم أنّهم حين يتلقون بعض الأفراد من ذوى الروح الرفيعة والعالية فإنّه يتأثر تلقائياً ودون أن يتمالك نفسه حتّى يصعب عليه التحدث بحضرتهم؛ فيرون أنفسهم وسط هالة عظيمة يصعب عليهم تصويرها. طبعاً يمكن توجيه بعض هذه الامور بالتلقين أحياناً؛ لكن من المسلم به أنّ هذا التفسير ليس صحيحاً فى جميع الموارد، بل ليس أمامنا من سبيل سوى بأن نذعن بأنّ هذه الآثار تفرز من قبل ومضات سرية تنبعث من باطن الذات الإنسانية العظيمة.

وإننا نرى القصص الكثيرة فى تاريخ الأئمّة العظام والتى لا يمكن تفسيرها سوى من خلال هذا السبيل، كقصة قدوم شاب عاص على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وتحوّله المعنوى والروحى

أو لقاء أسعد بن زرارة الوثنى بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله عند الكعبة وتغيّر فكره وعقائده.

أو ما يسميه أعداء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله سحراً والذى كان يؤثر به على من يقترب منه، كلّ ذلك يعكس نفوذ شخصية النبى صلى الله عليه و آله إلى أعماق أولئك

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۳

الأفراد.

وهكذا ما ورد بشأن تأثير كلام الإمام الحسين عليه السلام على «زهير» فى مساره إلى كربلاء، حتّى أنّه لم يستطع وضع ما كان فى يده من طعام فى فمه، فطرحه أرضاً وانطلق.

أو الجذبة العظيمة التى شعر بها الحرّ بن يزيد الرياحى فأخذ يرتعش كالسعفة رغم شجاعته؛ فقاده ذلك إلى الالتحاق بركب الإمام حسين عليه السلام ونيل الشهادة.

أو قصة الفتى الذى كان يسكن جوار «أبو بصير» والذى كان ثرياً ويعيش فى دعة ورفاهية إثر خدمته لبنى أمية، حتّى تغيّر تماماً إثر رسالة الإمام الصادق عليه السلام فهجر كلّ أفعاله وأعاد كافة الأموال التى حصل عليها من الطرق غير المشروعة إلى أصحابها، وانفق الباقى فى سبيل اللَّه.

أو تلك الخادمة الحسناء لدى هارون والتى بعث بها إلى الإمام الكاظم عليه السلام ظناً منه بأنّه يؤثر على الإمام عليه السلام فعاشت ذلك الانقلاب الروحى خلال تلك المدّة القصيرة حتّى سلبت لب هارون بمنطقها و ... كلّ ذلك نماذج من هذا التأثير التلقائى والعفوى الذى يمكن اعتباره شعبة من الولاية التكوينية للنبى صلى الله عليه و آله أو الإمام عليه السلام، ذلك لأن عامل التربية

والتكامل هنا ليس الألفاظ والجمل والطرق المتعارفة والعادية، بل هو الجذبة المعنوية والنفوذ الروحى.

ولا يقتصر هذا الأمر- كما قلنا- على الأنبياء والأئمّة، بل لبعض أولياء اللّه ودعاة الحقّ هالة من هذا النفوذ والتأثير العفوى، غاية الأمر ليست هنالك من نسبة للمقارنة بين دائرة تأثير الفريق الأوّل والثانى من حيث السعة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۴

والشمولية.

ولوجود الإمام عليه السلام خلف غيوم الغيبه مثل هذا الأثر عن طريق الأشعة الخارقة والشاملة لنفوذ شخصيته فى استقطاب القلوب القاصية والدانية وإعدادها باتجاه السمو والتكامل.

إننا لا نرى بأعيننا قطبى المغناطيس الأرضى، غير أننا نلمس أثرهما على عقارب البوصلات والسفن فى البحار والطائرات فى السماء وسائر الوسائل والأدوات. ولعلّ ملايين المسافرين يهتدون ببركات هذه الأمواج المغناطيسية فى كافة الأماكن، وكذلك وسائط النقل الصغيرة والكبيرة التى تتخلص بأوامر هذه العقارب الصغيرة من الحيرة والضلال.

فهل من العجيب أن يهدى الإمام عليه السلام فى غيبته بأمواج جاذبيته المعنوية أفكار العديد من الأفراد هنا وهناك وينجيهم من الحيرة والضلال؟

لكن لا ينبغى ولا يمكن أن ننسى بأنّ الأمواج المغناطيسية كما لا تؤثر على كلّ قطعة حديدية تافهة، بل يقتصر تأثيرها على العقارب الظريفة والحساسة ولها سنخية مع القطب المرسل للأمواج المغناطيسية، كذلك إنّما تتأثر بالإمام القلوب التى لها سنخية وشبه روحى به. وهكذا يتضح ممّا مرّ معنا الأثر الآخر من آثار فلسفة وجود الإمام عليه السلام فى الغيبة.

۵- هدف الخليقة

ليس هنالك من عاقل يتقدم دون هدف، وكلّ حركة تتم فى ظلّ العقل والعلم تتجه نحو هدف معين. مع هذا الفارق فى أنّ الهدف من أعمال الإنسان رفع حاجاته وتلبية متطلباته، أمّا الهدف من أفعال اللّه هو الآخرين

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۵

واشباع حاجاتهم، ذلك لأنّ ذاته غنية من جميع الجهات ومنزهة من كلّ نقص، وعليه فلا معنى لمصلحته فى أفعاله.

والآن التفتوا إلى هذا المثال:

نقيم بستاناً مليئاً بالفاكهة والثمار فى أرض خصبة، وهنالك العلف الذى ينبت بين الأشجار والورد، وكلما سقينا تلك الأشجار فإنّ العلف يروى من تلك المياه.

وهنا يكون لدينا هدفان:

الهدف الأصلى سقى الأشجار والورود.

والهدف التبعى سقى العلف.

لا شك أنّ الهدف التبعى ليس هو الدافع للعمل، أو موجه لحكمته؛ والمهم الهدف الأصلى الذى ينطوى على الجانب المنطقى! ولو افترضنا الآن جفاف أكثر اشجار البستان وعدم بقاء أكثر من شجرة واحدة، لكنها الشجرة التى تعطينا الفاكهة والثمار التى لا تتوقعها من آلاف الأشجار، فممّا لا شك فيه أننا نواصل سقى تلك الشجرة، وكأن مزيداً من العلف أيضاً يستفيد من تلك المياه، ولو جفت تلك الشجرة يوماً فإننا سنتخلى عن السقى وإن مات كلّ ذلك العلف.

عالم الخلق كذلك البستان الزاهر والناس أشجاره. ومن سار نحو المال فهو بمثابة الشجرة المثمرة، ومن نزع نحو الانحراف والتسافل

كعلف ذلك البستان.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۶

لا ـ شك فى أنّ هذه الشمس المشرقة وذرات الهواء وكلّ بركات الأرض والسماء لم تخلق من أجل حفنة من المفسدين الذين يتنازعون فيما بينهم ويأكل قويهم ضعيفهم ولا يذوق المجتمع سوى ظلمهم وجورهم وفسادهم.

كلا، حقّاً هذا ليس الهدف من الخلق!

فقد خلق هذا العالم وجميع النعم- من وجهة نظر فرد عابد وعارف ببعض المفاهيم كعلم اللّه وحكمته- للصالحين والطاهرين، وهكذا ستخرج آخر الأمر من أيدى غاصبيها وتقع بيد أصحابها «وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ» «۱».

وبستان الخليقة (عالم الوجود الواسع) يواصل عطاءَه من أجل هذه الفئة؛ وإن انتفع به العلف كهدف تبعى، إلّاأنّ الهدف الأصلى تلك الفئة.

ولو فرض اليوم الذى ينقرض فيه آخر نسل من فئة الصالحين من على الأرض قطعاً ستتوقف مواصله النعم.

آنذاك يربك استقرار الأرض وتمنع السماء بركاتها، وتقتر الأرض على الإنسان منافعها.

يعتبر النبى أو الإمام رمز الثلّة الصالحة ونموذج الإنسان الكامل، أى الفئة التى تمثل الهدف الأصلى للخليقة، ومن هنا فإنّ وجوده بمفرده يوجه هدف الخليقة ومصدر نزول كلّ خير وبركة وهطول أمطار الفيض ورحمة اللّه، سواء كان ظاهراً وسط الناس أو مخفياً غير معروف.

صحيح أنّ سائر الأفراد الصالحين كلّ منهم هدف للخليقة، أو بعبارة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۷

اخرى جزء من الهدف العظيم، إلّاأنّ النموذج التام لهذا الهدف هو هؤلاء الأفراد القدوة والزعماء الربّانيون، وإن كان دور الآخرين محفوظاً.

ويتضح من هنا ما ورد فى بعض العبارات مثل:

«بيمنه رزق الورى وبجوده تثبت الأرض والسماء».

فهذه ليست من قبيل «المبالغة» و «مجانبة المنطق» أو «الشرك».

وكذلك العبارة الواردة فى الحديث القدسى الذى خاطب النبى «لولاك لما خلقت الأفلاك» التى تبيّن حقيقة وليست مبالغة، غاية الأمر أنّه ذروة هدف الخليقة، وسائر الصالحين جزء من هذا الهدف.

ونستنتج من مجموع ما أوردناه فى هذا الفصل تحت العناوين الخمسة أنّ أولئك الذين قبعوا فى زاوية وظنوا أنّ وجود الإمام فى عصر الغيبة هو وجود شخصى دون ثمرة اجتماعية وحملوا- كما ذهبت الشيعة- على فلسفة هذا الوجود وما عسى أن يكون انتفاع الخلق بزعامته، قد اخطأوا فى حساباتهم وأنّ الأمر ليس كما ظنّوا فآثاره حتّى فى هذه الحالة أعظم من أن تحصى.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۹

سبيل انتصار ذلك المصلح العظيم

هل ينهض الإمام بالسيف

إنّ التفوق فى القوة يعد شرطاً مهماً فى الانتصار على العدو، ولا ـ تقتصر هذه القوة على الجانب العسكرى، بل التفوق من حيث القدرات الروحية والإيمان بالهدف ورصانة الدعائم الاقتصادية والاجتماعية، كلّ هذه من الامور التى تلعب دوراً أساسياً فى تحقيق

الغلبة.

وليس هنالك من سبب يكمن فى فشل المجتمعات واحباطها واستسلامها للذلة والخنوع سوى عدم سعيها باتجاه توفير تلك العناصر الضرورية لتحقيق النصر.

وعلى هذا الأساس ترد بعض الأسئلة بشأن قيام المصلح العالمى الكبير ومنها:

١- هل يعتمد زعيم هذه النهضة العالمية الشاملة من الأسلحة التقليدية للعصور السابقة (الأسلحة الحديدية البسيطة) بغية تحقيق العدل العالمى وتحقيق النصر وهزيمة الجبابرة والطواغيت من قبل جند الحقّ. إن كان

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٢

كذلك فكيف يسعه اقناع الآخرين بهذا الاسلوب القتالى، وأنّى لهذا السلام بالصمود مقابل أسلحة العصر المتطورة والفتاكة وبالتالى هزم العدو وتحقيق النصر؟ أم أنّه سيستعين بسلاح أكثر تطوراً من الأسلحة المتوفرة الآن لدى البلدان المتقدمة؟ ما ماهية هذا السلاح وكيف سيحصل هو وأتباعه عليه؟

٢- بغض النظر عمّا سبق فقد جاء فى الروايات:

إنّه عليه السلام «يقوم بالسيف»؛ الأمر الذى يفيد اعتماده على الأسلحة البسيطة.

وهنا يرد الإشكال السابق: كيف يمكن تعطيل الأسلحة المتطورة والعودة إلى عصر الأسلحة المتواضعة؟

هل ستشهد الدنيا المعاصرة حرباً ذرية- كما يعتقد بعض العلماء- مدمرة بحيث لا يكون هناك من مجال سوى العودة إلى الماضى وآنذاك يظهر ويمارس النهضة؟

هل يمكن قبول هذا الاحتمال؟

٣- أيضاً يرد هذا السؤال: هل تزول كلّ هذه الوسائل الحديثة والمتطورة المعدة لرفاه البشرية وسعادتها بحيث يرجع الإنسان إلى العصور القديمة؟

أيمكن قبول هذا النمط من التخلف والرجعية؟

أم بالعكس لا تبقى فقط، بل تتكامل بسرعة بالنحو الذى يجنبها آثار حياة المكننة السلبية؟ بعبارة اخرى حصول التطور الذى يختزن التكامل والنقاء.

للاجابة عن هذه الأسئلة يمكن الاستعانة ببعض المصادر الروائية إلى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٣

جانب الأدلة العقلية، لارتباطها بهذين المصدرين.

يصرح العقل بأنّ العودة إلى الوراء ليست ممكنة ولا منطقية، وهذا خلاف سنّة الخلق وأصل تكامل الحياة؛ وعليه ليس هناك من دليل على جمود المجتمع وايقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحقّ والعدالة، وأنّ قيام المصلح العالمى الكبير بهدف بسط العدل والحرية فى كافّة أنحاء العالم لا يؤدى بأى شكل من الاشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصناعية وما عليها من تطور.

فالتطور الصناعى الراهن لم يتمكن من حلّ أغلب المعضلات التى تواجه الإنسان فى حياته فحسب، بل كما ذكرنا فى الأبحاث السابقة فإنّه يشكل أحد دعائم استقرار الحكومة العالمية الواحدة وتقريب المناطق العالمية على صعيد الارتباط والعلاقات الاجتماعية، وهى الامور التى يتعذر تحقيقها دون التكامل الصناعى. ولكن لا شك فى أنّ هذه الحركة والنهضة الصناعية والتكامل التقنى ينبغى أن يخضع إلى غربلة لينقى من العوالق السلبية والمضرة ويصب فى صالح الإنسان وتحقيق أهدافه فى العدل والحرية، وهذا ما ستمارسه قطعاً حكومة العدل. هذا بشأن التطور الصناعى والتقنى.

وامّا بشأن السلاح فنقول: لابدّ من الاطاحة بالحكومات الجائرة والمستبدة من أجل استقرار حكومة العدل، وينبغى على الأقل توفير

الاسلحة الأفضل للقضاء على تلك الحكومات، السلاح الذى ربّما يصعب علينا اليوم حتّى تصوره.

فهل سيكون هذا السلاح من قبيل الأشعة المجهولة التى تفوق الأسلحة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۴

المتطورة السائدة الآن وباستطاعتها القضاء عليها جميعاً؟

أم من خلال التأثير النفسى وشل قدراتهم الفكرية بحيث لا يستطيعون المبادرة إلى استخدام الأسلحة الفتاكة؟

أم حصول شيء من قبيل الشعور بالخوف والهلع والرعب الذى يحول دون الاقدام؟

أم هنالك شيء آخر...

لا ندرى. ولا يسعنا الإشارة إلى هذا السلاح من الناحية المادية أو النفسية أو سائر النواحى، وكلّ ما يسعنا قوله أنّه سيكون السلاح الأقوى، كما نعلم أنّه ليس ذلك السلاح الذى يأتى على الأخضر واليابس فيقضى على هذا وذاك ليقيم صرح العدالة على أساس الظلم.

هذا من حيث التحليل العقلى.

وأمّا من حيث المصادر الروائية:

فقد وردت بعض العبارات فى مصادر الروايات تتضمن اجابات واضحة عن الأسئلة المذكورة ومنها:

۱- روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشمس» «۱».

ويفهم من هذه العبارة أنّ قضية الضوء والطاقة ستحل بحيث يستفاد فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۵

الليل والنهار من أعظم ضوء يسعه أن يحل محل ضياء الشمس.

وهل ينبغى أن نصبغ هذا الموضوع بصبغة الاعجاز، فى حين ينبغى أن تدور مشاريع الحياة اليومية- وبصورة مستمرة- حول محور السنن الطبيعية لا الاعجاز؛ فالإعجاز أمر استثنائى عند بعض الموارد الضرورية وفى اطار اثبات حقانية دعوى النبوة أو الإمامة.

على كلّ حال فإنّ الحياة العادية للناس لم تجر على أساس الإعجاز فى عصر أى نبى. وعليه فإن تكامل العلم والصناعة سيبلغ مرحلة تمكن الناس بقيادة ذلك الزعيم من اكتشاف بعض مصادر الطاقة التى تغنيهم عن أشعة الشمس.

فهل سيكون السلاح اللازم لتحقيق العدل والسلام والحرية من أسلحة القرون الماضية، وهل هناك من تناسب بين الأمرين؟

۲- ورد فى رواية اخرى عن أبى بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّه إذا تناهت الامور إلى صاحب هذا الأمر رفع اللّه تبارك وتعالى له كلّ منخفض من الأرض، وخفض له كلّ مرتفع حتّى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فايّكم لو كانت فى راحته شعرة لم يبصرها» «۱».

تنصب اليوم بعض المرسلات على الجبال لتساعد فى نقل الصور إلى مختلف نقاط العالم، كما استفيد من الاقمار الصناعية فى تغطية عدة مناطق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۶

بهذه الصور، حتّى يتمكن كلّ من كان لديه جهاز استقبال من التقاطها.

إلّا أنّ عكس هذا الموضوع لا يبدو عملياً على الأقل فى الوقت الحاضر، أى يمكن نقل الصور من نقطة إلى مختلف نقاط العالم، بينما لا يمكن نقلها من مختلف النقاط إلى نقطة معينة، إلّاأن تكون هناك مرسلة فى كلّ بيت ومنطقة وصحراء وجبل وكلّ بقعة من بقاع

العالم ليمكن الوقوف على كلّ ما فى العالم، وهذا الأمر لا يبدو ممكناً بالوسائل الموجودة اليوم.

أمّا الذى يفهم من الحديث المذكور أنّ عصر المهدى عليه السلام سيشهد وجود نظام دقيق ومجهز يتولى نقل الصور، ولعله يصعب علينا اليوم تصوره، بحيث يصبح العالم بأسره كراحة اليد دون ظهور المرتفعات والمنخفضات التى تحجب رؤية ما على الأرض.

طبعاً لا يمكن انبثاق الحكومة العالمية الواحدة التى تبسط العدل والقسط والأمن والسلام فى كافّة أرجاء العالم دون أن تمتلك مثل هذه الأنظمة الاستخبارية المتطورة.

وتؤكد مرّة اخرى بأنّ هذه الامور ذات الصلة بالحياة اليومية للناس، من المستبعد أن تتم على أساس الاعجاز، بل على ضوء الأسباب الاعتيادية وتطور العلم والصناعة.

كما يتضح أنّ هذه الأنظمة المتطورة لا ـ ينبغى أن تكون فى مجتمع متخلف، بل لابدّ أن يكون هنالك من تناسب بين سائر مرافق الحياة وهذا الأمر من حيث التطور والازدهار، بما فى ذلك السلاح والآلة العسكرية.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۷

۳- عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«ذخر لصاحبكم الصعب! قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق، فصاحبكم يركبه، أما أنّه سيركب السحاب ويرقى فى الأسباب؛ أسباب السموات السبع والأرضين» «۱».

طبعا ليس المراد من السحاب هذا السحاب العادى، لأنّ السحب ليست من الوسائل التى يمكن السفر بواسطتها إلى الفضاء، فالسحب تتحرك فى جو قريب من الأرض ولا تبعد مسافة تذكر عنها ولا يمكنها الارتفاع كثيراً عن الأرض، بل هى إشارة إلى وسيلة غاية فى السرعة بحيث تبدو فى السماء بصورة كتلة مضغوطة من السحب لها صوت كالرعد وقدرة وشدة كالصاعقة والبرق، تشق السماء حين الحركة بقوتها الفائقة وتستطيع أن تبلغ أيّة نقطة فى السماء.

وعليه فهى وسيلة تفوق الحداثة لا يوجد ما يشبهها فى الوسائل الموجودة، ولعلّها أكثر شبها بالصحون الطائره والوسائل الفضائيه ذات السرعة المذهلة التى نسمع عنها اليوم الكثير من القصص ولا ـ نعرف على وجه الدقّة مدى علميتها وواقعيتها، مع ذلك فهى ليست صحون طائرة.

على كلّ حال يمكن أن نفهم من الرواية المذكورة أن ليس هنالك من تخلف صناعى، بل بالعكس هنالك التطور والازدهار والذى يعنى تطور وتكامل سائر المجالات.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۸

۴- الرواية الواردة عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إنّما سمّى المهدى لأنّه يهدى إلى أمر خفى، حتّى أنّه يبعث إلى رجل لا يعلم الناس له ذنباً فيقتله حتّى أنّ أحدهم يتكلّم فى بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار» «۱».

فهذه الرواية تدلّ على أنّ عصره وإن شهد حرية واستقرار الصالحين، إلّا أنّ العصاة الأشرار يشعرون بأنّهم خاضعون لسيطرة دقيقة بحيث يمكن التعرف على أمواجهم الصوتية من خلال بعض الوسائل المتطورة وهم داخل بيوتهم وبالتالى يمكن معرفة الكلام الذى أوردوه عند الضرورة اللازمة لذلك.

ولعلّ هذا الكلام لا ـ يعنى قبل أكثر من مئة سنة سوى الاعجاز. بينما لا نراه اليوم كذلك ونحن نرى كيف تتمّ السيطرة فى أغلب البلدان على حركة السيارات بأجهزة الرادار من الطرق البعيدة ودون حضور الشرطة، أو ما نسمعه من أنّ العلماء تمكنوا من خلال بعض الأمواج على الصفائح فى المتاحف المصرية من أحياء أصوات أولئك الذين صنعوها قبل ألفى سنة، أو نسمع بوجود أجهزة تستطيع ببعض الأمواج الحرارية (الأمواج تحت الأشعة الحمراء) أن تلتقط الصور لتتعرف على السارق أو القاتل الذى ترك المكان تواً

وغادره.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۹

وهكذا تتضح إجابات الأسئلة المذكورة ممّا ذكرناه سابقاً، حيث قضية التخلف الصناعى ليست غير واردة فى عصر المهدى عليه السلام فحسب، بل هنالك تطور وإزدهار خارق للصناعة والتكنولوجيا لا يصب سوى فى ضمان مصالح الإنسان وتحقيق أهدافه فى الحرية والعدل والسلام.

مفهوم السيف:

لم يبق سوى هذا السؤال: ترى ما المراد بكلّ هذه العبارات التى تحدثت عن قيام المهدى عليه السلام بالسيف؟ حتّى فى الأدعية التى تلهمنا دروس الاستعداد لخوض غمار هذا الجهاد فاننا نقول: «شاهراً سيفه» فنسأل اللَّه أن يوفقنا للالتحاق بصفوف المجاهدين وشهر السيف من أجل نصرة الحقّ.

الواقع هو أنّ «السيف» كان ومازال يرمز إلى القوة والقدرة العسكرية على غرار «القلم» الذى يرمز إلى العلم والثقافة.

وممّا لا شك فيه أنّه كانت هنالك بعض الأسلحة التى تختلف عن السيف فى الحروب السابقة من قبيل القوس والحربة والسهم والخنجر، إلّاأنّ الغالب فى الألفاظ هو السيف فيقال: ليس لك عندى سوى السيف إن لم تسلِّم لهذا الأمر، أو ما تعارف سابقاً من أنّ شؤون البلاد تدار بالسيف والقلم، وكلّ ذلك من قبيل الرمز إلى القوة والثقافة والعلم. ولدينا اليوم العديد من الأمثال التى تضرب بهذا الخصوص من قبيل:

سلَّ فلان سيفه، أى أظهر قدرته علانية.

سيحكم السيف بيننا وبينكم، اشارة إلى عدم وجود حلّ سوى السيف

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۰

والقتال.

ولن أغمد سيفى حتّى أحقق هدفى، أى سأواصل المعركة حتّى الرمق الأخير.

إن فلاناً له سيف ذو حدين، يعنى يحارب من جانبين.

وتشير كلّ هذه التعبيرات على سبيل الكناية إلى القوة والمواجهة، كما ورد ذلك فى بعض الروايات الإسلامية مثل:

«الجنّة تحت ظلال السيوف»

«السيوف مقاليد الجنّة».

وكلّها ترمز إلى الجهاد والتضحية واستعمال القوة، ومثل هذه التعبيرات الرمزية بالسيف والقلم كثيرة فى مختلف اللغات. ومن هنا يتضح أنّ المراد من قيام المهدى عليه السلام بالسيف هو استعانته بالقوة؛ حتّى لا يظن بأن نهضة هذا المصلح الربانى تقتصر على الوعظ وإسداء النصح والإرشادات فى الميادين الاجتماعية. بل هو زعيم ينطلق فى نهضته من محورين؛ يتمثل الأوّل فى المنطق وحيث لا يجدى نفعاً سيّما تجاه الجبابرة والطواغيت، فإنّه يلجأ إلى السيف، أى يستعين بالقوة فى مواجهة الظلمة، والواقع ليس هنالك من سبيل لممارسة الإصلاح والقضاء على الفساد سوى ذلك، «الناس لا يقيمهم إلّا السيف».

وبعبارة اخرى أنّ وظيفته لا تقتصر على إزالة الطريق، بل مهمته الأعمق- إضافة لما تقدّم- إجراء القوانين الشرعية وتطبيق الأحكام الدينية وبلوغ السمو والكمال.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۱

ويبدو أنّ نقطة قد اتضحت ممّا ذكر وهى: خلافاً لما يظنه بعض ضيقى الافق من أنّ قيامه يستند دون مقدمة إلى السلاح، وعلى ضوء

تلك الخرافة فإنّه يسفك الدماء حتّى تبلغ ركابه، فإنّه سيبدأ المواجهة بادئ الأمر من خلال الحوار الفكرى وفى كافة الأصعدة، أى على ضوء الاصطلاح الدينى يتمّ الحجّة على الخصوم بحيث يستجيب له كلّ من إمتلك بعض الاستعداد لقبول الحقّ، فلا يبقى سوى من لا تجدى معه الأساليب الاخرى نفعاً غير القوة.

فالذى نستفيده من القرائن القائمة على هذا الموضوع- بغض النظر عن دليله- أنّ اسلوبه وسيرته هى سيرة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؛ فقد مارس الدعوة السرية فى مكّة لثلاث عشرة سنة وقد إلتف حوله أولئك الذين يسمعون منطق الحقّ، بينما هب لمواجهته أولئك الجفاة الذين يشكلون الأكثرية الساذجة، فاضطر للهجرة إلى المدينة وأرسى دعائم الحكومة الإسلامية واستعد لمواجهة الأعداء وشقّ طريقه نحو دعوة عامة الناس.

ورغم الدعايات المغرضة التى تثار ضد الدعوة الإسلامية من أنّها دعوة السيف، إلّاأنّ أفضل سند لدينا اليوم والذى لا يسعهم اخفاءَه أو إزالته هو القرآن الكريم.

ولو كان الإسلام دين العنف والقوة لما غص القرآن بكلّ تلك الأدلة والبراهين لإثبات الحقائق، ولا سيّما فى موضوعَىْ معرفة اللَّه والمعاد اللذين يشكلان أهم المحاور الأساسية للإسلام، ولما طالب أصحاب الفكر والعقل والمنطق بإصدار الأحكام، ولما تحدث بهذه الطريقة عن العلم والمعرفة،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۲

فالنظام الذى يتصف بالعنف لا يعرف من معنى للدليل والبرهان.

والإسلام حتّى حين يلجأ إلى القوّة ليكشف عن موقفه بالأدلّة والبراهين مشيراً إلى عدم امكانية التغاضى عن تلك القوة.

على كلّ حال فهو يسير بسيرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، إضافة إلى رقى المستوى الفكرى للناس فى عصره وتأكد ضرورة اعتماد المنطق، على غرار ضرورة اعتماد القوة تجاه الطغاة.

طبعاً ستكون بعض جوانب هذه الثورة دموية حيث تهدف إلى إراقة تلك الدماء الملوثة، وهل هنالك من سبيل للاصلاحات الجذرية فى المجتمعات الفاسدة سوى ذلك، إلّاأنّ هذا لا يعنى أنّه يسفك الدماء عبثاً، فهو بالضبط كالطبيب الحاذق فى امتصاصه للدماء الملوثة من بدن مريضه!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۳

سيرة الحكومة العالمية

العصور الثلاثة

هنالك ثلاثة عصور بشأن النهضة التاريخية الكبرى للمهدى، هى:

۱- عصر الاستعداد والانتظار وعلامات الظهور.

۲- عصر النهضة ومواجهة الظلم والفساد.

۳- عصر الحقّ والعدل.

تحدثنا بإسهاب عن العصر الأوّل والثانى، ونخوض هنا فى العصر الثالث الذى يمثل نتيجة ومحصله تلك النهضة الشاملة، فلم تسلط الأضواء على هذا الموضوع كما ينبغى رغم أهميته.

على كلّ حال يتوقع انبثاق عالم خالٍ من التميز العنصرى والتفاوت الطبقى وسائر أصناف الفرقة والتشتت ونشوب الحروب وسفك الدماء والاعتداء واللهجة الاستعمارية الغاشمة وانين الشرائح المعدمة والمحرومة.

ويـاله من عـالم رائع يبعث على الراحـة والنشـاط. وبالطبع كما يسـهل نظرياً تصوير مثل هـذا العالم فى الخيال، فإنّه شائكَ ومعقـدٌ من الناحية العملية، ولكن على كلّ حال فلابد للبشرية من سلوك هذا الطريق وإلّا ليس

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۶

هنالك سوى الفساد والانحراف.

وقـد تضـمنت الروايات بعض الإشارات إلى الخطوط العامـة لـذلك المجتمع، وأنّها حقّاً لعبارات حيـة ورائعة بالرغم من كونها وردت قبل ثلاثة عشر قرناً.

ونشير هنا إلى بعضها:

تطور العلوم فى عصر المهدى عليه السلام:

ليس هنالك من نهضـة دون طفرة فكريـة وثقافيـة أصـيلة تنشـد الرقى والكمال؛ وعليه فالخطوة الاولى لتحقيق هـذا الهـدف تكمن فى انطلاقة النهضة الثقافية التى تسوق الأفكار إلى الحركة باتجاهين:

الأوّل: فى مجال العلوم التى تحتاجها المجتمعات الحرة والصحية (هذا من حيث النظره المادية).

والثانى: على صعيد الوقوف على مبادئ الحياة الإنسانية المفعمة بالإيمان (النظرة المعنوية).

جاء فى حديث للإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«العلم سبعة وعشـرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسـة والعشرين حرفاً، فبثها فى الناس وضمّ إليها الحرفين، حتّى يبثها سبعة وعشرين حرفاً» «۱».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۷

فالحديث يشير إلى الطفرة الثقافية والعلمية التى يشهدها عصر النهضة للإمام المهدى عليه السلام والذى يعادل ۱۲ ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التى كانت سائدة فى عصور الأنبياء جميعاً، حيث تفتح بوجه البشرية كافّة أبواب العلوم البناءة والنافعة، فيجتاز الإنسان بمدة قصيرة اثنى عشر ضعفاً ما بلغته البشرية خلال آلاف السنين؛ وهل هنالك طفرة أعمق وأرفع من هذه.

كما ورد حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام يكمل سابقه حيث قال:

«إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم» «۱».

وهكـذا تنطلق العقول باتجاه الكمال فى ظلّ إرشادات وتوجيهات المهدى عليه السـلام وعنايته ولطفه، وتنضج الرؤى والأفكار، وتزول كافة الرؤى الضيقة والأفكار الضحلة التى تعد مصدر جميع التضاد والتزاحم والنزاعات الاجتماعية العنيفة.

فالأفراد يتمتعون آنـذاك بسـعة الافق والأفكار الحرة والصـدور الرحبة والهمة العالية والنظرة الثاقبة فيتمكنون من حلّ أغلب المصاعب الاجتماعية بروحهم السامية ويبنون العالم المليئ بالأمن والسلام.

والحقّ أنّ كلّ اصلاح اجتماعى إنّما يعتمد على هذا الانقلاب الفكرى والروحى.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۸

التطور الصناعى المذهل فى عصر المهدى عليه السلام

تشـير الأحاديث التى أوردناها بتسـلسل ۱ و ۲ و ۳ و ۴ فى مبحث «سبيل الانتصار» أنّ هـذه الطفرة العلميـة والصـناعية سـتكون شاملة واسعة.

وسـتكون وسائل جمع المعلومات غاية فى التطور بحيث تصبح الدنيا كراحة اليد فى وضوحها فتكون هنالك سيطرة تامة على أوضاع

العالم دون ضياع الوقت فى معالجة المشاكل؛ بحيث يقضى على بؤر الفساد (المتعمدة وغير المتعمدة) فى مهدها «۱».

كما تحل قضية الضوء والطاقة بحيث لم تعد هناك من حاجة إلى الطاقة الشمسية التى تنبثق منها أنواع الطاقة سوى الطاقة الذرية.

ولعلّ ذلك سيكون فى ظلّ نظام ذرى متكامل للطاقة خال من الاشعاعات الحالية الضارة التى تحول دون الاستفادة من هذه الطاقة «۲». كما سيشهد تطور وسائط النقل التى تأبى المقارنة بالوسائل السائدة اليوم، والتى لا تقتصر على الحركة بأقصر مدّة على سطح الكرة الأرضية، بل تقوم برحلاتها الفضائية فى فترة قياسية «۳».

وهذا ما يمّهد السبيل أمام تلك الحكومة لتحقيق مشاريعها الإصلاحية.

وورد فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ قائمنا إذا قام مدّ اللّه بشيعتنا فى أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۹

فى مكانه» «۱».

أى يتمتع كافّة الناس بوسائل نقل «الصوت» و «الصورة» بشكل بسيط وسهل، بحيث لم تعد هنالك من حاجة إلى وجود دائرة باسم البريد فى حكومته ودولته، كما تحل أغلب القضايا دون الحاجة إلى الأوراق- كما هى سائدة اليوم والتى تتطلب عدداً من الأفراد الذين يمارسون مهامهم ويستغرقون مدّة طويلة بغية كشف الحقّ والواقع- فهنالك أجهزة الشهود والحضور التى تدير شؤون المجتمع، ويا لها من أجهزة تشيع أجواء الهدوء والاستقرار والاستفادة من عامل الوقت.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ المؤمن فى زمان القائم وهو بالمشرق سيرى أخاه الذى فى المغرب؛ وكذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى بالمشرق» «۲».

فالارتباط قائم بين الجميع ولا يقتصر على مستوى الحكومة، ومن شأن الارتباطات الظاهرية والبدنية ترسيخ الوشائج المعنوية بحيث يصبح العالم بمثابة البيت وناسه اسرة واحدة.

وهكذا سيكون العلم والمعرفة والصناعة وسيلة لتحسين أوضاع العالم وتعميق اسس الاخوة، لا التفرقة والهدم كما هى عليه اليوم.

التطور الاقتصادى والعدل الاجتماعى:

تتمتع الأرض التى نعيش عليها بإمكانات ضخمة تسعنا وسائر الأجيال القادمة وما لا يحصى من السكان البشرى، إلّاأنّ عدم الاطلاع الكافى على المصادر المتوفرة بالفعل ومصادر الطاقة بالقوة، من جانب، وعدم وجود النظام الصحيح لتوزيع الثروات، من جانب آخر، أدّى إلى بروز مختلف الأزمات والحاجات؛ إلى درجة أنّ عصرنا يشهد يومياً موت العديد من المحرومين جوعاً.

فالنظام الذى يحكم الاقتصاد العالمى الراهن نظام استعمارى وإلى جانبه نظام حربى ظالم يستهدف القضاء على الطاقات الفكرية والبشرية التى ينبغى استغلالها فى البحث عن المصادر والمنابع الضرورية لتحسين حياة الإنسان والنهوض بمستواه المعاشى.

والواقع ما أن ينهار هذا النظام حتّى تتكاتف الجهود لاستخراج المصادر الضرورية والتى تعتمد الوسائل العلمية المتطورة لتحقق تلك الانجازات العملاقة التى تسهم فى انعاش الاقتصاد العالمى.

ولذلك نرى بعض الإشارات إلى هذه السعة الاقتصادية المتعلقة بحكومة المصلح العظيم فى بعض الروايات الإسلامية ومنها:

«إنّه يبلغ سلطانه المشرق والمغرب؛ وتظهر له الكنوز؛ ولا يبقى فى الأرض خراب إلّايعمره» «۱».

والحقّ، لابدّ أن يكون الأمر كذلك، ذلك لأن خراب الأرض ليس بسبب قلة الطاقة البشرية ولا الازمة المالية، بل وليد خراب الإنسان وهدر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۱

الطاقات الإنسانية وعدم الشعور بالمسؤولية، فإن غيبت هذه الامور فى ظلّ النظام الاجتماعى الصحيح، فإنّ العمارة ستكون قطعية، سيّما أنها تستند إلى طاقات خارقة جديدة.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إذا قام القائم حكم بالعدل

وارتفع فى أيّامه الجور

وأمنت به السبل

واخرجت الأرض بركاتها

ورد كلّ حقّ إلى أهله...

وحكم بين الناس بحكم داود عليه السلام وحكم محمّد صلى الله عليه و آله

فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها

وتبدى بركاتها

ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين » «... ۱».

ويفيد التركيز على ظهور بركات الأرض واستخراج الكنوز ازدهار القطاع الزراعى حتّى يبلغ ذروته، إلى جانب اكتشاف المصادر الجوفية والاستفادة منها.

وسيرتفع الدخل السنوى للأفراد بحيث لا يبقى فى المجتمع فقير، والكلّ يعيش حالة الاكتفاء وعدم الحاجة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۲

وممّا لا شك فيه أنّ اجراء مبادئ العدل والقسط واستقطاب الطاقات البشرية واستغلالها بالشكل الصحيح يفرز تلك النتائج الايجابية؛ وذلك لأن الجوع والفقر والفاقة ليست من افرازات الأزمة والقلّة، بل هى نتيجة مباشرة وغير مباشرة للمظالم والتمييز وانعدام العدالة وهدر الطاقات وتضييع الثروات.

وورد فى حديث آخر فى مصادر العامة عن أبى سعيد الخدرى. قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«أُبشركم بالمهدى يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه سكان السماء والأرض، يقسم الماء صحاحاً؛ فقال رجل: ما معنى صحاحاً، قال بالسوية بين الناس؛ ويملأ قلوب امّة محمّد صلى الله عليه و آله غنى؛ ويسعهم عدله، حتّى يأمر منادياً ينادى ويقول من له بالمال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلّارجل واحد، ثمّ يأمر له بالمال فيأخذه ثمّ يندم ويرده» «۱».

ولابدّ من الالتفات إلى بعض الامور فى تفسير هذا الحديث.

۱- المراد من رضى سكان السماء عن حكومته ربّما يكون إشارة إلى ملائكة السماء وملائكة اللَّه المقربين، أو إشارة إلى سعة حكومته إلى سائر الكرات المأهولة وافتتاح طرق السموات والرحلات الفضائية إلى نقاط العالم النائية.

۲- المراد من التقسيم العادل للثروة بالسوية- بالاستناد إلى علمنا بأنّ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۳

الإمام المهدى عليه السلام حافظ ومروِّج لأحكام الإسلام التى تقر بضرورة العطاء الأكثر بالنسبة للجهود الأكثر والكفاءات الأعمق- إمّا إشارة إلى أموال بيت المال والأموال العامّة بصورة كلية التى يتساوى فيها الجميع فى الحكومة الإسلامية- كما ورد ذلك فى سيرة النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام على العكس ممّا ورد فى سيرة أغلب الخلفاء كعثمان الذى اعتمد صنوف التمييز- أو إشارة إلى التسوية فى العطاء فى ظل الظروف المتساوية، بالعكس ممّا عليه الوضع الآن حيث يتقاضى عامل مثلًا فى منطقة من العالم عشرة دولارات مقابل الساعة من العمل، بينما لا يتقاضى عامل آخر فى منطقة اخرى وفى ظلّ ذات الظروف دولاراً واحداً إزاء عمل

عشر ساعات، وهذا قمة الظلم والاجحاف.

۳- النقطة الاخرى التى نستفيدها من الحديث المذكور هى عدم وجود حتّى فرد واحد معدم ومحتاج فى ذلك العصر، بدليل أنّ ذلك الفرد الذى يقوم لم يكن غنياً على صعيد الروح ويشعر بالحرص والطمع، وإلّا لم يكن محتاجاً من الناحية المادية، والمهم أنّ ذلك الزعيم يملأ القلوب بالغنى المعنوى والنفسى ويستأصل منها جذور الحرص المقيتة؛ ذلك الحرص الذى يعد المصدر الرئيسى لتلك الجهود الجبّارة التى يبذلها اللاهثون وراء الثروة والذين لا يكفّون عن طلب المزيد، وكأنّهم مصابون بمرض الاستسقاء الذى لا يجعلهم يرتوون من الماء مهما نهلوا منه. ولعلّ العامل الآخر الذى يقف وراء جمع الثروة هو عدم الوثوق بالمستقبل، وهو الأمر الذى يزول بالمرة فى ظلّ عدالته الاجتماعية، فلا يرى شخص فى نفسه من حاجة لجمع الثروة، ذلك لأن يومه وغده مضمون.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۴

كما ورد فى حديث آخر عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«.. حتّى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد أن يقول: اللَّه! ثمّ يبعث اللَّه عزّوجلّ رجلًا منّى ومن عترتى فيملأ الأرض عدلًا كما ملأها من كان قبله جوراً وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها ويحثو المال حثواً ولا يعدّه عداً» «۱».

«أفلاذ»: جمع (فلذ) بمعنى القطعة. ويقال للأشياء النفيسة، أفلاذ الكبد، وهى هنا إشارة إلى المصادر الثمينة والقيمة تحت الأرض.

كما يحتمل أن تكون إشارة إلى أنّ الإنسان سيظفر بالنواة المذابة داخل جوف الأرض وهى عبارة عن قطعة نار وحرارة يمكن أن يستفيد منها كمصدر مهم للطاقة، كما يمكن أن يستخرج منها مصادر حيوية اخرى من فلزاتها ومعادنها.

وهكذا السُمو الأخلاقى وضمان الحاجات المستقبلية واتساع مصادر الدخل، والخلاصة، إنّ جمع الغنى الروحى والمادى سيؤدى إلى عدم الحاجة إلى عدّ الأموال، فلكلّ محتاج أن يقصد بيت المال ويسحب ما يشاء دون عناء.

كلّ هذا من جهة ومن جهة اخرى:

فإنّ هنالك بعض الأخبار التى تشير إلى تمتع عصره بحركة عمرانية من قبيل بناء المدن وشق الطرق وبناء المساجد المتواضعة البعيدة عن التكلّف الظاهرى، إلى جانب هَدْم المبانى التى تسبب بعض الحرج للناس. ومن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۵

ذلك:

۱- قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ويبنى فى ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب ويتصل ببيوت الكوفة بنهر كربلاء وبالحيرة» «۱».

ونعلم أنّ المسافة بين هاتين المدينتين تبلغ أكثر من ۷۰ كيلومتراً.

۲- قال الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا قام القائم...

تكون المساجد كلها جماء لاشرف لها كما كانعلى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله

ويوسع الطريق الأعظم فيصير ستين ذراعاً

ويهدم كلّ مسجد على الطريق

ويسد كلّ كوة إلى الطريق

وكلّ جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق» «۲».

۳- وورد فى حديث طويل عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

...« وليصيّرنَ الكوفة أربعة وخمسين ميلًا وليجاورن قصورها كربلاء، وليصيرن اللَّه كربلاء معقلًا ومقاماً» «۳».

۴- وكثيرة هى الروايات الواردة بشأن تقدم الزراعة ومضاعفة المنتجات الزراعية ووفرة المياه والعمران فى كافة المجالات «۴».

التقدم القضائى:

إنّ الوقوف بوجه الظلم والفساد يتطلب من جانب، ترسيخ دعائم الإيمان والأخلاق، ومن جانب آخر، وجود نظام قضائى مقتدر يتحلى باليقظة التامة والاحاطة الشاملة.

قطعاً يزود التطور الصناعى الإنسان بوسائل وأجهزة يمكن بواسطتها- عند الضرورة- السيطرة على كافّة الأفراد ورصد المشبوهين فهم الذين تُشمُّ منهم رائحة الفساد والانحراف، والتقاط الصور لما يخلفه المجرمون من آثار فى مواقع ارتكاب الجريمة، وتسجيل أصواتهم والتعرف عليهم من خلالها.

حقّاً أن تمتع الحكومة الصالحة بهذه الإمكانات يمنحها الحصانة ضد الفساد والظلم وإحقاق الحقوق وإيصالها إلى أصحابها.

لا شك فى أنّ البرامج الأخلاقية إلى جانب الوسائل الغاية فى التطور ستأخذ مجراها فى عصر ذلك المصلح العظيم بحيث تسير أغلبية المجتمع بالاتجاه الإنسانى الصحيح المفعم بالعدل والسلام.

ولكن طالما خلق الإنسان حراً، وليس هنالك ما يجبره على أفعاله فسوف يكون هنالك، شئنا أم أبينا، بعض الأفراد- وإن كانوا أقلية- وسط ذلك المجتمع الصالح الذين يسيئون الحرية ويستغلونها بغية تحقيق اطماعهم وأهدافهم وعليه، فلابدّ من وجود جهاز قضائى فعال ومقتدر ينتصف للمظلوم من الظالم.

ويتضح من خلال تأمل الجرائم والجنايات والمفاسد الاجتماعية وطرق معالجتها، أنّه:

أوّلًا: أنّ بسط العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروات سيستأصل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۷

جذور أغلب المفاسد الاجتماعية التى تنبثق من التنازع على الأموال والثروات واستغلال الطبقات الضعيفة والتزييف والخداع وأنواع الغش والكذب والخيانة وارتكاب الجريمة من أجل الحصول على الدخل الأكثر؛ ولعلّ تنامى حدة الفساد والظلم فى كلّ مجتمع إنما تتوقف على تلك الامور ومدى انتشارها.

ثانياً: للتعليم والتربية الصحيحة عظيم الأثر فى مكافحة الفساد والانحراف الاجتماعى والأخلاقى؛ وأحد علل اتساع رقعة الفساد فى المجتمعات المعاصرة إنّما يتمثل فى عدم الاستفادة الصحيحة من التعليم؛ بل عادة ما يوظف فى خدمة المشاريع الاستعمارية الفاسدة، والانهماك ليل نهار فى عرض الأفلام المبتذلة والقصص المضلة وإشاعة الأخبار الكاذبة التى تضمن مصالح الاستعمار العالمى.

طبعاً لبعض هذه الامور جذور اقتصادية كما تهدف إلى تخدير العقول واستنزاف القوى الفاعلة والواعية فى كلّ مجتمع لضمان مصالح الاستعمار الاقتصادى.

وبالطبع إن تغيّرت هذه الأوضاع فإنّ جانباً كبيراً من الفساد الاجتماعى سيزول خلال مدة قصيرة، ولا يتمّ ذلك إلّامن قبل حكومة عالمية صالحة تنشد تحقيق مصالح البشرية جمعاء- لا مصالح المستغلين- وبناء عالم معمور وحر مملوء بالعدل والسلام.

ثالثاً: أنّ وجود جهاز قضائى يقظ وفاعل ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته ولا يستطيع انتهاك عدالته، هو العنصر الآخر الذى يحد من انتشار الفساد وانتهاك حرمة القانون.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۸

فلو اتصلت هذه الأبعاد الثلاثة مع بعضها، لكانت أبعادها التأثيرية كثيرة للغاية.

يستفاد من الأحاديث المرتبطة بعصر حكومة المهدى عليه السلام أنّه يستعين بهذه العناصر الوقائيه الثلاثة فى نهضته، حتّى وردت بشأن دولته تلك العبارة والتى أصبحت مثلًا يضربه الناس، فى أنّ عصره سيشهد عيش الذئب إلى جانب الشاة.

قطعاً ليس هنالك من تغيير فى ماهية الذئاب ولا داعٍ أصلًا لذلك، كما لا تفارق الشاة حالتها الطبيعية؛ وهذا إشارة إلى بسط العدل فى العالم وتغيير اسلوب الأفراد الذئاب فى صفاتهم والذين يتواطأون مع الحكومات الجبارة فى إمتصاص دماء الطبقات الضعيفة فى المجتمع البشرى.

فإمّا أن تتغير روحيات هؤلاء بصورة تامة فى ظلّ النظام الجديد، ذلك لأنّ الذئبية ليست من طبيعة الإنسان، ومن الصفات العرضية التى يمكن تغييرها، أو على الأقل كبح جماحها، والانتفاع بنعم اللّه بصورة عادله بدلًا من هضم منافع الآخرين.

ومن الامور الجديرة بالتأمل فى هذا المجال ما ورد فى حديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن التوزيع الصحيح للأموال حيث يعيش الناس حالة من الغنى الروحى والمادى حتّى تبقى الأموال دون من يطلبها، أى أنّهم يبلغون مرحلة تربوية تجعلهم يرون المال الزائد على حاجتهم وبالًا عليهم.

ليس هنالك ما يقلقهم بشأن ضمان معيشتهم لحاضرهم ومستقبلهم

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۹

بحيث يقارفون الخطيئة بغية الحصول عليها.

كما ورد فى حديث آخر أنّ المستوى الفكرى للناس فى عصره يبلغ مرحلة يصعب مقارنتها بالعصر الراهن، وبالطبع سوف تغيب كافّة النزاعات والخلافات التى يفرزها قصر النظر وضيق الافق وضحالة المستوى الفكرى واستغراق الجهود فى الأموال والثروات.

وعلى ضوء ما أوردناه سابقاً بشأن المراقبة الدقيقة فى حكومته حسبما ورد فى الروايات فإنّ المجرمين لا يشعرون بالأمن حتّى فى بيوتهم، ربّما لوجود بعض الأجهزة المتطورة التى تحصى حتّى أمواجهم الصوتية، وهذا بحد ذاته إشارة إلى سعة ابعاد التصدى للفساد فى عصر الإمام.

وعبارة (حكمه كحكم داود عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه و آله) كأنّها تشير إلى نقطة لطيفة فى أنّه يستعين بالضوابط القضائية الظاهرية من قبيل الاقرار والشهادة وما شابه ذلك إلى جانب الطرق النفسية والعلمية فى التعرف على المجرمين، على ضوء بعض النماذج فى عصر داود عليه السلام.

بالاضافة إلى أنّ وسائل كشف الجرم تحرز تطوراً باهراً على غرار تطور العلوم والتقنيات بحيث يصعب على المجرم أن يفلت من العدالة.

قرأت فى بعض الصحف بشأن عجائب دماغ الإنسان، أنّ هذا الدماغ يبعث بأمواج تتناسب مع مكنوناته الباطنية بحيث يمكن تمييز صدقه من كذبه على ضوء تصريحاته! قطعاً أنّ هذه الوسائل تتكامل وستخترع وسائل متطورة اخرى، وبالاستعانة بالأساليب النفسية المتطورة يمكن السيطرة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۰

على المجرمين، وإن قلّ تعداد المجرمين فى مثل هذا المجتمع (مع ذلك فالقضية تبدو مهمة).

واكرر مراراً: من الخطأ الاعتقاد بأنّ كلّ هذه الامور تعالج فى عصره من خلال المعجزة، ذلك لأنّ المعجزة استثناء وحين الضرورة سيّما فى اثبات حقانية دعوى النبى صلى الله عليه و آله أو الإمام عليه السلام. ولا ترد لتنظيم شؤون الحياة اليومية والطبيعية، والدليل على ذلك لم يعتمدها أى نبى لهذه الاغراض.

وعليه فإنّ مسيرة حكومته العالمية من ذلك النموذج الذى أشرنا إليه، لا نموذج الاعجاز.

على كلّ حال فإنّ الأمن فى ظلّ حكومته العالمية على درجة من السعة والشمولية بحيث تستطيع المرأة- كما ورد فى الرواية- أن تسير لوحدها من شرق العالم إلى غربه دون أن يتعرض لها أحد!

وأخيراً إن أضفنا مسألة تواضع عيشة المهدى عليه السلام- كما جاء فى بعض الروايات- تتضح الامور السابقة بجلاء، فسيرته قدوة

واسوة لاتباعه فضلًا عن عامة الناس. وبالاستناد إلى هذا الموضوع فى أنّ القسم الأعظم من الجرائم والجنايات والمفاسد الاجتماعية التى تفرزها الحياة الموغلة فى الرفاه والمصارف العبثية الطائشة، فإنّه يتضح الدليل الآخر على إزالة المفاسد فى ظلّ حكومته العالمية.

فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۱

«وما لباس القائم عليه السلام إلّاالغليظ وما طعامه إلّاالجشب» «۱».

كما ورد نفس هذا المضمون عن الإمام الصادق عليه السلام «۲».

الحكومة المديدة:

رغم ما ورد فى بعض الروايات أنّ مدة حكومته تمتد من خمس أو سبع سنوات إلى ۳۰۹ سنة (مدة مكث أصحاب الكهف)- والتى تشير فى الواقع إلى مراحل وعصور تلك الحكومة (حيث يستغرق تبلورها وتشكيلها مدة خمس أو سبع سنوات وعصر تكاملها ۴۰ سنة وعصرها الأخير أكثر من ثلاثمئة سنة! لابدّ من التمعن- ولكن بغض النظر عن الروايات الإسلامية فمن المفروغ منه أنّ كلّ هذه المقدمات ليست من أجل عصر قصير المدة، بل قطعاً من أجل مدة طويله تتناسب وجميع هذا التحمل والسعى والجهد!

بناء على جميع الأصعدة الفكرية والثقافية:

إنّ الأديان السماوية فى الواقع كالماء الذى ينزل من السماء، فقطرات مياه المطر الشفافة- إن لم يكن الجو ملوثاً- نقية ولطيفة وحيوية وخالية من أى تلوث، فهى تحمل بشائر الحياة أينما حلّت لتروى العطاشى وتمنحهم الروعة والجمال.

أمّا إن سقطت على أرض ملوثة فإنّها تفقد صفاءَها ونقاءَها بالتدريج، بل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۲

تبدو أحياناً كريهة عفنة يهرب من رائحتها كلّ من يراها. والأديان السماوية تبدو بادئ الأمر بصفاء ونقاء تلك القطرات واشراقة الشمس وجمال الربيع، وأثر اتصالها بالأفكار المنحطة للجهال والأيدى الأثيمة للمغرضين والامتزاج بالعادات والتقاليد والاذواق والأمزجة الشخصية، تنحرف أحياناً حتّى تفقد بريقها وجاذبيتها بالمرة.

ولم يسلم من ذلك، الدين الإسلامى، هذا الدين الحى المفعم بالحيوية والنشاط والذى نهض بتلك الامّة المتخلفة ليجعلها تتربع على ذروة المدنية، رغم سلامة القرآن ووجود المخلصين من العلماء الذين يذبون عن حريم الدين ويضحون من أجل حفظ أصالة تعاليمه ومفاهيمه، ولكن لابدّ من الاذعان بأنّ الكثير من مفاهيمه قد مسخت لدى الكثير من المسلمين، بحيث يمكن القول إنّ الإسلام الأصيل على عهد النبى صلى الله عليه و آله بدا غريباً فى أكثر الأوساط.

وقد بلغت بعض المفاهيم من قبيل الزهد والتقوى والصبر والشهادة والانتظار والشفاعة والعبادة درجة من التحريف بحيث عادت غريبة عن هذا الدين الحقّ.

كما آلت أغلب الأحكام الإسلامية بالحيل الشرعية وغير الشرعية إلى الاضمحلال كحكم الربا والفائز والذى لم يبق سوى اسمه.

كما اعترى النسيان البعض الآخر- كالهجرة والجهاد والشهادة- أو على الأقل اقتصرت على صيغتها التاريخية والمختصة بعهد معين فى صدر الإسلام.

واختلط التوحيد بالشرك وعاشت مدرسة أهل البيت عليهم السلام التى تمثل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۳

الإسلام الأصيل على ضوء: «إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى» «۱»

الغربة بين أغلب الأوساط الإسلامية وقد أبتعد عنها الناس ابتعد أن قذفت بأشنع التهم.

وسيقوم المصلح على غرار البستانى الماهر الذى يستأصل العلف من النبتة الأصيلة رغم تعلقه بها وصعوبة فصله عنها، باستئصال كلّ ما علق بهذا الدين، وسيقطع كلّ غصن أعوج اتصل بشجرة الإسلام.

وسيزيل تلك التفاسير المنحرفة للدين ويقطع الأيدى الأثيمة التى تطاولت على حرمة مفاهيمه القيمة.

وخلاصة القول فإنّه سيعيد الإسلام إلى سابق عزّه على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام.

إنّ إحدى مهام المهدى عليه السلام تطهير الإسلام ممّا علق به من الغبار، وبعبارة اخرى إعادة بناء صرحه العملاق.

فقد كان المسجد آنذاك مركزاً لكافة الأنشطة السياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، وأصبح اليوم بؤرة للعجزة والعاطلين ووسيلة لقضاء الوقت، وربّما عادت طبيعية، وسيعيده إلى سابق عهده، وسينفخ روح الحياة فى جسد الجهاد، ويطهر التوحيد من كافة أنواع الشرك، ويفسر مفاهيم الدين بما يقضى على كلّ انحراف وتشويه، وسيطرح الآراء

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۴

الشخصية المفروضة على الدين، ويبعده عن صدأ العادات والتقاليد، وسينهض بالإسلام ويخرجه من حالة التقوقع الوطنى والقومى ويظهره بشكله العالمى الأصيل، وسيقطع تلك الأيدى الأثيمة التى دست الحيل الشرعية فى الدين، ويعرض أحكامه وقوانينه كما ينبغى.

ويبدو أنّ سلسلة هذه التغييرات على قدر من السعة والشمولية بحيث عبرت عنها بعض الروايات الإسلامية بالدين الجديد.

روى صاحب كتاب اثبات الهداة حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إذا خرج القائم يقوم بأمر جديد، وكتاب جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد» «۱».

ومن الواضح أنّ هذا الأمر الجديد والكتاب الجديد والقضاء الجديد لا يعنى أنّه يأتى بدين جديد، بل يخرج الإسلام من خضم ما علق به من أساطير وخرافات وتحريفات وتفاسير خاطئة فيبدو وكأنّه دين جديد وبناء حديث.

كما أنّ الكتاب الجديد لا- يعنى نزول كتاب جديد عليه من السماء، ذلك لأن الإمام قائم وحافظ للدين، لا أنّه نبى ويأتى بكتاب جديد، بل يعيد القرآن الكريم إلى سابق عزّه فيبدو وكأنّه كتاب جديد بعد أن يطرح عنه التحريفات المعنوية والتفاسير المشبوهة.

والشاهد على ذلك وإضافة إلى صراحة القرآن فى مسألة ختم النبوة فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۵

الآية ۴۰ من سورة الأحزاب والروايات التى اثبتت صراحة خاتمية النبى صلى الله عليه و آله، بعض الأحاديث التى صرحت بأن سيرته سيرة جده رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والكتاب والسنّة.

سأل عبداللَّه بن عطاء الإمام الصادق عليه السلام عن سيرة المهدى عليه السلام فقال عليه السلام:

«يصنع ما صنع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يهدم ما كان قبله كما هدم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً».

وورد فى كتاب اثبات الهداة أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«القائم من ولدى؛ اسمه اسمى وكنيته كنيتى، وشمائله شمائلى، وسنته سنتى، يقيم الناس على شريعتى وطاعتى، ويدعوهم إلى كتاب ربّى» «۱».

وورد فى كتاب «منتخب الاثر» عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«وأنّ الثانى عشر من ولدى يغيب حتّى لا- يرى، ويأتى على امّتى بزمن لا- يبقى من الإسلام إلّااسمه، ولا يبقى من القرآن إلّارسمه فحينئذٍ يأذن اللَّه له تبارك وتعالى بالخروج فيظهر الإسلام به ويجدده» «۲».

وهذه الأخبار صريحة بما يغنينا عن أى توضيح.

وحدة الدين:

لا شك أنّ الخلافات المذهبية لا تنسجم والنظام التوحيدى فى كافّة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۶

المجالات؛ لأن هذه الخلافات تكفى للقضاء على أية وحدة.

وبالعكس فإنّ أحد العوامل المهمّة للوحدة هو وحدة الدين والمذهب التى يسعها أن تفوق كلّ خلاف وفرقة واستيعاب كافة الاعراق واللغات والقوميات والثقافات المتعددة لتخلق منها مجتمعاً يعيش فيه الجميع باخوة ومحبة «إنّما المُؤمِنُونَ أخوَةٌ».

ولذلك فإنّ أحد أهداف هذا المصلح العظيم توحيد الصفوف فى ظلّ توحيد المذهب.

ولكن لا ينبغى الشك فى أنّ هذا التوحيد لا يمكن أن يستند إلى منطق الجبر. فالمذهب يتعامل مع قلب الإنسان وروحه، ونعلم جميعاً بأنّ القلب والروح خارجة عن دائرة الجبر والاكراه.

أضف إلى ذلك إنّ سنّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله- كما يشهد لها القرآن- لم تكن قائمة على أساس الجبر والاكراه «لاإِكْرَاهَ فِى الدِّينِ».

ومن هنا استوعب الإسلام أهل الكتاب كأقلية ووفرّ لهم الدعم والاسناد ما لم يخرجوا على الدولة الإسلامية، وعلى ضوء تمتع تلك الحكومة العالمية على عهد ذلك المصلح العظيم بكافّة الوسائل المتطورة وتطهير الإسلام ممّا علق به من الشوائب والأدران إلى جانب جاذبيته القوية فإنّه يمكن التكهن بأنّ الأغلبية الساحقة ستتعاطف مع الإسلام وتجنح إليه فتصبح وحدة الأديان عملية من خلال الإسلام.

وقد وقفنا على هذه الحقيقة على ضوء الأدلّة العقلية، والروايات الإسلامية هى الاخرى تثبت ذلك.

روى المفضل فى حديث طويل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۷

«.. فواللّه يا مفضل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف ويكون الدين كله واحداً، كما قال جلّ ذكره: إنّ الدِّين عند اللّهالإسلام» «۱».

ورد فى تفسير بعض الآيات القرآنية التى أشارت إلى قيام المهدى عليه السلام.

وهكذا يرد الإسلام جميع القلوب والبيوت وزوايا الحياة بتوحيده الناصع.

مع ذلك لا يمكن القول إنّه سوف لن يكون هناك من وجود بصورة مطلقة لتلك الأقليات من اتباع الديانات الاخرى فى تلك الدولة، ذلك لأنّ الإنسان حر الإرادة وليس هنالك من اكراه فى ذلك النظام، فمن الممكن أن يدفع الخطأ والتعصب بعض الأفراد لمواصلة عقائدهم السابقة وإن كان الإسلام هو الغالب وهذه مسأله طبيعية.

لكن على كلّ حال إن كانت هناك مثل هذه الأقلية فهى أقلية وادعة، وبالتزامها بالمقررات الواردة فى أهل الذمة فإنها تحظى بحماية الدولة الإسلامية.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۹

الأدعياء المزيفون

ألم يظهر المهدى

يطالعنا التاريخ منذ القرن الأوّل بظهور بعض الأفراد الذين ادعوا وانتحلوا عنوان المهدى، أم نسبهم الآخرون إلى ذلك، رغم أنّ هؤلاء الأفراد لم يفلحوا فى تحقيق مدعاهم من قبيل بسط العدل والقسط واصلاح العالم، بل لم يتمكنوا من ممارسة الاصلاح حتّى على مستوى المناطق الصغيرة التى عاشوا فيها.

ولعلّ أوّل فرد جعلوا له ذلك الاسم- رغم عدم رضاه- محمّد بن الحنفية، حيث كانت تعتقد الكيسانية:

أنّه المهدى الموعود وأنّه لم يمت، بل هو فى جبل رضوى «۱» يحفظه أسدان.

والحال نعلم أنّ محمّد بن الحنفية توفى عام ۸۰ أو ۸۱ ه ودفن فى البقيع (المقبرة المعروفة فى المدينة)، وبالطبع فقد خمدت اليوم أصوات تلك الفرقة ولم تعد تسمع.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۲

ثمّ أقدم بعض خلفاء بنى العباس بغية الخلافة واستغلال عقائد بعض السذج من الناس، وعلى ضوء الاستعداد الذهنى للمسلمين وانتظار المهدى الموعود، بانتحال هذا الاسم وزعموا أنّهم المهدى.

إلّا أنّ مضى الزمان أثبت أنّهم ليس فقط لم يكونوا المهدى، بل كانوا من الظلمة الذين ينبغى القضاء عليهم بسيف المهدى.

وقد استمر هذا الأمر فكان البعض هنا وهناك يزعم أنّه المهدى ويجتمع حوله عدد من الأفراد، لكن سرعان ما ينكشف أمره.

طبعاً هذا الادّعاء يبدو كبيراً لا يصمد أمامه صاحبه وذلك لأنّ أهداف هذا المصلح تتمثل فى مل الأرض قسطاً وعدلًا، وهذا يكفى لإفشال مخططات كلّ من يدعى أنّه المهدى.

وقد تفاوتت دوافع الأفراد فى هذا الادّعاء، فالبعض كان مصاباً ببعض الأمراض النفسية أو السذاجة على الأقل، بينما كان البعض الآخر يسعى وراء المنصب فادّعى ذلك لإشباع رغبته دون التأمل فى عواقب الأمر.

كما كان البعض أُلعوبة بيد أعداء الإسلام الذين يستغلونهم لحرف أفكارهم من القضايا الحيوية التى يواجهونها، أو لبث الفرقة والاختلاف والنفاق بين صفوف المسلمين وإضعاف قدرة المذهب ولا سيّما قدرة علماء الدين الذين يشكلون الخطر الرئيسى الذى يهدد مصالحهم.

والخلاصة إنّ ادّعاء المهدوية تواصل حتّى الفتره الأخيره حين برز «السيّد محمّد على باب»، رغم عدم قدرته بادئ الأمر على مثل هذا الادّعاء، بل على ضوء الوثائق الحية وشهادته المذكورة فى كتبه أنّه لم يدع المهدوية، بل اكتفى بادعائه الباب وأنّه النائب الخاصّ للمهدى.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۳

ولكن مع مرور الزمان وتجمع البعض حوله جعله يغير رأيه فزعم أنّه المهدى «۱».

وتفيد القرائن والوثائق عن سيرته وحياته وأتباعه- وقد جمعت بشكل رائع- أنّ ادّعاءَه هذا يعزى إلى الأسباب الثلاثة؛ أى من جانب عملاء الدول الاستعمارية- كروسية وبريطانيا وامريكا- حيث كان يتحرك على ضوء توجيهاتهم ويحظى بدعمهم وإسنادهم، كما كان يسعى إلى الحصول على المنصب، وكان يشكو من بعض الأمراض النفسية «۲».

ويبدو أنّه كانت هناك شبكة كبيرة، وقد عده بعض أعوانه متخلفاً فمنحوه شخصية تلعب دور مقدمة الظهور، وكان لهم دعاة كثيرون.

إلّا أن تشتت هذه الفرق «۳» من جانب، ونشر الوثائق الحية عن الارتباط المباشر بالدول الاستعمارية، من جانب آخر «۴».

والأهم من كلّ ذلك عدم وجود المضمون الذى يسعه تلبية رغبات حتّى عوام الناس، إلى جانب فضحهم من قبل بعض المسلمين الواعين على أنّهم «حزب سياسى استعمارى»، كلّ هذه الامور كشفت سريعاً عن حقيقة أمرهم.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۴

طبعاً بحثنا ليس فى تقصى نقاط ضعف هؤلاء، فهذا يتطلب كتاباً مستقلًا، ولحسن الحظّ فقد أُلفت الكثير من الكتب بهذا الشأن وأنّ

بعضها رائع فى مضمونه «۱».

وهدفنا هنا بيان موضوعين:

۱- يقول البعض:

نعلم أنّ استغلالًا كبيراً حصل ويحصل بالنسبة للاعتقاد بظهور المهدى! أوليس من الأفضل أن نسكت عن هذا الموضوع لكى لا يكون شماعة فيستغله الآخرون، ولماذا نقر بشىء يمكن أن ينعكس علينا سلباً؟

۲- السؤال الآخر الذى يقابل السؤال الأوّل تقريباً:

هل كلّ من ادّعى المهدوية كان كاذباً، ألا يحتمل صدق البعض، فلم يكن الجميع ممّن يسعى إلى المنصب أو كان أُلعوبة بيد الاستعمار؟

وهدفنا هنا الجواب عن هذين السؤالين مع تحليل لهما.

أمّا بشأن السؤال الأوّل، فلابدّ بادئ الأمر من طرح هذا السؤال:

هل هنالك من حقيقة فى هذه الدنيا لم تستغل من قبل الآخرين؟

أوَ لم يدلنا التاريخ على كلّ أولئك الذين ادّعوا النبوة، ومازالت هذه الادعاءات قائمة حتّى فى عصر الذرة والفضاء.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۵

فما أحرانا أن ننسى أصل دعوة الأنبياء ونتنكر كالبراهمة لأصل النبوة لكى نتخلص من الادعياء المستغلين!

هل هذا كلام منطقى؟

لقد سمعنا ونسمع الكثير من الأفراد الذين ينتحلون مهنة الطب والهندسة بغية إشباع بطونهم والحصول على الأموال، فهل يسعنا القول إنّ عنوان الطبيب أخذ يستغل من قبل البعض ولابدّ من التنكر بصورة تامة لهذه المهنة.

إنّ مثل هذا الكلام وإن بدا غاية البعد عن المنطق، إلّاأنّ المؤسف انه مذكور فى بعض كتب من ينكر أصل ظهور المهدى.

على كلّ حال فإن هذه قاعدة كلية فى أنّ كلّ كذب يسعى لأن يلبس ثوب الصدق ليحظى بالاعتبار المطلوب، ليس هنالك من خائن وسارق وكاذب يظهر بصورته الحقيقية، بل يسعى لتحقيق أهدافه من خلال التظاهر بالأمانة والطهر والصدق. فهل هذا دليل على عدم اعتبارية هذه المفاهيم الإنسانية الرفيعة. هذا أوّلًا.

وثانياً: هل الاعتقاد بظهور المهدى حقيقة مستغلة أم وهم وخيال؟ إن سلمنا بأنّه حقيقة- وينبغى أن تكون كذلك لوجود عدّة أدلة على ذلك- فلا يمكن التخلى عنها لاستغلالها من قبل هذا أو ذاك، ولو (فرضاً) لم تكن حقيقة، فلابدّ من اسقاطها، سواء استغلت أم لم تستغل!

على كلّ حال فإنّ اسلوب الاستفادة الصحيحة أو غير الصحيحة من موضوع لا يمكن أن تكون وسيله لاصدار الحكم بشأن ذلك الموضوع.

فلو أصبحت الطاقة الذرية وسيلة حربية مستغلة من قبل الظلمة لتضرب

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۶

بها منطقة هيروشيما وخلفت ثلاثمئة ألف قتيل ونفس هذا العدد من الجرحى الذين مازالوا يعانون من تلك الجروح بعد مرور ثلاثين سنة، فهل يدعونا هذا إلى التخلى عن هذه الطاقة العظيمة أو انكار أصل وجودها؟ أم نسعى إلى الاستفادة الصحيحة منها ولضمان مصالح المجتمع البشرى.

أمّا السؤال الثانى فيبدو أهم وهو: هل كلّ من ادّعى المهدوية كان كاذباً؟

ونعتقد أنّ الجواب عن هذا السؤال يبدو سهلًا على ضوء العلامات ونتائج هذا الظهور العظيم.

فقد علمنا فى الأبحاث السابقة أنّ للمهدى رسالة عالمية يسعى إلى تحقيقها من خلال الاستفادة من كافة الوسائل والامكانات المتاحة.

ورسالته الأصلية القضاء على كافة أنواع الظلم والجور وإرساء قواعد الحكومة العالمية على أساس العدل والقسط ومكافحة التمييز والاستعمار والاستغلال.

فهو ينهض بمستوى الأفكار.

وهو الذى يعمل على تقدم العلوم والمعارف.

وهو الذى يحرك العالم فى كافة المجالات.

وهو الذى يجمع كافة أتباع الأديان تحت راية واحدة.

وهو الذى يقوم بالتوزيع العادل لثروات العالم.

وهو الذى ينعش الاقتصاد العالمى بحيث لا يبقى محتاج فى العالم.

وهو الذى يعطى كلّ ذى حقّ حقه.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۷

وهو الذى لا يدع مكاناً خرباً إلّاعمَّره.

وسيبلغ الأمن فى عصره مرحلة تجعل المرأة تنطلق من شرق العالم إلى غربه دون أن يسيئ لها أحد.

وسيستخرج كنوز الأرض ويصنع المجتمع التوحيدى الموحد.

هذه هى المشاريع العملية والخطط المنبثقة عن تلك النهضة العالمية الكبرى فى أكبر نهضة للتاريخ البشرى، والتى أشارت إليها مختلف المصادر، وقد ذكرنا تفاصيلها فى الفصول السابقة.

فهل استطاع أى من أولئك الادعياء تحقيق واحد بالألف من هذه المشاريع، بل هل استطاع أى منهم أن ينظم منطقته أو حيّه على ضوء هذه البرامج؟

إننا نرى اليوم مدى اتساع رقعة الظلم والجور والاعتداء وهضم الحقوق؛ وقد أودت الحرب العالمية الاولى والثانية بحياة الملايين وجرحت الملايين وملأت العالم بالدماء.

ومازالت الهوة تتعمق يوماً بعد آخر بين البلدان الغنية والفقيرة، بحيث ينام كلّ ليله ألف مليون من هذا العالم جوعى، ومازالت السجون مليئة بالأبرياء، ومازال الجبابرة يجرعون الناس أنواع العذاب، أى أنّ العالم مازال يأنُّ من الظلم والجور، فليت شعرى متى ملئ بالعدل والقسط؟ وهذا أقوى دليل على مزاعم أولئك الادعياء، رد قصير لكنه حاسم وقاطع.

أجل ما زالت تلك الشمس لم تخترق الحجب ولا بدّ من الانتظار حتّى ذلك اليوم الذى تنقشع فيه كافة السحب والغيوم فيضيء هذا

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۸

العالم المظلم بنور طلعته البهية، وما أقرب هذا اليوم «أليس الصبح بقريب».

انارک نائين «۱» – ناصر مكارم الشيرازى

رمضان ۱۳۹۸ ه

تموز ۱۹۷۸ م

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹